الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الاجتماعية

المدرسة الوطنية للدكتوراه في الأنثروبولوجيا

مذكرة ماجستير

لنيل دبلوم في الأنثروبولوجيا بعنوان:

الأسس الأنثروبولوجية التأسيسية و علاقات زاوية سيدي أحمد دومة بعين تموشنت دراسة ميدانية أنثروبولوجية

من إعداد الطالب: يخلف الحاج.

إشراف الأستاذ: د. يعلاوي احمد.

لجنة المناقشة:

- الدكتور: مرضي مصطفى أستاذ محاضر رئيسا.
- الدكتور: يعلاوي احمد أستاذ محاضر مقررا.
- الدكتور: مولاي الحاج مراد أستاذ محاضر مناقشا.
- الدكتور: مرزوق محمد أستاذ محاضر مناقشا.
- الدكتور: بن زنين بلقاسم أستاذ بحث مناقشا.

الـفـهـرس

الفصل الأول: مدخل الدراسة.

تمهيد: .....:01

1- **مـقـدمـة عـامـة**. .....:02
2- **موضوع البحث**.....:14
3- **تقنيات البحث**.....:20
3.1 مقابلة غير موجهة.....:21
3.2 مقابلة نصف موجهة.....:21
4- **خطة الصياغة**.....:24
5- **المفاهيم الإجرائية**. .....:25
5.1 التصوف.....:25
5.2 الطرقية.....:26
5.3 الزاوية.....:27
5.4 المرابطية. .....:28
5.5 لمقدم.....:28
5.6 المريد.....:29
5.7 الحضرة.....:29
5.8 الإجازة.....:30
5.9 الفقرا.....:30
5.10 الورد.....:30
5.11 الذكر.....31

الـفـصـل الثـانـي: الـتـعـريـف بمكـان الـبـحـث.

تـمـهـيـد. .....:32

1- **نـشـأة مـدينـة عـين تـمـوشـنـت**. .....:33

أ- الـموقع الـجـغـرافـي. .....:33
ب- الـحـضـارات الـمـتـعـاقـبـة عـلـى الـمـديـنـة. .....:33

1.ب الحضارة البربرية. .....:33

2.ب الحضارة الرومانية. .....:34

3.ب المسلمون. .....:36

4.ب الاستعمار الفرنسي. .....:39

5.ب الدولة الوطنية. .....:42

2- **الحالة السوسيو- اقتصادية لولايـة عين تموشنت**.....:43
2.1 الزراعة.....:45
2.2 الصيد البحري.....:47

2.3 الصناعة.....:48
2.4 التجارة.....:49
2.5 السياحة.....:50
3-**الطرق الدينية بمنطقة عين تموشنت في العهد الاستعماري**. .....:51
3.1 الطريقة القادرية.....:53
3.2 الطريقة الدرقاوية:.....:53
3.3 الطريقة الزيانية:.....:54
3.4 الطريقة الطيبية:.....:54
3.5 الطريقة الشيخية:.....:55
3.6 الطريقة التيجانية:.....:55
4-**الزوايا الناشطة بمنطقة عين تموشنت بعد الاستقلال**.....:56
5-**نشاط الطريقة القادرية بعين تموشنت**.....:60

خلاصة الفصل. .....:62

الفصل الثالث: الأساس التصوري للمشروعية التأسيسية لزاوية أحمد دومة.

تمهيد. .....:63

1- **أصول الطريقة القادرية**. .....:64
2- **تاريخ الزاوية القادرية سيدي احمد دومة بعين تموشنت**. .....:65
3- **أشكال المشروعيات الروحية التأسيسية**. .....:69
3.1 تعريف المشروعية.....:69
3.2 مشروعية النسب الشريف. .....:69
3.3 مشروعية البرهان. .....:70
3.4 مشروعية التوارث. .....:71
3.5 مشروعية العلم. .....:74
3.6 مشروعية البركة. .....:74
3.7 مشروعية الطُرُقية (التنظيم الخلقي) .....:78
3.7.1 فترة الهوس الطرقي (المرحلة الأولى). .....:78
3.7.2 فترة التحرر الطرقي (المرحلة الثانية). .....:80
3.8 موقف العائلة من قرار الابن.....:82
4- **المشروعية الإدارية التأسيسية و أشكالها**. .....:83
4.1 الجمعية الولائية زاوية الشيخ احمد دومة.....: 83
4.2 الجمعية الوطنية للزوايا. .....:84
4.3 الانخراط في الشبكة الولية.....:85

خلاصة الفصل... .....:88

الفصل الرابع: الخطاب و الأساس الممارس و علاقات الزاوية الخارجية.

تمهيد.....:89

1- **الخطاب المنتج للزاوية**. .....:90
1.1 رمزية الخطاب الديني.....:90

1.2 الخطاب الدنيوي. 92:
2- **الأساس الممارس**.....93:
2.1نشاطات الزاوية الاجتماعية..... .....94:
2.2النشاطات الدينية.....96:
2.3حضرة الاحتفال بالمولد النبوي. 103:
3- **المصادر المالية للزاوية**. 106:
3.1 المصادر المالية الحالية للزاوية.....107:
3.2 أشكال الإنفاق للزاوية.....108:
4- **علاقة *لمقدم* بمريديه**.....109:
5- **علاقة الزاوية القادرية سيدي احمد دومة بالزاوية الجازولية**.....110:
6- **علاقة الزاوية القادرية سيدي احمد دومة بمقام مولاي عبد القادر بمدينة عين تموشنت**.....113:
7- **التزكية الطرقية**. 115:

خلاصة الفصل: 120:

الفصل الخامس: مكانة زاوية أحمد دومة في الحقل السياسي المحلي.

تمهيد. 121:

1. **المواقف السياسية للزاوية المدروسة**. 122:
1.1 الانتخابات المحلية: 2007/11/29. .....123:
1.2 علاقة الزاوية المدروسة بحزب جبهة التحرير الوطني. 124:
1.3 علاقة الزاوية المدروسة بحزب التجمع الوطني الديمقراطي.....125:
1.4 انتخاب ممثل الولاية في مجلس الأمة. 126:
2. **المرجعيات الانثروبولوجية للموقف السياسي للزاوية المدروسة**.....127:
3. **صراع المشروعيات بين مشروعية الزاوية المدروسة و مشروعية الدولة**. 128:
4. **موقف الإدارة المحلية من الزاوية المدروسة**. 134:
5. **العلاقة التقليدية**. 135:
6. **الزاوية الإنبعاثية**.....137:

خلاصة الفصل.....139:

خاتمة عامة..... 141 :

الملاحق.....147:

الـتشكـرات

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني في انجاز هذا العامل المتواضع، و الذي يُعد ثمرة للجهود المشتركة لأساتذة المدرسة الوطنية للدكتوراه في الأنثروبولوجيا.

و أخص بالذكر مقدم الزاوية القادرية و كل أعضائها، فلولا تعاونهم لما جُسد هذا العمل.

و الأستاذ " يعلاوي احمد " المشرف على هذا العمل، للنصائح و التوجيهات القيمة التي أفادت هذا البحث.

و شكر خاص للجامعات المشاركة في مدرسة الدكتوراه، أساتذة و طلبة، من جامعات، وهران، تلمسان ، مستغانم، تيزي وزو، بجاية، و قسنطينة.

الإهــداء

اهدي هذا العمل المتواضع لوالدي الكريمين أطال الله في عمرهما و خصهما بموفور الصحة، و إلى كافة أفراد الأسرة. و إلى روح خالتي رحمها الله التي كانت دوما تشجعني على مواصلة مشواري العلمي.

الملـخـص

عالجت الدراسة نموذج لمؤسسة تقليدية و هي الزاوية، من خلال تحليل أسسها الأنثروبولوجية المعتمدة في التأسيس. و المتمثلة في الأساس التصوري و الأساس الخطابي، ثم الأساس الممارس. و حددت هذه الأسس كمؤشرات، و أول مؤشر هو تصور المشروعيات التأسيسية الروحية الرمزية، بالإضافة إلى المشروعيات المادية و المتمثلة في الجانب الإداري، التي اعتمدتها الزاوية على بنائها الرمزي.

و المؤشر الثاني فهو الأساس الخطابي و يعني الخطاب الذي تنتجه الزاوية و تقدمه لمريديها من خلال البحث و الكشف عن رموزه الصوفية، و يعتمد الخطاب الصوفي على آليات البركة و المعجزات التي تتمتع بها هذه المؤسسة. و تتجلى مدى ربانية الزاوية في الكرامات التي يخصها الله بها كثواب من عنده، و تنعكس هذه الكرامات في مدى إقبال المؤمنين بها ذكورا كانوا أم إناثا.

أما المؤشر الثالث فهو الأساس الممارس و هو ترجمة للأساس الخطابي الذي تنتجه الزاوية لنفسها، و هذا حتى لا تتناقض أقوالها مع أفعالها كي توسع قاعدتها الزبونية التي تعتبر مصدرا لرقي القيمة الرمزية للزاوية، و عاملا اقتصاديا يساهم بطريقة مباشرة في تحسين الوضعية المالية للزاوية.

و كتعزيز للمكتسبات الفعلية الممارسة للزاوية على أرض الواقع جاءت مواقفها السياسية، التي بنتها على أسس فعلية تقليدية تتخذ من العامل المكاني "*ولاد لبلاد*" قيمة محركة لتقوية علاقات الزاوية بمختلف الشركاء الاجتماعيين. فهذه العلاقات جزء مكمل لعملية البناء الرمزي في جانبه المادي الذي تقوم به الزاوية، ففي ظل ظروف سياسية مشجعة و مساعدة، لاسترجاع الدور الفعلي للزوايا التي تم استئصالها عبر ظروف تاريخية خارجية، و ظروف سياسية داخلية في حضن الدولة الوطنية. اغتنمت الزاوية فرصة الظروف المشجعة لتتموضع في خانة الزاوية الإنبعاثية، التي سايرت هذه الظروف لتعاود إستأناف نشاطها و بعث كيانها الروحي كمؤسسة روحية- دينية و اجتماعية.

و بالاعتماد على مختلف المشروعيات التأسيسية الروحية و الإدارية التي تكون بمثابة الدعائم الأولى للبناء الرمزي، تثمن الزاوية هذه المكتسبات بشبكة من العلاقات الخارجية تكون لها سندا عند الحاجة و مثبتا لها على نطاق أوسع في عملية البناء الرمزي.

الفصل الاول

تمهيد:

تحاول الدراسة في فصلها الأول بعنوان مدخل الدراسة معالجة الإطار النظري و المنهجي، الذي يعطي الصفة العلمية للبحث. و قد تم التطرق فيه إلى تحديد موضوع البحث العام إنطلاقا من إعطاء نبذة تاريخية عن مؤسسة الزاوية عبر حقب تاريخية مختلفة، منذ الفترة الإستعمارية إلى غاية وجودها في الوقت المعاصر، و ماهي أشكال علاقاتها بالمجتمع المحلي و بالسياسي خصوصا مع ظهور الدولة الوطنية منذ جويلية 1962. و المعنى الخاص لموضوع البحث هو التطرق في بطاقة تعريفية للزاوية المدروسة منذ فترة تأسيسها إلى الوقت المعاصر. بالإضافة إلى عرض الأسباب الموضوعية و الذاتية لإختيار الموضوع، و أهمية و هدف الدراسة. ثم عرض الإشكالية التي يحاول البحث معالجتها و تحديد الفرضيات، مرورا بالمنهجية المتبعة لمعالجة الموضوع، و تحديد التقنيات المستعملة في البحث الأنثروبولوجي. ثم تحديد المدة الزمنية لمراحل البحث، و كشف بعض الجوانب الصعبة منه. و في الأخير تم عرض بعض المفاهيم المرتبطة بموضوع البحث، و التي كان لزاما على الباحث ضبطها لتسهيل فهم خطاب الحقل الطرُقي.

1- مقدمة عامة:

تتفرع أنثروبولوجية التغيير الإجتماعي عن العلوم الإجتماعية، و تندرج جدلية الديني و السياسي تحت لوائها، لذا تحاول الدراسات العلمية أن تبحث و تكشف أسرارهذا التغيير. إن دراسة المؤسسات الإجتماعية التي تقوم بإنتاج الرموز و القيم، ميدان يثير فضول الباحثين. و تختزن الذاكرة الجماعية صورة الزاوية كمؤسسة اجتماعية تقليدية، لا تزال تحافظ على دلالات الإنتماء الأصيل العربي الإسلامي.

تعتبر الزاوية بنية سوسيو دينية معقدة، تُظهر قدرة ذاتية على التأقلم[1]، مع مختلف ظروف الحياة العامة. لعبت الزاوية أدوارا سياسية عبر محطات تاريخية مختلفة، إما موالية أو متمردة لسلطة سياسية على حساب أخرى، و كان هذا الدور قبل ظهور و تطور الحركات الوطنية. و بعد الاستقلال، ظلت الزوايا محافظة على وجودها و مسايرة للمُعطى السياسي الجديد، إما مدعمة لمواقف هذه الأحزاب أو معارضة لها، مثل تحالف الزوايا مع حزب فيدرالية المنتخبين الذي أسسه الدكتور بن جلول[2]، أو في الصراع الإيديولوجي بين جمعية العلماء المسلمين و الزوايا. و أظهرت الزوايا في هذا الصراع قدرة على تأقلمها مع الفكر الإصلاحي، و حسب أطروحة قورصو[3] (1989)، فاعتبر أن اندماج أعضاء من الطريقة القادرية أو الدرقاوية في وسط جمعية العلماء، كان بهدف المحافظة على كيانهم الديني من خلال الابتعاد عن الجدل القائم بينهم، و هذا ما يسمح لهم بالعمل بحرية أكبر في إعادة إنشاء زوايا تُدخل عليها بعض الإصلاحات أو زوايا ضد الإصلاحات. و هكذا تكون الزوايا قد ضمنت عدم إندثارها من الساحة السياسية كلية، و تُظهر هذه النقطة، مدى تأقلم الزاوية من الجانب السياسي.

---

[1] Najib MOUHTADI, *Pouvoir et religion au Maroc, essai d'histoire politique de la zaouïa*, Ed. Eddif, 1999, Casablanca, p.115.

[2] Robert MONTAGNE, « La fermentation des partis politiques en Algérie », volume 2, numero 2, annee 1937, p. 133, www.persee.fr , consulté le : 05/01/2011.

[3] KORSO cité in, *Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine- Adeptes des saints de la région de Tlemcen,* par Sossie ANDEZIAN, Ed. CNRS, Paris, 2001, p. 25

كما يمكن حصر مستوى تأقلمها بمختلف ظروف الحياة العامة، من جانب تأقلم الزاوية بالديني الرسمي المتأثر بالمرجعية الإصلاحية، الذي يرى في المسجد فضاء الممارسة الوحيد للـدين.

و هنا يختلف الديني الرسمي في الطقوس الممارسة مع الزاوية، التي اعتمدت على ممارسات دينية ذات أشكال جديدة تمثلت أساسا في مركزية السلطة الروحية، التي يكون منبعها أحد الشيوخ و ممارستها في فضاء الزاوية، أين أصبح لهذه السلطة الروحية مشروعية تنظيم العلاقات الإجتماعية داخل و خارج الزاوية مع مختلف الشركاء الاجتماعيين، كالمجتمع المحلي و السلطات المحلية، إدارية كانت أم سياسية أو اقتصادية.
و هكذا استطاعت الزاوية المحافظة على ممارساتها الطقوسية تحت سقف الدولة الوطنية، التي تبنت إسلام الحركات الإصلاحية و أقصت شيوخ الطرق من حقل السلطة الدينية[4]. و كتدعيم لنقطة تأقلم الزاوية دينيا، ما بدر من الزوايا مع الحركة الإصلاحية التي دعت إلى العودة للإسلام السُـني و الإبتعاد عن البدع الصوفية المتجلية في الممارسات الطقوسية كالغناء أو الرقص، حيث استطاعت الزاوية التأقلم مع الظروف الجديدة و مقاومتها من خلال إلتفافها على الطبقات الاجتماعية الهشة من المجتمع، عن طريق إقامة *زَردًات* كبيرة بالعاصمة و قسنطينة و دعوة عموم الناس للمشاركة فيها، في ثلاثينات القرن الماضي[5].

فالزاوية مؤسسة اجتماعية دينية تقليدية النشأة نتاج لحركية ثقافية و اجتماعية، ميَزت المجتمعات المغاربية والجزائر بالخصوص منذ القرن الثالث عشر ميلادي[6]. و أطرت مجالات واسعة من الحياة الاجتماعية من خلال الأدوار و الوظائف المنوطة بها ، كالتربية الروحية المُشبعة بقيم الدين الإسلامي من خلال تعليم للقرآن، السُنة النبوية، و إحترام الآخر مهما كانت صفاته، و تعليم قيم الجهاد.

[4] Op.cit. p. 22
[5] Robert MONTAGNE, Op.cit. p.130
[6] Kamel FILALI, Sainteté maraboutique et mysticisme, « Contribution à l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination Ottomane », in revue insaniyat n^{0}3, CRASC, Oran 1997.

مرَت هذه المؤسسة بمراحل تاريخية عصيبة، كان لها الأثر العميق على ماضيها و وجودها. و لعل أكبر التحديات التي واجهتها الزوايا في تاريخها المُعاصر هو الاحتلال الفرنسي الذي كلف قادته العسكريين بدراسات ميدانية شاملة للحياة الاجتماعية، من أجل معرفة نقاط قوة المجتمع لتدميرها و نقاط ضعفه للاستثمار فيها. فأدرك المستعمر منذ الوهلة الأولى ماهية هذه المؤسسة في الوسط الاجتماعي عندما اصطدم بها، فسعى بكل زاده للقضاء عليها و هكذا، أعتبر تدمير الزوايا عامل رئيس في إستئصال جذور هوية الشخصية المحلية. لعبت الزاوية دورا كبيرا في المحافظة على الإنتماءات للهوية في شقها الإسلامي و العربي، ففي ظل غياب المدرسة بمناهجها التعليمية، كانت الزوايا تسهر على تدريس اللغة العربية و تحفيظ القرآن و تلقين الطريقة للأجيال المتعاقبة. و بهذا كانت القائم الأول، على محافظتها للهوية الوطنية.

وُلدت أوَل المقاومات الرافضة لوجود هذا الوافد الجديد، وغير المرغوب فيه من رحم هذه المؤسسات. و سجَل التاريخ مقاومة الأمير عبد القادر القادري الطريقة الذي كان يتمتع بشعبية واسعة، حيث كان والده المشرف العام على الطريقة القادرية بمقاطعة وهران.[7] و الشيخ الحداد و المُقراني و لالة فاطمة نسومر من الطريقة الرَحمانية بالقبائل، و الشيخ بوعمامة من الطريقة الشيخية بالجنوب الوهراني. و يتمتع أولاد سيد الشيخ بإحترام كبير إذ كان لهم دور مهم في الثورة المسلحة، التي بدأو بها سنة 1864 ضد الاحتلال و دامت عشرون سنة.[8]

و يبقى موقف الطريقة التيجانية و الطريقة الطيبية من الاحتلال، موقفا مختلفا عن الطرق السالفة الذكر، و يقول كوبولاني في هذا الصدد: " تعتبرنا التيجانية و الطيبية مستعمرين للأرض الجزائرية بقدر من الله."[9] و يضيف قائلا: "كما يعود الفضل الكبير للطريقة التيجانية التي تتمتع بإحترام كبير في الصحراء، في توسعنا إلى عمق الصحراء

[7] Octave DEPONT, Xavier COPPOLANI, *Les confréries religieuses musulmanes*, Ed. Typographie et lithographie Adolphe Jourdan, Alger 1897. Livre numérisé en mode texte par : Alain Spenatto, spenatto@club-internet.fr. www.algerie-ancienne.com. P.258
[8] Op.cit. p.265
[9] Op.cit. p .271

وصولا إلى قبائل التوارق، التي سمحت باستقبال مبعوث الإحتلال دوفرييه، بعد توسط التيجانية لديهم"[10].

و تثير قضية مساعدة بعض الزوايا للإدارة الإستعمارية في بداية الإحتلال جدلا واسعا، لازالت أصداءه تُسمع إلى اليوم من مناسبة لأخرى، في الملتقيات التي تعالج الزوايا و موقفها من الإحتلال. و مع إندلاع الثورة التحريرية سنة 1954، انخرط أبناء الشعب في صفوف جيش التحرير بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية أو الدينية. و هذا ما أفرزته التحاليل المحلية، للطريقة القادرية و الدرقاوية و الطيبية و العيساوية و الرحمانية و الشيخية[11].

و عرف المجتمع في ثلاثينيات القرن الماضي، موجة ثقافية دينية جديدة حاملة في مدها أفكارا و إتجاهات وُصفت بالإصلاحية، من أتباع الشيخ عبده و الشيخ أرسلان منظر القومية العربية، و أمين الحسيني صاحب فكرة انعقاد المؤتمر الإسلامي بالقدس. و بعد هذا المؤتمر في نهاية سنة 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين[12]، و رائد هذا التيار بالجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس المتخرج من صلب مؤسسة الزاوية.[13] و ميزة هذا التيار دخوله في مواجهة السلطة القدسية لأولياء الزوايا، و هذا ما أحدث كسرا في بنية الحقل الديني.[14] و يضيف سامي زبيدة بقوله، "إن العلماء يصونون المبدئية النصية و الشريعة بصفتهم الرسمية علماء و فقهاء، و لكن العديد من هؤلاء العلماء كانوا أيضا يشاركون في اخوانيات صوفية."[15]

ينحدر معظم الفاعلين الأوائل للحركة الوطنية من صلب الزوايا، و نذكر على سبيل الحصر لا القصر، مصالي الحاج الذي يعتبر أب الحركة الوطنية، و أحد أتباع الطريقة الدرقاوية هو و عائلته[16]، و ساهم فعله السياسي في التنشئة السياسية لمعظم الأحزاب

---

[10] Ibid.
[11] Sossie ANDEZIAN, Op.cit. p. 25
[12] Robert MONTAGNE, Op.cit, p 129, consulté le : 05/01/2011.
[13] Kamel BOUCHAMA, *Algérie, terre de foi et de culture,* Ed. El maarifa, Alger, 2000, p.115.
[14] Mohamed BRAHIM SALHI, « Éléments pour une réflexion sur les styles religieux dans l'Algérie d'aujourd'hui », in revue, insaniyat, n^0 11(mai-aout 2000).
[15] سامي زبيدة، ***انثروبولوجيات الإسلام، مناقشة و نقد لأفكار ارنست غلنر***، سلسلة بحوث اجتماعية، ط1، دار الساقي، بيروت 1997.ص 32.
[16] جورج الراسي، ***الدين و الدولة في الجزائر،من الأمير عبد القادر... إلى عبد القادر***، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009. ص117.

السياسية الفاعلة التي آمنت باستقلال الجزائر. و عند اندلاع الثورة التحريرية كانت الزوايا بمثابة الخزان الذي غذى الثورة بالمجاهدين، و هذا ما دفع بالإدارة الإستعمارية للإنتقام من هذه المؤسسات بقصفها و تدميرها،[17] مثل ما جرى مع "زاوية الصباغين بالعاصمة التي هدمت، و زاوية شختوت التي حولت لثكنة عسكرية."[18]

و بقيام الدولة الوطنية بعد الاستقلال، أصبح مصير مؤسسة الزاوية يتحدد حسب موقف السلطة السياسية الحاكمة منها. فالزوايا في سنوات الستينات و السبعينات أو الثمانينات، لا تتشابه في ظروفها العامة مع زوايا بداية القرن الواحد و العشرين. إذ يتحدد موقف كل سلطة سياسية من الزوايا حسب أولويات هذه السلطة السياسية، و تظهر هذه الأولوية حسب الظروف السياسية و الاجتماعية السائدة و الغالبة.

فالسلطة السياسية في الستينات و بعد الإستقلال، أكدت تهميش الزوايا و ابعدتها عن اللعبة السياسية، خاصة بعدما تلاشى دور المرابطين المنحدرين من سلالة النبي محمد صلى الله عليه و سلم الذين أسسوا زوايا في الريف، بسبب الصراع القائم بين الإصلاحيين و الطرقيين و هم الأفراد المنتسبين لمختلف الطرق الصوفية.[19] و الدارس لهذه الفترة السياسية من تاريخ البلاد، يستخلص أن عملية بناء مؤسسات الدولة و منهجها، كان من أولويات السلطة السياسية لهذه الفترة. و من المؤسسات التي تم التركيز عليها، "الحزب الذي يتولى تطبيق البرنامج الاشتراكي و إقامة دولة شبيهة بالديموقراطيات الشعبية في اوروبا الشرقية"[20]. باللإضافة للمؤسسة الجيش، التي تعتبر المؤسسة ذات الأولوية خاصة في ظروف بداية الإستقلال.و حدد برنامج طرابلس الذي تمخض عن مؤتمر طرابلس 1962، في "جزئه الثاني عن هدف الثورة التي قام بها الفلاحون و المضطهدون من مختلف الطبقات الاجتماعية، هي خدمة هذه الفئات المحرومة و الوقوف الى جانب كل من ساعد في عملية الثورة التحريرية. و تتحدد أهداف الثورة الديموقراطية الشعبية في القضاء على انعكاسات

---

[17] Kamel BOUCHAMA, Op.cit, p.105 -106.

[18] صلاح مؤيد العقبي، ***الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر ، تاريخها و نشأتها***، دار البراق، بيروت،2002، ص: 313.

[19] Belkheir GhALI, « Le renouveau des zaouïas en Algérie », Directeur de thèse, jean-robert henry, www.iep.univ-cezanne.fr/media/Ghali.pdf .univ-cezanne.fr/media/Ghali.pdf, Thése en cours, Consulté le : 02-08 -2010.

[20] رابح لونيسي، ***رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ***، تقييم أكاديمي لنصف قرن من مسيرة الجزائر المستقلة، دار المعرفة، الجزائر،2011، ص 69.

الاستعمار و بقايا الإقطاع المتحالف مع رجال الزوايا و الدين."[21] و من الاهداف الاجتماعية التي وردت في وثيقة طرابلس، "سعي الدولة، على تحرير المرأة من التقاليد البالية و العتيقة"[22]. و هذا ما ورد في ميثاق الجزائر 1964، الذي نص على "ضرورة إعطاء أهمية لترقية المرأة و تحريرها من السيطرة الخاضعة لها، بفعل التقاليد البالية و الفهم الخاطئ للدين الإسلامي"[23]. و تبين هذه الدلائل عن قطيعة السلطة السياسية في الستينات للزوايا. رغم أن القائم الأول على هذه السلطة السياسية الرئيس "بن بلة الذي احتك بأفكار الزوايا و الطرقيين و صراعهم مع جمعية العلماء المسلمين، لما انتقل للعيش إلى مدينة تلمسان في ثلاثينيات القرن العشرين"[24].

و بمجيء الرئيس بومدين على هرم السلطة السياسية في السبعينات، و "الذي التحق بالمدرسة الكتانية بقسنطينة لمواصلة دراساته العربية و الإسلامية، و هي مدرسة تابعة لزاوية الشيخ الكتاني بالمنطقة"[25]. فبالرغم من تنشئته الدينية في زاوية، استمرت عزلة الزوايا طيلة سنوات السبعينات و عمقت السلطة السياسية المتبنية للفكر الإصلاحي صرف النظر عن الزوايا و اعتبرتها ضد العصرنة. فالفكر الطُرُقي لا يخرج عن نطاق السلطة الروحية و المركزية للولي أو الشيخ، و هذا ما يحد من التحرر الفكري للفرد التابع للطريقة و الذي يرتبط في يومياته بسلطة الولي، و هذا ما أُعتبر ضد العصرنة و التفتح في هذه الفترة. و أصبح نشاط الزوايا مقتصرا إما على تعليم القرآن، مثلما قامت به الزاوية القاسمية الهامل التي تقع بالقرب من بوسعادة، و أُسست على يد الشيخ أبو عبد الله ابن محمد ابن القاسم الهاملي[26]، فأنشأت مؤسسة القاسمي لتعليم القرآن، و تم غلقها طبقا

للقرار سنة 1976، الذي نص على ضرورة غلق مثل هذه المؤسسات التعليمية بهدف توحيد المناهج التعليمية في البلاد. و هذا ما اعتبره كمال بوشامة[27]، قرارا تعسفيا إتجاه مؤسسة الزاوية التي كان لها الفضل في الحفاظ على الثقافة و اللغة الوطنية. و هناك زوايا

---

[21] المرجع المذكور آنفا، ص 78.
[22] نفس المرجع، ص 79.
[23] نفس المرجع، ص 83.
[24] نفس المرجع، ص 56.
[25] نفس المرجع، ص154.
[26] Kamel BOUCHAMA, Op.cit, p.112
[27] Op.cit, p.113

حصرت نشاطها في المناسبات الدينية والطقوس الاحتفالية كالوعدة أو الحضرة، و هذا حال الزاوية التيجانية بعين تموشنت التي ظلت محافظة على تنظيم وعدتها السنوية منذ سنوات السبعينات إلى اليوم، في شهر أوت من كل سنة.

و انتهجت السلطة السياسية في بداية الثمانينات نفس مسلك سابقتها، و أصبح النظر الى الطُرقية كدين خارج القانون، اختص بالمناطق الريفية و الوسط النسوي و الأوساط الشعبية، كنقيض لدين القانون المنتشر في الوسط الحضري و النخب[28].

عرفت الساحة السوسيو- دينية للجزائر في هذه الفترة، "توجها عنيفا ضد الزوايا و ظلت السلطة مساندة لهذا التوجه، فظنت أن التصنيع و العصرنة، و النجاح في مخططات التنمية، ستكون بمثابة ضربة قاضية للزوايا"[29]. و نظرا لقدرة الزاوية على التأقلم بمختلف ظروف الحياة العامة، ظلت الزوايا محافظة على أعضائها، لكنهم أقل عددا مقارنة بعصرها الذهبي الذي شهدته ما بين القرون السادس و التاسع عشر. فمثلا بينت الإحصائيات الرسمية لسنة 1882، انخراط تسعة و عشرين زاوية تحت لواء الطريقة القادرية بالجزائر، و مئتين و ثمانية و ستين مقدم، بمجموع (14574) خوان بمعنى أخ أي منتسب للطريقة[30]. و في ظل غياب إحصائيات رسمية تتعلق بنشاط الزوايا في فترة بداية الثمانينات، أصبح من الصعب ضبط العدد الحقيقي للزوايا و أتباعها في هذه الفترة، و بناءا على الظروف غير المشجعة التي كانت ترى في أهل الزوايا أنهم أصحاب بدع و خرافات، أصبح من الصعب الإعلان الصريح عن الإنتماءات الطرقية للفرد، و بالتالي عدم الإقبال المنتظم على الزوايا و هذا ما صعب إحصاء المنتسبين إليها. فأصبحت الزوايا منعزلة، و كانت رؤية عامة الناس إلى شيوخ الزوايا بنظرة الوسيط بين الله و عباده.[31]

و في نهاية عشرية الثمانينات عرفت الزوايا ديناميكية أكبر، خاصة لما انفتحت السلطة السياسية الحاكمة آنذاك على زاوية بلحول بمازونة أصيلة زوجة الرئيس. و ترددت

---

[28] Sossie ANDEZIAN, Op.cit, p.17
[29] Belkheir GhALI, Op.cit.

[30] Louis RINN, *Marabouts et khouans, étude sur l'islam en Algérie*, librairie- Ed. Adolphe Jourdan Alger, 1844, Livre numérisé en mode texte par : Alain Spenatto. www.algerie-ancienne.com, P.200
[31] Sossie ANDEZIAN, Op.cit, p. 26 .

الإشاعات أن المقر الفعلي للسلطة السياسية للبلاد، ليس بقصر المرادية أو تاغارا مركز القيادة العامة للجيش بل كان بزاوية مازونة. و هذا ما صرح به الجنرال خالد نزار للصحفي سيد احمد سميان،" أن الكثير من التعيينات كانت تتم انطلاقا من زاوية بلحول"[32]. و في ظل هذه المعطيات سارعت الزوايا لإعادة بعث كيانها، مثل ما قامت به الزاوية القادرية بغليزان من خلال إعادة إحياء علاقاتها بين مختلف زوايا الطريقة القادرية بغرب البلاد، و مثلها فعلت العيساوية في قسنطينة و العيساوية في ولهاصة بعين تموشنت. و عرفت هذه الفترة بداية رد الإعتبار للزوايا التي اتهمت بالتواطئ مع الإستعمار كالتيجانية، أو إتهام الزاوية العلوية بزعزعة النظام السياسي بعد الاستقلال[33].

أما السلطة السياسية في التسعينات، إستعانت بالزوايا بعدما تسارع نمو التيارات الإسلامية السلفية في المجتمع. و تميزت فترة التسعينات بتمادي الإسلاميين في تحقير النظام الديني التقليدي، بهدف محاولة تدمير الماضي الديني الجزائري.[34] و تميزت هذه الفترة بالإخفاقات السياسية المرتبطة بفشل مختلف المشاريع التنموية التي تبنتها الدولة، و هذا ما تُرجم في حوادث أكتوبر 1988 التي شهدتها الجزائر. و دفعت هذه الأحداث بالنظام لفتح الحقل السياسي، دون توفير كل الشروط الضرورية لنجاح الديموقراطية.[35] و من بين الشروط التي أغفلها النظام هو إستعمال الثوابت الوطنية كالدين و اللغة و الإثنية، ضمن الرهانات و الحسابات السياسية الضيقة. فظهرت

الأحزاب الإسلامية كالجبهة الإسلامية للانقاذ و حركة المجتمع الاسلامي قبل أن تُغير إسمها الى حركة مجتمع السلم، و حركة النهضة، و الأحزاب المرتبطة بثقافة الإثنية كالتجمع من أجل الثقافة و الديموقراطية. "فالعمل الديموقراطي يتطلب عقدا بين جميع الأطراف و الأحزاب يقضي بإحترام التداول السلمي على السلطة و الحريات العامة و احترام الاقلية و غيرها من المبادئ"[36].

---

[32] خالد نزار في حواره مع سيد احمد سميان، ذكر في **"رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ"**، لرابح لونيسي،ص 256.
[33] Op.cit, p. 27.
[34] Mohamed BRAHIM SALHI, Op.cit.
[35] Belkheir GHALI, Op.cit.
[36] رابح لونيسي، المرجع المذكور آنفا، ص 307.

ساير الإنفتاح السياسي في الجزائر، تغيرات دولية رافقت سقوط النظام الإشتراكي في البلدان التي إحتضنته كروسيا و أوربا الشرقية و إنتهت بسقوط جدار برلين عام 1989، فسقطت إيديولوجية إحتكار السلطة من طرف الحزب الواحد. و ساهم تضافر هذه العوامل السياسية و شغور الحقل الديني، من مؤسسات إسلامية قوية تدافع عن القيم الاسلامية الخاصة بالمجتمع كالزوايا باعتبارها نتاج للمجتمع المحلي، تقوية التيار الإسلامي السلفي الذي استقطب تعاطف و انضمام فئات واسعة من المجتمع، التي اعتنقت توجهاته من دون قيد ولا شرط. و اتخذته عامة الناس قبلةً ومنهجا لهم، و علقت عليه آمالهم فإتسع مداه. و إرتكز في خطابه على الدعائم الإسلامية، باعتبار الفاعلين لهذا التيار ذوو ثقافة و تكوين إسلاميين. فتعاطف عامة الناس مع خطابهم، وبإتساع قاعدته في أوساط مختلف الفئات الإجتماعية، وقف معارضا و متمردا ضد السلطة السياسية. و وقعت المواجهة الدموية طيلة عشرية من الزمن، لازال المجتمع يدفع فاتورتها إلى اليوم.

ظلّت المؤسسات الدينية التقليدية في ظل هذه الظروف ولمدة زمنية معتبرة، إما غائبة أو مُغيَبة عن المشهد العام للحياة الاجتماعية. فبادرت السلطة السياسة خاصة، لإعادة تفعيل دور الزوايا بهدف إعادة صياغة تركيبة الحقل الديني الإسلامي في الجزائر من جديد، يكون فيه النظام التقليدي الطـرُقي هو العنصر الفاعل و المحرك لصد الأفكار الدينية المستوردة من جهة. و من جهة أخرى، خلق انسجام بين هذه الزوايا على الرغم من تنوع طرقها، فالرابط المشترك بينها هو التصوف الشعبي[37] كما يسميه جاك بيرك. و نتيجة هذا التفعيل تأسست الجمعية الوطنية للزوايا سنة 1991م، و جمعت أكثر من ثلاثمئة شيخ زاوية[38]، و جاء تأسيسها بعد الإنتخابات البلدية جوان 1990م التي فاز فيها حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ بأغلب البلديات، و هو تاريخ يأتي قبل سبعة عشر شهرا من الإنتخابات التشريعية ديسمبر 1992م، التي ظفرت بأغلبية مقاعدها الجبهة الإسلامية كذلك في الدور الأول و لم تكتمل دورتها الثانية[39]. و في ماي 1993م نظمت الجمعية الوطنية للزوايا بالسوقر ملتقى وطنيا، أكد فيه رئيسها الشيخ البوزيدي، أن الزاوية كانت

[37]Jacques BERQUE cité in, *Ksour et saints du Gourara; dans la tradition orale, l'hagiographie et les chroniques locales,* par Rachid BELLIL, mémoire du CNRS, PAH, n^0 3, Ed. Enal, Reghaia, 2003. p.99.
[38] Sossie ANDEZIAN, Op.cit, p.27
[39]جورج الراسي، المرجع السابق، ص233 .

الرباط بين المؤمنين أيام الإستعمار، و أنها تريد الحفاظ على الدين و روحانياته و رد الفتنة عن المؤمنين[40].

و تأسس بعدها الإتحاد الوطني للزوايا الذي يُحصي تحت لوائه 8900 زاوية، حسب تصريح رئيسها الدكتور شعلال محمد بتاريخ 10 فيفري 2004[41]، الذي أكد في حوار صحفي بتاريخ 2008/02/26، أن من بين القرارات المهمة التي سيخرج بها الملتقى الوطني للطرق الصوفية المقرر تنظيمه في أفريل 2008 بالعاصمة، الدعوة إلى تعديل الدستور و مبايعة ترشح الرئيس لعهدة ثالثة[42]. و عن خلفيات قراره فأجاب، بوتفليقة أولى أهمية كبيرة للقرآن و تعليمه و تلقين المبادئ الإسلامية، و أعاد للزوايا بريقها و أحيا دورها الديني و الإجتماعي و الأخلاقي، فضلا عن المساعدات المالية التي تقدمها رئاسة الجمهورية للزوايا[43].

و ظهرت للوجود هيئة مشابهة للجمعية و الإتحاد الوطني للزوايا، هي الرابطة الجزائرية للزوايا و التراث الإجتماعي و الثقافة الصوفية التي تضم 2000 زاوية حسب المجاهد م. سيد احمد في تصريحه بتاريخ 30 جوان 2005 بمناسبة تأسيس الرابطة[44]. فمجموع هذه الزوايا المحصاة عبر هذه الهيئات الثلاث هو إحدى عشر ألف و مئتين {11200} زاوية، و تُظهر هذه الإحصائيات الكم الهائل للزوايا، و هذا ما يجعل منها ورقة رابحة سياسيا. و تحصي وزارة الداخلية 12805 جمعية محلية ذات طابع ديني، و عشر جمعيات وطنية ذات طابع ديني.[45] فالدولة تنظر إلى الزوايا، إنها إستراتجية تحد من تصاعد المد الإسلامي.[46] و من الصعب إحصاء أتباع مختلف الطرُق بالجزائر، و اقتصر إحصائهم على قيم تقريبية. مثل ما ذُكر في المرجع أدناه: "فالطريقة التيجانية وحدها تمثل

---

[40] المرجع السابق، ص239-240
[41] Belkheir GHALI, Op.cit.
[42] جورج الراسي، المرجع السابق، ص 860.
[43] المرجع السابق، ص861
[44] Belkheir GHALI, Op.cit.
[45] www.interieur.gov.dz/dynamics/fmltem.aspx?html , consulté le : 18/10/2011.
[46] Sossie ANDEZIAN, Op.cit, p.27

ما يزيد عن أربعة ملايين جزائري، فضلا عن أتباع الطريقة القادرية والهبرية وغيرها من الطرق الصوفية الأخرى."[47]

وعن سبب إنتماء زاوية ما، للجمعية الوطنية للزوايا أو الإتحاد الوطني للزوايا أو الرابطة الوطنية، فهو راجع أساسا لقناعات شيخ الزاوية. و هذا ما يُبينه الشيخ عبد القادر عثماني على سبيل المثال ، شيخ الزاوية العثمانية الرحمانية بطولقة ببسكرة في تصريحه قائلا: " هناك زوايا لا تتوفر على منهاج تعليمي ولا نظافة ولا تمت للدين بصلة بل سقطت في فك الفولكلورية والتدجيل والشعوذة. و لم ننضم كزاوية إلى الجمعية الوطنية للزوايا إلى اليوم، فالدولة لم تنظم صفوفهم وتضع كل الزوايا في نفس الخانة. و يضيف قائلا: أن بعض المسؤولين يريدون جر الزوايا نحو السياسة وهذه سفاهة لأن قيمة الزوايا في دورها الديني وليس في إنتماءها السياسي، وانغماس الزوايا في السياسة يعني إفراغها من بعدها الديني وأنها لم تصبح تخدم أصلها الذي تكون عليه بل لتحقيق أغراض شخصية إنتهازية وتوجيههم لأغراض انتخابية."[48]

فالشيخ يرى في الجمعية الوطنية للزوايا أنها إنتاج السياسي، الذي يسعى لتوظيف الإرث الرمزي و النفوذ الروحي لمختلف الطرُق و الزوايا لخدمة مشروعه السياسي. و يُؤكد الشيخ أن الزوايا مظهر و باطن رباني، لا يجوز تدنيسه بالسياسي.

بعد أزمة التسعينات التي عصفت بالجزائر، تم إعادة الإعتبار و تأهيل ظاهرة الطرقية كحقيقة اجتماعية و دينية و سياسية. و شهدت هذه الأزمة، فشل الإسلام السياسي و السلطة السياسية و للمجتمع بأكمله. و أكدت الأصوات الحليفة للزوايا أن الثقافة الإسلامية حسب المذهب المالكي و عادات و تقاليد المجتمع، تشكل أكبر عامل للإجماع و الوفاق، و الزوايا بالجزائر هي المؤسسة التي تحافظ و تدافع عن المذهب المالكي، باعتبار أنها تتبع المذهب المالكي. [49]

---

[47] Samira B, www.sawt-alahrar.net/online/modules , consulté le: 05/07/2011

[48] http://forum.univbiskra.net/, consulté le: 05/07/2011. بدون مؤلف

[49] Belkheir GHALI, Op.cit.

أما عن علاقة السلطة السياسية بالزوايا في العشرية الاولى من الألفية الثالثة، فيمكن حصرها في جانب إعادة تأهيل الزوايا، و طرق هذا التأهيل. و الإستراتيجية المتبعة ليست بالمعقدة، و ترتكز على الإعلام كثقل تسويقي للزاويا و رموزها، عبر وسائل الإعلام الثقيلة كالتلفزيون و الإذاعة[50]. مثل حصة الدروس المحمدية التي تقام بمقر الزاوية البلقايدية بوهران، و يقوم التلفزيون بتغطيتها طيلة شهر رمضان، تحت الرعاية الشرفية لرئيس الجهورية، و يحضرها مشاييخ من داخل الوطن و من مختلف بقاع العالم الاسلامي. إلى جانب تنظيم الملتقيات و الندوات الفكرية، التي تهتم بالإرث الصوفي من زواياه الإيجابية، مثل ما يقوم به قطاع الثقافة لولاية عين تموشنت، من خلال تنظيم ملتقى وطني كل سنة حول الإرث الصوفي و إنتاجاته التقدمية و التفتحية، برعاية السلطات المركزية ممثلة بوزيرة الثقافة و السلطات المحلية ممثلة بالوالي. و يضاف شكل آخر من أشكال التأهيل و هو الدعم المادي الذي إستفادت منه الزوايا، كالترميم أو التأثيث أو تجديد المؤسسات التابعة لها كالمدارس القرآنية. و هنا حال الزاوية الجازولية بولهاصة التي استفادت في سنة 2003 من تجديد هيكلها العام، و مدرسة قرآنية جديدة بالإضافة إلى ترميم مقبرة الزاوية. و كشكل آخر لإعادة بعث الزوايا الذي يتخذ بعدا أخلاقيا، هو توقير شيوخها و مريديها. مثل ما قاله الرئيس بوتفليقة لشيخ الجازولية لما زاره بمقر الزاوية بولهاصة "أنت شيخي"، حسب ما أكده مقدم الزاوية الجازولية للدراسة في مقابلة أجريت معه بتاريخ 25 جوان 2010.

و عبر هذا العرض المختصر للتاريخ الاجتماعي للزاوية، نستشف مدى عمقها في جذور الهوية الوطنية، إذ كانت و لازالت مشروع مجتمع بإمتياز.

على ضوء كل هذا، كيف سينعكس هذا الطرح العام على المستوى المحلي؟ من جانب إعادة تفعيل هذه المؤسسة، و ما مدى مستوى و طبيعة علاقاتها بالسياسي محليا؟، هذا ما سيحاول العرض الإجابة عليه معتمدا على نموذج لمؤسسة تقليدية هي زاوية كميدان للدراسة تتخذ من الطريقة القادرية منهجا لمسارها التصوفي. و لمعالجة الموضوع من

[50] Op.cit.

الجانب العلمي، يتعين ضبط الإطار النظري و المنهجي، حتى يبتعد عن العموميات. و هذا ما سيتم عرضه في الخطوات الآتية.

2- موضوع البحث:

مما لاشك فيه أن الموضوع يحمل إثارة علمية كبيرة، وعن الأسباب الموضوعية لإختيار الموضوع فهي:

- يقع مقر الزاوية المدروسة في إحدى السكنات الوظيفية بمؤسسة تربوية تحمل اسم متوسطة فاطمة الرحمانية، الموجهة لمستخدمي المؤسسة التربوية. و بعد الزلزال الذي ضرب مدينة عين تموشنت في ديسمبر 1999، قررت اللجنة الولائية لتعيين المواقع المهددة بالإنهيار التي تشكلت بعد الزلزال، بوضع المؤسسة التربوية بما فيها السكنات الوظيفية تحت الهدم. و الملاحظة الأساسية التي أثارت اهتمام البحث عند هدم المبنى الدراسي الذي كان يضم مقر الزاوية، لماذا استثنيت القاعات المخصصة كمقر للزاوية من الهدم؟. إذ تكون سلطة الدولة في دولة المؤسسات هي السلطة التي لا تعلوا عليها أية سلطة، و سلطة الدولة هي من أقدمت على هدم المبنى، فلماذا لم تُقدم ذات السلطة على هدم قاعات الزاوية التي هي جزء من المبنى المهدوم؟.
- تجلب جدلية السياسي و الديني اهتمام المثقفين و الباحثين و الصحفيين، و هذا ما يعطي للموضوع نوعا من الأهمية.
- الزاوية المراد دراستها لم يرد ذكرها في أية دراسة سابقة، بالإضافة أنها تقع بالمدينة التي اقطن بها.

أما الأسباب الذاتية التي دفعت لإختيار الموضوع فهي:

- السعي إلى فهم جزء من الواقع الإجتماعي لمؤسسة ضاربة جذورها في عمق المجتمع الجزائري، و التي لازالت مؤسسة يكتنفها الكثير من الغموض عند الكثيرين، بالإضافة لمحاولة الكشف عن المظاهر التغييرية التي شهدتها الزاوية.
- قد يتبادر للمستطلع على الدراسة تساؤل منطقي، يتمثل في أسباب اختيار الزاوية القادرية و ليس الزاوية الجازولية التي أصبحت زاوية مَعلَم مرتبطة بإسم ولاية عين

تموشنت. و الجواب هو لأسباب لوجستيكية تتعلق بإمكانيات الباحث، عكس الزاوية القادرية التي يمكن زيارتها في أي وقت و باستعمال الإجراء العشوائي المقصود.

تكمُن أهمية الدراسة في الكشف عن الآليات و الدوافع المحركة لتأسيس الزاوية، أي ما هي المشروعيات التي تبنتها و تَبَثَتها في الوسط المحلي لتبرير وجودها. و كيف عززت صفوفها و مكانتها بمريدين جدد ليتقبلها المخيال الشعبي المحلي، دون مقاومة في أحسن الظروف أو بمقاومة ضعيفة، من جهات دينية سلفية معروف عنها عداءها للصوفية بشكل عام. بالإضافة إلى فهم طبيعة العلاقات الفعلية التي تنسجها الزاوية مع الأحزاب السياسية المحلية، لاسيما الأحزاب المسيرة للمجالس المحلية المنتخبة على أرض الواقع. و بالخصوص علاقة الزاوية مع حزبي جبهة التحرير الوطني (الأفلان) و التجمع الوطني الديمقراطي(الأرندي)، كنموذجين لحزبين يترأس الأول المجلس الشعبي لبلدية عين تموشنت و يترأس الثاني المجلس الشعبي الولائي، خلال الفترة المدروسة.

تهدف هذه المحاولة لفهم ديناميكية الظاهرة الثقافية (الزاوية) منذ مرحلة التأسيس في الوسط المحلي، أي تسليط الضوء على داخل هذه البُنية لمعرفة المشروعية التـأسيسية التي اعتمدها شيخ الزاوية من جهة. و دراسة خارجها لفهم التفاعلات العلاقاتية، التي أحدثتها هذه الظاهرة مع الأحزاب السياسية المحلية من جهة أخرى.

يُحسب الفاعلون السياسيون للبلاد القدامى منهم في الحركة الوطنية على غرار مصالي الحاج، و المعاصرون في الدولة الوطنية بتأصل معظمهم من الزوايا أو تعاطفهم معها. و نذكر على سبيل الإستشهاد، رئيس الجمهورية الحالي السيد عبد العزيز بوتفليقة الذي إنتعشت الزوايا في عهدته، و وزيرة الثقافة السيدة خليدة تومي التي أسست زاوية أجدادها بالقبائل، وزير الشؤون الدينية السيد غلام الله من الطريقة الرحمانية، نفس الأمر مع السيد عبد العزيز بلخادم، و السيد نور الدين زرهوني صهر الشيخ الجازولي. و من صفوف المعارضة السيد حسين آيت احمد، الذي يعتبر جده الشيخ محند أوالحسين من أعلام الصوفية بالجزائر. فثقل هذه الأسماء على الساحة السياسية للبلاد يُظهر بصورة استطلاعية، مدى المكانة التي أصبحت تتمتع بها الزاوية في ظل هذه السلطة الحاكمة.

فهذه الرؤية العامة ستنعكس لا محالة على المستوى المحلي، لكن ما هي مؤشرات إنعكاس هذا الوضع على الزاوية المحلية؟.

ميـزة الزاوية موضوع الدراسة حداثة نشأتها، حيث يعود تاريخ تواجدها كزاوية إلى فترة الثمانينات و تقع في وسط حضري. يشرف على الزاوية *مقدَم* باعتباره الرجل الأول القائم عليها، يتردد على هذه المؤسسة أعدادا معتبرة من المريدين، من داخل و خارج المنطقة و الوطن. و يُظهرون ولاءًا *للمقدم* الذي يُنتج لهم خطابا رمزيا مُشبع بالقدسية و الرَبانية تارة، وخطاب دنيوي بعيد عن الديني تارة أخرى، واضعا مؤسسته في مرتبة الوسيط. وانطلاقا من نقطة تحديد هذه الزاوية للوضعية التي تتموضع فيها، و التي تظهر في توسطها بين الديني والدنيوي، تعطي هذه الوضعية نوعا من الراحة النفسية والآمان للمريدين على هذه الزاوية في قضاء حوائجهم. من خلال الإستعانة والإستنفاع ببركة *لمقدم* الذي بدوره يسعى جاهدا لتوظيف علاقاته بمختلف مستوياتها، لاسيما مع الإدارة المحلية لتحقيق مطالب السائلين و تسخير نفسه لخدمة القاصدين إليه من مختلف الفئات و الأقسام الإجتماعية.

إستطاعت هذه المؤسسة موضوع الدراسة، في مدة زمنية وجيزة نسبيا (أقل من عشرين سنة)، أن تفرض وجودها على المخيال الشعبي المحلي، من خلال قيامها بوظائف اجتماعية و دينية مختلفة، كالتوسط للناس لدى الإدارة المحلية أو الصلح بين الأفراد، و الإطعام على مدار السنة و الوعدة، و ضمان المبيت لعابري السبيل و أبوابها مفتوحة طيلة أيام السنة، إذ أنها تقوم بالوظائف الاجتماعية الكلاسيكية للزاوية عموما.

من الملاحظ أن الوظائف الدينية لهذه المؤسسة محدودة نوعا ما مقارنة بالوظائف الإجتماعية، و هذا ما يبرز في عدم وجود دروس لتعليم المبادئ التصوفية للطريقة، أو حفظة القرآن بشكل دوري و دائم. إلا ما اقتصر على محاولات *طَالَـب* مقيم بالزاوية من ولاية مجاورة، تصادفت الدراسة بوجوده في مرحلة البحث الميداني، و سعيه لجمع مجموعة شُبان و تحفيظهم القرآن، لكن مساعيه باءت بالفشل و هو في تنقل مستمر و غير منتظم بين الزاوية و بيته. فلهذا اقتصر نشاطها الديني على تلاوة الذكر الجماعي، بين

لمقدم و *الفقرا*، أو الذكر الفردي الذي يتلوه أحد أعضاء الزاوية بمفرده، فتلاوة الذكر بالزاوية هو بصفة منتظمة و دائمة.

تدرس إشكالية الموضوع مؤسسة الزاوية كبنية من الداخل، و تحليل عناصرها المكونة لها. و يتناول أول عنصر، الواقع التأسيسي للزاوية و المشروعيات التي تبنتها و إعتمدت عليها كمرجعية تأسيسية في وسطها المحلي. و ثاني عنصر من بين العناصر المكونة لداخل الزاوية يبرز عنصر الخطاب، الذي توظفه الزاوية للتعبير عن هويتها التصوفية من جهة و لإستقطاب جموع المريدين من جهة أخرى. و ثالث عنصر مكون لداخل الزاوية هو الفعل الممارساتي، أي النشاطات الدينية و الإجتماعية التي تقوم بها الزاوية و التي تؤدي وظيفة ترويجية للزاوية و طريقتها من جهة، بالإضافة للدورها الإقتصادي من جهة أخرى. أما العناصر المكونة لخارج الزاوية، سيُتطرق إليها من جانب علاقة الزاوية مع مختلف المؤسسات السلطوية كالإدارة المحلية و بالأحزاب السياسية. أي البحث في الإجراءات الأنثروبولوجية المتخذة أو المتبعة من أجل تأسيس الزاوية بوسط محلي و في الوقت الراهن. و كيف تنسج العلاقات الفعلية للزاوية بالأحزاب السياسية المحلية الممثلة في المجالس المنتخبة؟. تساؤل يتم الإجابة عليه من خلال الميدان، الذي عبر عنه الأنثروبولوجي كلود ليفي ستروس عندما قال:"لا يوجد مرجع أكثر موضوعية، أكثر هدوء و أكثر وضوحا من الميدان"[51].

و على هذا الأساس ارتأت الدراسة طرح التساؤل على النحو التالي، ماهي الإعتبارات الأنثروبولوجية الفعلية لتأسيس زاوية في وسط محلي؟ و إلى أي مدى تستطيع هذه المؤسسة أن تنسج علاقاتها بالأحزاب السياسية المحلية المنتخبة في المجالس المحلية؟.

- تستند مشروعيات الرجل الصالح إلى ثلاثة مستويات: مشروعية النسب الشريف، و مشروعية العلم بالكتاب و السنة، و مشروعية المعجزات.[52] فهل لازالت الزوايا حاليا، تقوم على مثل هذه المستويات من المشروعية أم طرأ عليها تغيير؟.

[51]Claude LEVI -STRAUSS, cité par François LAPLANTIN, *La description ethnographique*, Ed. Nathan, Paris, 1996, p. 14.
[52]Octave DEPONT, Xavier COPPOLANI, cité par Nadir MAROUF, *Les fondements anthropologiques de la norme maghrébine*, Ed. L'Harmattan, Paris, 2005, p. 104

- يُحسب للزاوية أنها تقوم بوظائف اجتماعية متنوعة يشارك فيها عدد كبير من أعضائها و تقدم خطابا قدسيا جذابا لمريديها، و تتموضع في شبكات وطنية و إقليمية و دولية. و هذا ما يجعل منها مؤسسة ذات ثقل اجتماعي، يسعى أي مشروع سياسي للمراهنة عليها في الاستحقاقات الانتخابية و كسبها إلى صفه. فما هي طبيعة علاقة الزاوية المدروسة بالأحزاب المحلية؟.
- صنف نجيب مهتدي، في كتابه[53] « Pouvoir et religion au Maroc »، المكانة التي تحتلها الزاوية في الحقل السياسي إلى قسمين، زاوية متحولة و زاوية متوقفة. "فالزاوية المتوقفة هي بنية لا تعني أنها جامدة، بل شهدت تغييرات داخلية، دون المساس بقالبها الخارجي (...) و هي تكبر و تتطور في حدود مسارها المُخطط له من قبل (...) و من مظاهر التغيير الداخلي، أن تُدخل بعض التغييرات على الورد (...) و هي على هذه الوضعية، إلى غاية بداية تفكير هذه الزاوية، بإعادة تموقعها اتجاه الزوايا الأخرى، و باتجاه السلطة و تنتج وعيا جديدا لها".[54]، و مع هذا التحول تصبح الزاوية متحولة. أما "الزاوية المتحولة فهي لا تعني القطيعة، بل تحافظ على شكلها الأوَلي لكنها تحاول التأقلم مع ظروف و حالات محددة، أو تعتاد على اتجاهات جديدة، و في بعض الأحيان خارجية (...) و لا يخرج نطاق و مجال فعلها عن دائرة اهتمام السلطة السياسية."[55] و لما أرادت الدراسة، تصنيف الزاوية

المدروسة ضمن طرح نجيب مهتدي، أفرز ميدان البحث لهذه الدراسة تصنيف آخر اصطلحت عليه الدراسة بالزاوية الإنبعاثية.

تعتمد هذه الدراسة على المقاربة الانثروبولوجية، فهي القائد الموجه في اختيار انسب منهج استندت عليه المحاولة البحثية. فالمنهج الكيفي "الذي يستند لدراسة حالة أو مجموعة مصغرة من الأفراد."[56] هو المنهج المعتمد في عرض أطوار البحث، لفهم و تفسير تصور المشروعية التأسيسية التي اعتمدتها الزاوية، و علاقاتها الخارجية بالأحزاب السياسية. حيث اعتمدت هذه الدراسة التحليلية على المقاربة الثلاثية التخصصات.

[53] Najib MOUHTADI, Op.cit.p :71.
[54] Op.cit. p.58.
[55] Ibid.
[56] Maurice ANGERS, *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, Ed. Casbah université, Alger, 1997,p. 60

« Anthropologie à la fois sociologisée et historicisée ».[57]،« Tri-disciplinaire »

و لا تنتمي هذه المقاربة لمدرسة نظرية مشتركة، فهي تجمع بين الأنثروبولوجيا و السوسيولوجيا و التاريخ. و تسجل ضمن الطرح الحديث للأنثروبولوجيا، "التي تهتم بمواضيع التغيير الإجتماعي، و الظواهر المعاصرة و ظواهر السلطة، إنها أنثروبولوجية سوسيولوجية تاريخية، سوسيو- انثروبولوجية تحاول إشراك وجهة نظر الفاعل و تحليل النظام و المصادر الجماعية"[58]. و لجأت الدراسة لهذا المنهج، نظرا لخصوصية الموضوع من حيث الصعوبة و التعقيد، كونه يليق بمثل هذا النوع من المواضيع التي تعالج مجتمعات منغلقة على ذاتها، كي يعطي مرونة و ليونة في معالجة الظاهرة و الإحاطة بجوانبها، خاصة الأحداث التاريخية التي غابت تفاصيلها عن البحث، نظرا لأن البحث لم يكن جاريا في وقتها.

ستحاول الدراسة الاستعانة بالمنهج التاريخي بالنسبة لعرض عناصر الفصل الثاني بالخصوص، و الذي يدرس التاريخ الاجتماعي لمنطقة عين تموشنت. أما مقاربة الفصل الثالث و الرابع فاعتمدت على المنهج الأثنوغرافي، و هو الوصف الدقيق للمعطيات المستقاة من الملاحظة و المقابلات أي من العمل الميداني.

أما الفصل الخامس، فسيحاول العرض الاعتماد على المنهج التحليلي، "لترجمة المقابلات المنجزة (...) و تحليل المسكوت عنه، هو وسيلة لمساؤلة ما لم يصرح به المستجوب"[59]، و لفهم الحراك الذي ينتج عن العلاقات الخارجية للزاوية مع الأحزاب السياسية المحلية.

3- تقنيات البحث:

يحتاج البحث الميداني إلى وسائل و أدوات تساعد الباحث في جمع مختلف البيانات و المعطيات المرتبطة به، و منها "الوثائق الشفوية التي تحتفظ بتقاليد و طقوس و خطاب

[57] Jean-Pierre Olivier DE SARDAN, « L'enquête de terrain socio-anthropologique », corpus, sources et archives, Institut de recherche sur le Maghreb contemporain, 2001, p. 64.
[58] Ibid.
[59] Thomas GAY, *L'indispensable de la sociologie*, Ed. Studyrama, Levallois- Perret, 2004, p. 99.

سياسي و حوارات، فكل أشكال الثقافة تمر بتعبير لفظي."[60] إذ اعتمدت الدراسة على السرد الشفوي بنسبة كبيرة، نظرا لإنعدام الوثائق المادية التاريخية التي تحدد الفترة و الفاعلين المؤسسين لهذه الزاوية.

إستندت الدراسة على الملاحظة للتحقق من الإفتراضات في الواقع،[61] و النوع المُركز عليه هي الملاحظة المباشرة. و يقوم هذا الأسلوب على "رصد الحركات والتصرّفات، وتسجيل ما يجدر تسجيله من حوارات وأغان وتراتيل، وما إلى ذلك من التعبيرات التي يبديها الأفراد في هذه المناسبات." [62] و تسمح بمعاينة تفاعل *لمقدم* و مريديه، من حيث نوع العلاقة التي تجمع بينهم و غير المُصرح بها. و تم تسجيل هذه الملاحظات في دفتر الميدان، و في لحظته الآنية كونه "أداة رئيسية للإثنوغرافي"[63]. كما تم تسجيل الوصف الداخلي للزاوية، في شبكة ملاحظة (انظر الملحق رقم 01).

بالإضافة إلى إستعمال تقنية المقابلة "لملاحظة أفعال المستجوَب و غير المصرح عنها لفظا، و تعتبر هي الأخرى جزء من الخطاب."[64] كان الإعتماد على المقابلة متباينا و مختلفا من حيث نوعها، وذلك حسب المسار الذي إتخذه البحث الميداني. و إرتبط نوع المقابلة بمراحل البحث في بعده الزماني و بعده المعلوماتي، فلا شك أن المعلومات التي نبحث عنها في بداية البحث تكون بمثابة عموميات، عكس ما نبحث في أواخر البحث حيث نركز على الجزئيات. و على هذا الأساس يمكن التكلم عن مقابلات غير موجهة، و مقابلات نصف ـ موجهة.

3.1 - **المقابلة غير- الموجهة:** و استعملت في المراحل الأولى للبحث خاصة في اللقاءات الأولى *بلمقدم*، و كانت هذه المقابلات تهدف إلى الكشف عن مختلف المواضيع التي ترتبط بالزاوية عموما. و كانت مقابلات إستكشافية ذات معلومات عامة، تتعلق أساسا بالفكر الصوفي و الطرُقي و ماهية الزاوية. و هنا يترك المجال مفتوحا للحوار وبقيت

---

[60] Jean COPANS, *Introduction à l'ethnologie et à l'anthropologie*, 2e Ed. Armand colin, 2005, P. 21.

[61] Maurice ANGERS, Op.cit, p. 06

[62] عيسى الشمّاس، ***مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا)*** ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2004 ، ص133. موقع الكتاب العر http://www.awu- dam.org

[63] Stephane BAUDE, Florence WEBER, *Guide de l'enquête de terrain*, Ed. La Découverte, nouvelle édition, Paris, 2008, p. 94.

[64] Maurice ANGERS, Op.cit, p. 143.

الدراسة في موقف" تفهم أو تقمصي"[65]، أي التموضع في مكان الآخر من أجل فهم خطابه بكل أبعاده و إنتماءاته الثقافية و الإجتماعية. وحسب اوليفيي دو صردان[66] فإن هذه المرحلة من البحث تعتبر المبحوث كـ"مستشار" (consultant)، يزود البحث بمعلومات عامة.

3.2- **المقابلة النصف ـ موجهة:** يعتبر الإعتماد على هذا النوع من المقابلة نقلة نوعية في مسار البحث. و إعتمدت الدراسة هنا على دليل المقابلة، لتحديد أهم المواضيع التي يجب التطرق اليها مع *لمقدم* و مريديه. و تهدف هذه المقابلة لإبراز علاقة كل عنصر في داخل بنية الزاوية،و البحث في علاقات الزاوية من الخارج بمختلف الشركاء الإجتماعيين.

أما عن عينة الدراسة، فإن طبيعة الموضوع لم تسمح بتحديد العينة بصفة مسبقة و دقيقة، إلى درجة يمكن اعتبارها غائبة في الموضوع. لأن خبايا و إجراءات التأسيس لا يعلمها إلا الفاعل الأول و المشرف على عملية التأسيس *(لمقدم)*، لذا لم يحسم في تحديد تصور نظري مسبق لعينة البحث، من داخل أو خارج الزاوية و محاورته عن عملية التأسيس. غير أن هذا الوضع لم يكن سببا في اقتصار البحث على استجواب *لمقدم* لوحده، بل كانت مراحل تَقدُم البحث الميداني، تُفرز و تُظهر متغيرات أو عناصر لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع الزاوية، إرتأت الدراسة لإستجوابها كإثراء للموضوع. و هذا ما ينطبق على *مقدمة* "مقام مولاي عبد القادر" التي حاورتها الدراسة لمعرفة أصل علاقتها بالزاوية المدروسة، بإعتبار أنهما يشتركان في نفس المنهج الصوفي و هو الطريقة القادرية. إضافة لإستجواب مقدم الطريقة الجازولية بولهاصة، لمعرفة علاقة الزاوية الجازولية بزوايا المنطقة عموما و الزاوية المدروسة خصوصا. كما حاورت الدراسة المتدينين السلفيين لمعرفة تصوراتهم و مواقفهم إتجاه الزاوية، إضافة لمحاورة بعض المنتخبين المحليين للكشف عن طبيعة العلاقة التي تجمع الزاوية بالسلطة المحلية.

تعتبر الدراسة الإستطلاعية إجراء أولي يسبق الدراسة الفعلية للموضوع لتهيئة الأرضية اللازمة للميدان، و غالبا ما يكون الميدان الأول برؤية ضعيفة. و لإزالة هذا

[65]Madeleine GRAWITZ, *Méthodes des sciences sociales*, Ed. Dalloz, Paris, 1972, p.641
[66]Jean-Pierre Olivier DE SARDAN, Op.cit, p.63-83

العائق وجب على البحث الإنطلاق من القراءة و الإستطلاع و إستشارة أهل العلم و التخصص، بغرض تكوين رصيد معرفي وافر عن الموضوع.

إمتدت زيارة الميدان على مدى تسعة عشر شهرا، و هذا إبتداءا من شهر فبراير 2009 إلى غاية سبتمبر 2010. و توزعت هذه الزيارات الميدانية بين الملاحظة و المقابلات، كملاحظة و محاورة المواطنين الذين يقطنون أو يشتغلون بجوار الزاوية، و تباينت أرائهم و مواقفهم إتجاه الزاوية، و كان هذا ما بين شهر فبراير إلى أفريل 2009. أما زيارة الزاوية فكانت إما مبرمجة بموعد مع *لمقدم* أو غير مبرمجة، أو زيارات مجاملة بمناسبة إحدى الإحتفالات الدينية أو الوطنية من دون إجراء أية مقابلة. كما ألغيت بعض المواعيد مع *لمقدم* نظرا لإرتباطاته الشخصية أو العملية، إضافة إلى بعض فترات القبض الذي كان يراود *لمقدم*، فكان يعتزل الناس و الكلام معهم و يُكثر من الذكر و التسبيح. ففي هذه الحالة كانت الدراسة تكتفي بمجالسة بعض أتباعه و شرب القهوة معهم أو تناول

وجبة الغذاء أو العشاء و هذا حسب كل فترة، غير أنهم كانوا متحفظين في أحاديثهم، و كانوا يحبذون أن تكون خارج موضوع الزاوية، و ربما يرجع هذا لتوصية *لمقدم* لهم بعدم إطالة الحديث معي و هذا هو الأرجح.

و بخصوص الدراسة الفعلية للموضوع فكانت منذ شهر جوان 2009، و استمرت إلى غاية سبتمبر 2010 مراعاة للزمن المحدد. و كانت على فترات متقطعة نسبيا نظرا للإلتزامات الدراسية، لكن الدراسة حرصت أن لا ينقطع التواصل مع الزاوية، حيث كانت الدراسة تزور الزاوية مرة في الأسبوع أو الأسبوعين على الأقل.

و خطوات الدراسة جاءت على مرحلتين و هما: القراءة النظرية لكل ما تعلق بالموضوع، و العمل الميداني الذي يميز المقاربة الأنثروبولوجية بالخصوص.

ما من موضوع يعالج قضايا إنسانية بالخصوص إلا و تواجهه جملة من العوائق و العراقيل، يستوجب على الباحث تخطيها للمُضي قدُما وراء تحقيق الهدف المنشود، و هو التعرف على الواقع الإجتماعي بطرق علمية. و من ضمن هذه العراقيل التي كانت بمثابة دافع و حافز يشجعان البحث قبل أن تكون حجرة عثرة، ما تعلق بالصعوبات المنهجية و

الإبستمولوجية، فهل تنطلق الدراسة من تحديد النظرية العامة أولا ثم النزول للميدان؟، أم ترك الحرية التامة للميدان في تحديده للنظرية أو النظريات التي يتبعها البحث؟. فمن خلال المطالعات تبين للدراسة أن الميدان هو وحده المحدد للمنهاج الذي تتبعه الدراسة، و هذا ما أكدته "سوسي اندزيان"، "بعيدا عن نفي أو تأكيد النظريات العامة في ميدان البحث، فكل باحث في الأنثروبولوجيا مدعو لإثراء نظرياته العامة باقتراح قراءة نظرية جديدة للظواهر الإجتماعية، انطلاقا من تجربته الميدانية التي هي جديدة و فريدة." [67]

بالإضافة إلى صعوبة تتعلق بطبيعة الموضوع، فالمواضيع التي تدرس المجتمعات المنغلقة على ذاتها تُـعامل الباحث بتحفظ شديد، فالوقت هو وحده الكفيل لإذابة هذا التحفظ. و هذا ما حصل مع الدراسة، فلم تستطع التطرق لإستجواب *لمقدم* في قضايا حساسة كالوثائق المادية أو المصادر المالية للزاوية مثلا، إلا بعد أن إعتبرتني الجماعة واحدا منها أي *فـقـيـر*، حين أعطاني *مقدم* الزاوية الطريقة و الوسيلة في حضرة ذكر بحضور جمع من (*إخـوانـي الفقرا*). فكان هذا الحدث بمثابة دافع من الناحية المنهجية، حيث ارتقت الدراسة من مرحلة الملاحظة المباشرة إلى الملاحظة بالمشاركة.

و لم تتحصل الدراسة على هذه المزية إلا بعد مرور سنة و شهرين منذ أول لقاء تعارف مع *لمقدم*، و لضيق الحجم الزمني، لم تستفد الدراسة من هذا الإجراء لأن الموضوع كان في مرحلة التحرير النهائي.

كما شكّـل مضمون المقابلات صعوبة للدراسة، من حيث اختيار مواضيع الإستجواب و في الفترة المثالية.

إن الإرث الأكاديمي المرتبط بالإنتاجات العلمية لمواضيع التصوف كم هائل و غزير، عالج كل المحطات و المراحل الكبرى للمتصوفة. منذ مرحلة الظهور و ما واجهته من تحديات دينية و اجتماعية و سياسية، إلى دراسة بنائها التصوفي المرتبط بالطريقة و ما تحمله من معاني و دلالات تصوفية، وصولا إلى شكل الرباط الذي مهد لنشأة الزوايا. غير أن المرحلة المعاصرة لازالت إنتاجاتها العلمية تعرف ضعفا مقارنة بالإرث الكلاسيكي الكولونيالي، و هذا ما يفسر اعتماد الدراسة على عدد قليل من المراجع الحديثة

[67] Sossie ANDEZIAN, Op.cit.p. 35.

المرتبطة مباشرة بالموضوع. و لفتت النظر سوسي اندزيان الى هذا، لما عبرت عن العوائق التي واجهت الانثروبولوجية الدينية بالجزائر، هو عدم تقليد الابحاث الإستعمارية[68].

4- خطة الصياغة:

و لمعالجة هذا الموضوع، قُسمت الدراسة إلى خمسة فصول و خاتمة ستورد كما يلي:

بادرت الدراسة في البداية بتقديم عام لضبط الإطار النظري للبحث، و هذا بغية ضبط بعض الميكانيزمات المحركة للبحث، من خلال التركيز على الإشكالية التي تعتبر قاعدة البحث و دعامته. بالإضافة إلى عرض المنهج المتبع و التقنيات المستعملة لجمع المعطيات الميدانية، و عرض الفرضيات في شكل تساؤلات فرعية.

أما الفصل الثاني فقد خُصص للجانب التاريخي، من خلال عرض التاريخ الاجتماعي لمنطقة عين تموشنت، منذ فترة التأسيس إلى غاية قيام الدولة الوطنية، إضافة إلى عرض إحصائي لأهم الطرق الصوفية التي وُجدت إبان دخول الاستعمار الفرنسي للمنطقة، و عنصر إحصائي للزوايا المتواجدة حاليا. و النقطة الأخيرة من هذا الفصل، تناولت عرض تأثير الطريقة القادرية على المنطقة.

و عن الفصل الثالث، فهو دراسة الأساس التصوري لمشروعية التأسيس، بعنوان تصور المشروعية التأسيسية و بنية الزاوية القادرية. و الفصل الرابع يعرض الأساس الممارساتي و الأساس الخطابي للزاوية.

و يعالج الفصل الخامس المكانة التي تحتلها الزاوية في الحقل السياسي المحلي، و عن التحديات التي تواجهها لاسيما منها التحديات السياسية و الاقتصادية.

و خُصص الجزء الأخير لنتائج البحث، و المقترحات و التوصيات التي خرجت بها الدراسة.

[68] Op.cit.p. 30

5- المفاهيم الإجرائية:

5.1 التصوف:

بعيدا عن المفهوم الإصطلاحي لكلمة الصوفية، و الذي ورد في الكثير من الكتابات التي تناولته و ربطته بالصوف أو الملابس الصوفية التي كان يرتديها المنعزلون عن الشهوات الدنيوية، و المنقطعون إلا لعبادة المعبود. يُرجح المؤرخون تاريخ ظهورهم إلى القرن الثامن الميلادي بالعراق و رائدهم الحسن البصري[69] المتوفى عام 728م. أما ابن خلدون في مقدمته تحدث عن علم التصوف أنه:" هذا العلم من العلوم الشرعية (...) طريقة الحق و الهداية و أصلها العكوف على العبادة و الإنقطاع إلى الله تعالى، و الإعراض عن زُخرف الدنيا و زينتها، و الزُهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه، و الإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، و كان ذلك عامًا في الصحابة و السلف."[70] و بهذا التعريف يكون ابن خلدون، قد ربط الممارسة التصوفية بالسلف و الصحابة.

"فالتصوف تجربة فردية، تنطلق من العزلة و التقشف و التأمل، و يُؤتى صاحبها الكرامات التي تؤدي إلى القيام بأعمال تتفق و الإيمان الصحيح."[71]

5.2 الطُرُقية:

تعتبر الطريقة للزاوية بمثابة المصدر و المرجع الروحي، الذي يغذي روح جموع المنتسبين لتلك الطريقة بالصفاء و النقاء و الإرتقاء الإيماني. عرفتها – شيمل- "مصدرالطريقة الشريعة (...)، و للوصول إلى درجة المتصوفة لابد من إتباع تعاليم الشريعة، تقود الطريقة السالك في سلوكه إلى مختلف المحطات – المقامات- لبلوغ هدفه و هو التوحيد المطلق لله".[72] و " توصف الطريقة الصوفية أحيانا كأنها سُلم، دَرَج يؤدي للسماء و يصعده السالك بتمهل و صبر، نحو مستويات تجريبية أكثر ارتفاعا"[73]. أما ابن

---

[69] Jamine, et Dominique SOURDEL, *Dictionnaire historique de l'islam*, PUF, 1996, p. 766.

[70] عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون، ***المقدمة***، تحقيق،درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 2002 ،ص499.

[71] جورج الراسي، المرجع السابق، ص 211.

[72] Annemarie SCHIMMEL, *le soufisme ou les dimensions mystiques de l'islam*, traduit de par Albert Van Hoa, Ed. CERF, Paris, 1996 p.131.

[73] Op.cit.p :139

خلدون فعرف الطريقة الصوفية ، هي ذلك "النموذج المختص بخدمة الله و بالمجاهدة"[74].
وعُرفت في المعجم التاريخي للإسلام إنها:" تجمعات تسلسلية ترتبط بطقوس تُلقن و تحدد قواعدها، عن طريق مؤسسها أو احد الأقطاب الأوائل المؤسسين لها، يستند تنظيمهم على مبدأ تخليد التعليم المتوارث من الشيخ إلى المريد تبعا للسلسلة التي تحدد خاصية كل طريقة، تسمح كل طريقة حسب منهاجها المتبع بالدخول في اتصال مع الله. و اتسعت رقعة الطرقية عبر ربوع البلاد الإسلامية، في القرن الثاني عشر"[75]. تَحولَ التصوف الفردي، إلى ظاهرة اجتماعية من خلال الطرق و الزوايا[76]. فعكس التصوف، فان "الطرقية تجربة جماعية، غالبا ما يكون في أصلها أحد المتصوفة، و هي تتخذ شكل أخويات دينية لها طقوس و هياكل معينة، يأتي أحد العقلاء و يقترح طريقة، و يضع شروطا للإنتساب إليها و يكون بصفة فردية."[77]

5.3 الزاويـة:

الزاوية هي البُنية التي تجمع في فضائها الأعضاء المنتسبين إليها، أين يمكن لهم ممارسة شعائرهم و طقوسهم في كنفها، بالإضافة لقيامها بمختلف الأدوار الإجتماعية لفائدة المجتمع المحلي. حسب المعجم التاريخي للإسلام[78]، فإن أول ظهور لها هو ببلاد المغرب في القرن 14م، وكان مفهوم الزاوية يدل في بداية إستعمالاته على مقام بداخل مكان مخصص لذلك، أو ركن منعزل يأوي إليه المتعبد مع بعض أتباعه. و بعدها تطور مفهومها و أصبحت مكان واسع، يجمع مجموعات صوفية تنتمي لطريقة معينة. و كل زاوية تضم مسجد و قبة لضريح الولي الذي تحمل إسمه، وتحتوي على قاعات مخصصة لتلاوة القرآن ودراسة العلوم و قاعة مخصصة للتعليم الإبتدائي للأطفال و مسكن مهيأ للطُلبة الدارسين للقرآن، و مسكن آخر مخصص *للفقرا* و عابري السبيل، و قد تحتوي على مقبرة يدفن بها مؤسس الطريقة وبعض أتباعه، فالزاوية ككل جامعة للدين

[74] Ibn KHALDOUN, *La voie et la loi ou le maitre et le juriste*, traduit de l'Arabe, présenté et annoté par René Pérezéd, Ed. Sindbad, Paris, 1991.p. 103.
[75] Jamine, et Dominique SOURDEL, Op.cit. p:768
[76] جورج الراسي، المرجع السابق، و نفس الصفحة.
[77] المرجع السابق، ص212.
[78] Jamine, et Dominique SOURDEL, Op.cit. p:864

ومكان مجاني للمبيت. و أرجع كمال فيلالي[79] أصل الزوايا بالجزائر، بعدما تأسست أوائل القبائل المرابطية، حيث اجتمعت الزوايا تحت لواء الرباط بغرض الجهاد منذ القرن 17م. و بعد انقضاء المَلَكية تحول الرباط، إلى زاوية ضمت و وحدت الروابط المشتركة لهذا الرباط. و الزوايا نوعان: الزاوية الأصلية المرتبطة بالشيخ مؤسس الطريقة، و الزاوية الفرعية التابعة، و قد يؤسسها شيخ الطريقة أو احد أتباعه الأغنياء أو بمساهمة جماعة من المنتسبين القاطنين بجوار الزاوية و يشرف عليها مقدم[80].

5.4 المرابطية:

تختزن ثقافتنا الصوفية الوطنية في طياتها مفهوم *لَمرابَط* أو *شْرِيف*، الذي يُكنى لفئة من الناس دون غيرهم، و غالبا ما يكونوا من سلالة الرسول محمد صلى الله عليه و سلم ، و يتمتعون بإحترام و تقدير كبيرين. "ينظر إلى المرابط أنه الكائن القادر على كل شيء من خلال إمتلاكه لسلطة البركة الإلهية، أو النظر إليه على أنه مخلوق بشري أعلى من الآخرين، و ثاني خاصية تميزهم أنهم محليون يمارسون سلطتهم في قرية معينة وعلى القبائل المجاورة لهم، فهو تأثير إقليمي"[81].

يكتسب المرابط أو الولي هذه الصفة، عن "طريق توارثه لإنتماءاته للسلالة النبوية الشريفة، و مرابطين المغرب العربي قدموا من ... الساقية الحمراء و احتلوا فضاءات جغرافية، و حالفتهم بعض القبائل و أعطتهم القداسة و الزعامة"[82].

و يشابه هذا التعريف إلى حد مطابق ما جاء به جورج الراسي الذي اعتبر المرابطية، "إنها امتداد اجتماعي لبروز ظاهرة المتصوفة، و الأولياء الصالحين و القدسين في الإسلام"[83]. إلى جانب أنهم يمثلون ارستقراطية دينية، اذ كانوا يؤثرون في الحياة

---

[79] Kamel FILALI, *L'Algérie mystique : Des marabouts fondateurs aux khouan insurgés,15e - 19e*, Ed. Publisud, Paris, 2002, p.104.

[80] رضوان لحسن، ***الدور التربوي و الاجتماعي لزاوية سيدي بلكبير***، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تلمسان، 2005/2004. ص: 113.

[81] Edmond DOUTTE, *Note sur l'islam Maghribin marabouts*, extrait de la revue de l'histoire des religions, Tomes 11 et 12, Ed.Ernest Leroux, Paris, 1900. Livre numérisé en mode texte par : Alain Spenatto. www.algerie-ancienne.com P. 18.

[82] Kamel FILALI, Op.cit. Sainteté maraboutique et mysticisme, « Contribution a l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination ottomane ».

[83] جورج الراسي.المرجع السابق. ص:224.

الاجتماعية لاسيما بالريف، من خلال هيمنتهم على الحقل الديني و الأخلاقي، فكانوا المرجع الشرعي الوحيد لسكان الريف.[84]

5.5 لـمقـدم:

تعتبر شخصية *لمقدم* في الزاوية الشخصية المحورية، خاصة في الزوايا التي لا يكون على رأسها شيخ يشرف على تسييرها، و هذا حال الزاوية موضوع الدراسة. إذ يكون هو المشرف الأول لكل أمور الزاوية، من تعليم للقرآن أو تلقين الورد و اللأذكار، و تمثيل الزاوية خارجيا. " فهو ممثل إقليمي و منفذ حرفي لتعاليم الشيخ الشفوية أو المكتوبة و هو المروج الحقيقي لتعاليم الطريقة فهو روحها، و يأخذ مرتبة العالم على مستوى الزاوية التي ينشط بها."[85] و تُترجم كلمة *لمقدم* في المخيلة الشعبية بالمعنى التالي، "اللام: لا يفعل ما يخالف شرع الله، الميم: ماله من رزق كله يرجع للطريقة و الطريقة في خدمة الدين، القاف: قارئ أي غير جاهل، الدال: دال على شيخ و الشيخ دال على الرسول صلى الله عليه و سلم و الرسول صلى الله عليه و سلم دال على الله"[86].

5.6 الـمـريـد:

هو الفرد المنتسب و المجتهد في تعلم الطريقة التي تنير دربه، من خلال مجالسة و مصاحبة شيوخ الطريقة. " فهو الشخص الذي يُسخر نفسه للخدمة الخاصة للشيخ، و لا يحق له إخفاء حالته الإيمانية على شيخه، سواء شرفه الله بكرامات أو آتاه الله بمعجزات أو لديه رغبة يريد تحقيقها"[87]. فمفهوم المريد لا يتضح إلا من خلال استعراض، العلاقة التي تجمع المريد مع شيخه. و يعرفه عبد الله حمودي انه " الباحث عن العلم من مجالسة الشيوخ منذ ريعان شبابه إلى أن يصبح هو بدوره شيخ زاوية، و هذا هو حال سيد الحاج

[84] Belkheir GHALI, Op.cit.
[85] Octave DEPONT, Xavier COPPOLANI, Op.cit, P. 195
[86] رضوان لحسن، نفس المرجع، ص 113.
[87] Octave DEPONT, Xavier COPPOLANI, op.cit, p :203

علي مؤسس الزاوية الدرقاوية بمنطقة إِلِغْ (المغرب)، الذي بدأ مشواره التعليمي التصوفي في سن العشرين"[88].

5.7 الحضرة:

هي الموعد الذي يحضر فيه مريدي الطريقة من مختلف المناطق، سواء داخل الوطن أو خارجه، للقاء الشيوخ و التعارف و تدارس الأمور و إصلاح ذات البين. "فهي تجمع كبير و موسع و مناسبة احتفالية على شرف أحد المرابطين، تقام مرة أو مرتين في السنة، يأتيها مختلف المنتسبين إلى الطريقة أو من ينوب عنهم لملاقاة الشيخ، و تكون بذلك مجالا للقاء و معالجة مختلف القضايا التي تهم الجماعة."[89]

5.8 الإجـازة:

يُقصد بالإجازة الشهادة التي تُخول صاحبها الإعتراف الصريح من شيوخ الطريقة بكفاءته العلمية، فهي المشروعية العلمية المعرفية الطُرُقية لصاحبها. "هي الحجة أو الرخصة مدونة في شهادات مكتوبة بعناية شديدة التدقيق، فهي بمثابة فأل ليس له مثيل، و بها يحصل الشيخ المستخلف بالإعتراف و المصداقية أمام الخلفاء و *لمقدمين* و القاعدة الموسعة من أتباع الطريقة."[90]

5.9 الفـقرا:

يُطلق لقب *لفْقِير* على كل فرد سخر نفسه لخدمة الطريقة الصوفية التي يتبعها، من خلال نشره للطريقة و تلقنه و تلقينه لأذكار و ورد الطريقة. و "يرتقي المريد إلى *فقير* بالمعنى الصوفي للكلمة، و الذي يعني الرجل الذي اختار لنفسه الفقر ليبلغ مراده، ألا و هو الفوز بجوار ربه، فالفقر أول درجة من درجات التصوف."[91]

---

[88] عبد الله حمودي، ***الشيخ و المريد***، *النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة*، ترجمة، عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 115.

[89] Louis RINN, op.cit, P. 84.

[90] Octave DEPONT, Xavier COPPOLANI, op.cit, p. 198.

5.10 الـورد:

هو روح الطريقة و منهجها الذي يحدد انتماءاتها التصوفية، فورد الطريقة القادرية يختلف عن ورد الطريقة التيجانية مثلا، من خلال الصلاة و السلام على صاحب الطريقة و الواجبة ذكرها في مستهل كل ورد. " فهو المسار الذي يضيء و ينير درب الروح بالنور الإلهي الذي يخلص النفس من خشونتها، و يسمح للروح بالإرتقاء إلى العالم اللامرئي. و بهذا تصل الروح إلى وسيلة العصمة من الخطأ للوصول إلى أعالي السماء، لتتكشف الروح مع روح الله، و هو المبدأ الذي لا يتحقق إلا بصفاء الروح، و تتجلى ملامح صفاء الروح للمريد في: الطمأنينة و السكينة و الفضيلة و القيم السماوية و شرط الحضور مع الله"[92].

5.11 الذكر:

و هو مجموع القراءات التي تُذكر و تُكرر بعد أو قبل كل صلاة، بصفة فردية تقتصر بكل مريد على حدى أو بصفة جماعية تشاركية. " فهي التراتيل التي توصل اسم المتوسل إليه إلى القلب و على الشفاه، و بفعل هذا الإبتهال يمتلئ قلب الذاكر باسم الله، فتجد الروح السكينة، و يكون هذا في حضرة الشيخ.

و للذكر ثلاث مستويات هي:

أ- الذكر الشفوي: بدون مشاركة القلب و هو الشائع و المتداول.

ب- ذكر الولع و العشق: و منبعه أعماق القلب، يردده حماة الله دون سواهم، و جزاءه ثواب عظيم.

ت- الذكر القائم على مسابقة الأعضاء: و هو خاص بمن اختارهم الله، من المفضلين عنده و لا يعرف جزاءه إلا الله.

و ينقسم الذكر إلى ثلاثة أنواع أو أصناف و هي:

1) **ذكر الأوقات:** و هي التراتيل الواجبة على كل أتباع الطريقة، تلاوتها بعد

[91] Louis RINN, op.cit, p.66
[92] Octave DEPONT, Xavier COPPOLANI, op.cit, p. 86

كل فريضة صلاة.

2) **ذكر الجلالة:** و الواجب ترتيله في العزلة المطلقة، في وقت يبتعد فيه الذاكر بروحه عن كل الإنشغالات الظرفية للتعمق في تأمل الحقيقة.

3) **ذكر الحضرة:** و هو المؤدى بصيغة جماعية بقيادة شيخ، و هو الأكثر ثوابا إذا كان الأتباع يستلهمون نفس التصور الإلهي، فمشاركتهم تساعدهم على اختصار المسار التصوفي."[93]

[93] op.cit, p. 89-88 -87 -86

الفصل الثانى

- **تمهيد:**

خصص هذا الفصل لتبيان مدى عمق التنوع الحضاري للمنطقة من خلال إبراز أهم المحطات التاريخية، التي أثرت على عوالم الحياة فيها منذ أول تجمع سكاني إلى غاية قيام الدولة الوطنية مع عرض وجيز للحالة السوسيو- اقتصادية لولاية عين تموشنت لغرض إعطاء صورة تعريفية موجزة عن الولاية. إلى جانب عرض إحصائي للبنى الإسلامية التقليدية (الزوايا) التي كانت متواجدة بمدينة عين تموشنت بالخصوص، و الطرق التي انخرطت تحت لوائها منذ البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي، و البحث عن مدى استمرارية هذه الزوايا في الوقت المعاصر، فمنها من اندثر كليا و استوطنها النسيان و انمحت من الذاكرة الجماعية نهائيا، بسبب سياسات طمس الهوية الإسلامية التي ترجع لعوامل تاريخية شهدتها الجزائر عامة. و من الزوايا مَن نفض غبار النسيان ليعاود نشاطه، لكنه اصطدم بواقع أصبحت نظرته للزوايا ليست كنظرة أجدادنا لها و هذا حال الزاوية المدروسة، بالرغم من توفر الشروط السياسية المشجعة لنشاط الزوايا. و في ظل هذه الشروط المشجعة على خلق الزوايا و إعادة بعث نشاطها، ظهرت زوايا جديدة تنشط في الحقل الديني الطُرُقي و هذا ما تطرق له عنصر الزوايا الناشطة بالمنطقة بعد الإستقلال. و العنصر الأخير من هذا الفصل، تطرق لمكانة الطريقة القادرية و مدى سعة انتشارها بالمنطقة بإعتبار أنها من أقدم الطرُق الصوفية المتواجدة بالمنطقة.

1- نشأة مدينة عين تموشنت:

شهدت منطقة عين تموشنت تعاقب عدة حضارات استوطنت بالمنطقة، نظرا لموقعها الجغرافي الإستراتيجي. و تدل الشواهد التاريخية لأدوات حجرية منحوتة، عن استقرار الإنسان بالمنطقة منذ بداية العصور الحجرية[94]. ثم قدم الكبيسيين من مناطق مختلفة من شمال إفريقيا، و معهم حضارة أكثر تطورا من الإنسان الحجري. ثم استقر الزنوج بالمنطقة قادمين من الصحراء.[95] و أنتج هذا التعاقب، حراكا اثنيا و اجتماعيا مهد لتطور استقرار الإنسان بالمنطقة إلى اليوم.

أ- الموقع الجغرافي:

تقع ولاية عين تموشنت، في الجهة الغربية للجزائر. يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، و جنوبا ولاية سيدي بلعباس، أما من الشرق ولاية وهران، و غربا ولاية تلمسان، فهي تتوسط اكبر مدن غرب البلاد، و هذا ما أهلها أن تكون موقعا جغرافيا متميزا.

ب- الحضارات المتعاقبة على المدينة :

أهَل التميز الجغرافي للمنطقة، أن تكون سجلا توافد عليه العديد من الحضارات أولها:

1.ب الحضارة البربرية:

تشكلت أول مقاطعة سكانية بربرية، مكونة من قبائل زناتة البربرية إضافة إلى التركيبة السكانية المتواجدة من قبل[96]، و اتخذت من النباتات و جذوع الأشجار بيوتا لها و قامت على ضفاف واد سنان الذي يمر بجانب المدينة، و سُمي هذا التجمع السكاني

---

[94]ميلود رقيق، ***عين تموشنت عبر العصور***، دار الكتاب العربي، الجزائر،ط1، 2010، ص54.

[95]نفس المرجع و الصفحة.

[96]المرجع السابق، ص 58.

سوفات.[97] و أصبح مركز مجموع المقاطعات المجاورة لها، و هو ما يمثل حاليا معظم بلديات الولاية. و كانت معتقداتهم الدينية، السحر و قوى الطبيعة و الطوطم[98].

استقر بالمنطقة بعض التجار الفينيقيون في الفترة الممتدة (1600-1200 ق.م)، و بعض القراصنة. و تم اكتشاف أثار القرطاجيين صدفة على ضوء الحفريات، التي شهدتها المدينة لبناء بعض المرافق العمومية أو السكنية في أواسط القرن الماضي.[99] و تحولت ديانة البربر إلى الوثنية بمجيء الفينيقيين، و أصبحت آلهتهم تانيت و كوليستبس.[100]

2.ب الحضارة الرومانية:

وصل الرومان إلى سوفات مع نهاية القرن الأول لميلاد المسيح، و استقروا بداخل الحصن العسكري ليحميهم من أي تهديد خارجي و الذي شيدوه سنة 119م بسوفات و سمي بريزيديوم سوفاتيف[101]. بدأ الرومان بالتوغل في عمق الأرض المحيطة بهم إلا بعد مرور (50 أو 60 سنة)، من تواجدهم لمراقبة السكان المحليين. و باحتكاك الجنود الرومان بالسكان الأصليين أصبح لمنطقة سوفات دورا تجاريا، اكبر منه عسكري و كان هذا التحول سنة 120م.[102]

سجَل تاريخ المنطقة نشوء اكبر دولة في تاريخ الجزائر القديم هي نوميديا الغربية، تمتد من سيرتا كعاصمة للشرق، إلى سيقا غربا بقيادة الملك سيفاكس، بعد الحرب العقابية الثانية في القرن الثالث قبل الميلاد، وسقطت الدولة بنفي قائدها إلى ايطاليا التي تُوفي فيها.

تنقسم قضية علاقة البربر المحليين بالرومان بين رأيين متناقضين حيث يعتبر الرأي الأول الذي يمثله **(Antoine Carillo)** رئيس بلدية عين تموشنت في العهدة الاستعمارية، و الذي روج له في كتابه بعنوان (**Ain Témouchent à travers l'histoire**)، أنها علاقة ودية و هادئة، إذنشأت روابط قرابة بين الرومان و البربر مع مرور الزمن، فانصهر الرومان

---

[97] Safi MOUSSA BOUDJEMAA, *Ain Témouchent au fil du temps*, Ed. Imprimé l'entreprise des travaux d'impression, Sidi bel abbes, Aout 1997,p. 14.
[98] ميلود رقيق، نفس المرجع، ص 59.
[99] Safi MOUSSA BOUDJEMAA, op.cit.p.16.
[100] ميلود رقيق، نفس المرجع، ص:62.
[101] نفس المرجع، ص73.
[102] Safi MOUSSA BOUDJEMAA, Op.cit. p. 19.

في ثقافة و أثنية البربر، و حوالي سنة 150م اندمج قدماء المحاربون الرومان كلية في المجتمع المحلي و أصبحوا سوفاتيون[103]. و يبقى هذا طرح الرواية الفرنسية، التي اعتمد عليه صافي موسى بوجمعة في مرجعه المذكور آنفا. و يعتبر الرأي الثاني و الممثل في المرجع العربي المبين على الهامش لمؤلفه رقيق ميلود، معارضا للرواية الفرنسية و ينفي وجود علاقة هادئة بين بربر زناتة و الرومان، لأنها علاقة احتلال قائمة على الإستغلال و التسلط[104]، و بالتالي مقاومة البربر لهؤلاء المستعمرين.

انعكس النسيج الإجتماعي الجديد إيجابا على تطور المنطقة، حيث تطورت سوفات القرية الصغيرة إلى المدينة الكبيرة "ألبولاي" أي الأرض البيضاء في القرن الثالث الميلادي[105]. أما عن الحياة الدينية لآلبولاي فكان للرومان إله يدعى"ديانا اوغوستا موروم" و للبربر اله يدعى "ديا مورا"[106]، و عُثر على عدة أجزاء رخامية لتمثال بحجم إنساني في سنة 1890م، بالإضافة لمعابد أخرى لدوناتيس و مركير و معبد الآلهة سيليستيس، و بقيت الديانات الوثنية حتى ظهور المسيحية.[107]

عرفت المدينة ألبولاي ازدهارا و تطورا كبيرين كان وراء ارتقائها إلى بلدية سنة 238م[108] ، تسير وفق التنظيم المعمول به في المدن الرومانية. يشرف على تسيير الشؤون الإدارية و المالية مجلسين، يسمى المجلس الأول حكام المدينة، و أعضاءه منتخبون من سكان ألبولاي كل سنة، و يساعدهم مجلس ثاني بلدي منتخب يتألف من أشراف المدينة و نبلائها.[109] عرفت المدينة ألبولاي تطورا تجاريا كبيرا في هذه الفترة، و ازدهرت زراعة الحبوب و الزيتون و الكروم.[110]

فقدت المدينة أهميتها و تطورها بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية في أواسط القرن الخامس الميلادي، و بعد الحقبة الرومانية جاء الغزو الوندالي الذي دام قرابة قرن من

---

[103] Op.cit. p .25

[104] ميلود رقيق، نفس المرجع، ص 96.

[105] Said MOUAS, *Ain Témouchent à la rencontre du feu sacré*, la maison d'édition n est pas citée, ouvrage realisé gràce au soutien financier de la maison de la culture d'Ain Témouchent, 2005, p. 39.

[106] Safi MOUSSA BOUDJEMAA, Op.cit. p. 25

[107] ميلود رقيق، نفس المرجع، ص96.

[108] Safi MOUSSA BOUDJEMAA, Op.cit. p.28

[109] ميلود رقيق، نفس المرجع، ص94.

[110] نفس المرجع، ص97.

الزمن(439-538م). غير أن الوندال لم يتركوا بصمات على تاريخ المنطقة، و الغرب الجزائري عامة.[111]

ضرب ألبولاي زلزال عنيف في القرن السابع الميلادي، علـق عليه بعض المؤرخين انه مسح مدينة ألبولاي من على وجه الأرض. و هذا ما يفسر قلة الآثار المتبقية من المدينة الرومانية، على غرار آثار تمقاد أو تيبازة.[112]

3.ب المسلمون:

دخلت المسيحية إلى ألبولاي سنة 410م[113]، و دخل الإسلام إلى المنطقة عام 704م فاسلم البربر و اليهود. [114] و عرفت المنطقة في 711م، حدثا تاريخيا بارزا و هو مشاركة أبناء المنطقة في فتح الأندلس تحت لواء طارق بن زياد. و أنشأ أول تجمع سكاني عربي- بربري خلفا لمدينة ألبولاي في القرن التاسع الميلادي، و سميت هذه المقاطعة ب: زيدور.[115]

استقر بمنطقة زيدور بعض البربر من قبيلة مغراوة، الذين دخلوها عُنوة بقيادة قائدهم محمد ابن خزر في القرن العاشر الميلادي. غير أنهم لم يمكثوا فيها مطولا، ففي سنة 949م أُخرجهم "يالا" قائد قبيلة بني ايفرن البربرية الزناتية، و توفي قائدها في إحدى المعارك التي خاضها دفاعا على أمن المدينة، و بعد وفاة قائد قبيلة بني ايفرن انتقلت القبيلة إلى شرق المغرب لتستقر هناك[116]. جاء منصور ابن سنان من قبيلة مغراوة البربرية سنة 953م، و شَيد قصرا على ضفاف واد كدال المسمى اليوم بواد سنان، و أصبحت المدينة تسمى بقصر ابن سنان[117]. و مع طلوع القرن 12م استقرت قبيلة بنو عامر التي تتفرع عن قبيلة زغبة لبني هلال العربية في منطقة زيدور قادمة إليها من تسالة، و ينتسب اغلب سكان المنطقة لها. و كتب التاريخ عن ميزات القبائل الهلالية،

[111] Safi MOUSSA BOUDJEMAA, Op.cit. p. 35
[112] Op.cit. p.38
[113] Op.cit. p.44
[114] Op.cit. p.45
[115] Ibid
[116] Said MOUAS, Op.cit. p.40
[117] Safi MOUSSA BOUDJEMAA, Op.cit. p.47

خشونة الطبع و تخريب العمران. و هم الذين أطلقوا تسمية عين تموشنت على منطقة واد سنان بمعنى عين الذئبة.[118]

و في هذه الفترة أيضا، توافدت على المنطقة قبائل حميان البدو الرحل من العرب، و تعايشت قبائل مغراوة البربرية مع قبيلة بنو هلال العربية. و في سنة 1228م حكم المنطقة الأمير العربي أبو زكرياء، الذي كانت تحت إمرته القبائل البربرية و العربية. و في سنة 1242م نُصب العباس بن منديل حاكما على مغراوة واد سنان، و داوود ابن هلال حاكما على زيدور و توارث أبناءه الحكم من بعده.[119]

تكاثرت قبيلة بنو عامر و انقسمت إلى ثلاثة أعرش: عرش بنو حامد و عرش بني يعقوب و عرش بني شافع، و كان هذا بعد القرن الرابع عشر. و أمام النمو الديموغرافي الكبير للعرب، غادرت قبيلة مغراوة البربرية المنطقة و استقرت بضواحي معسكر[120].

و تداولت تسميتي سنان و عين تموشنت على المنطقة، بالتوازي طيلة القرن الخامس عشر و أصبحت تسمية عين تموشنت هي الأكثر تداولا في فترة 1542-1545م و أقصيت تسمية سنان.[121]

تحولت منطقة عين تموشنت مع نهاية القرن الخامس عشر إلى قطب اقتصادي يتميز بتربية الأغنام، و ازدهرت التجارة بوصول اليهود إلى المنطقة قادمين إليها من تيتوان المغربية و الأندلس.[122]

سجل التاريخ موقفين متعارضين لعلاقة قبائل المنطقة بالأتراك، لاسيما في قضية مقتل بابا عروج. إذ يرى الرأي الأول الذي تمثله الرواية الفرنسية التي روج لها انطوان كاريو المذكور آنفا.[123] أن الأتراك لم يدخلوا المدينة ولم يستقروا بالمنطقة بسبب مقاومة قبائل بنو عامر و تحالفهم مع الأسبان[124]، و شهدت أعالي بلدية شعبة اللحم معركة شرسة قُـتـل فيها بابا عروج، من طرف قبيلة بنو عامر لما كان عائدا من تلمسان و بحوزته كنز

[118] Op.cit. p.51
[119] Op.cit. p.52
[120] Op.cit. p.54
[121] Ibid
[122] Ibid
[123] Op.cit. p.57
[124] Op.cit. p. 59

الزيانيين. و تعود علاقة بنو عامر بالإسبان، لما طلب الحاكم الإسباني مساعدة قبائل بنو عامر عند محاولة دخول الأتراك إلى وهران سنة 1705م وهذا ما قامت بفعله. و عند سقوط وهران بيد الأتراك أصبحوا يُغيرون في كل مرة على عين تموشنت، وشهدت المنطقة اضطرابا أمنيا طويل الأمد بسبب هجوم الأتراك المتكرر من حين لآخر.[125]

ويرى الرأي الثاني على قول الرواية العربية و التي تُخالف هذا الطرح، و تؤكد عدم خضوع بنو عامر للأسبان الصليبيين ضد العثمانيين حماة الإسلام، و أنهم بريئون من دم عروج الذي قتل في منطقة عين تموشنت على يد الأسبان.[126]

و تنفي الرواية العربية مقتل بابا عروج على يد بني عامر، و تعتبره تزييفا لحقائق تاريخية كان ورائها انطوان كاريو المذكور آنفا. و تعتبر أن القوات الاسبانية استمالت قائد بنو عامر عبد الله لينضم إليهم، لكن نداءه لم يلب في وسط القبيلة. و انتظمت الأغلبية تحت إمرة إبراهيم لمهاجمة الأسبان العائدين من غزوهم لتلمسان إلى وهران بمنطقة شعبة اللحم، و أغاروا عليهم في منطقة شعبة اللحم و أصبحت تعرف بمعركة شعبة اللحم بتاريخ 5 مارس 1543م و هُزم فيها الأسبان[127]. و كانت علاقة بنو عامر بالعثمانيين تخضع لمنطق المصلحة المتبادلة، و يتلقى العثمانيون من المنطقة ما تنعم به من خيرات الزراعة و الماشية، مقابل الحماية العثمانية.[128]

ظهر الرمز الديني الإسلامي سيدي سعيد في هذه الظروف، و اتخذه المخيال الشعبي للمنطقة الولي الصالح للمدينة. فبعث السكينة في نفوس أهل المدينة بفضل شخصيته الكارزماتية و توفي سنة 1740م[129]، و مدفنه اليوم هو مسجد و مزار يتبرك به السكان المحليون، و يقع بالحي الذي يحمل اسمه حي سيدي سعيد.

لم تشهد المدينة حروبا قبلية كالتي شهدتها بعض المناطق في الوطن، لأن زمام الأمور كان تحت سلطة قبيلة بنو عامر، التي انقسمت حوالي سنة 1670م إلى فرعين: أولاد زاير الذين استقروا بعين تموشنت و المناطق الغربية لزيدور، و أولاد خالفة الذين استقروا

[125] Ibid
[126] ميلود رقيق، نفس المرجع، ص113.
[127] نفس المرجع، ص 114-115.
[128] نفس المرجع، ص117.
[129] Safi MOUSSA BOUDJEMAA, Op.cit. p. 59

بشرق و جنوب هضاب عين تموشنت.[130] و لم يتمكن العثمانيون من اخضاع قبائل منطقة عين تموشنت تحت سيطرتهم، الا بعد أن هزم الأتراك قبائل بنو عامر بين عين تموشنت و تمزوغة في سنة 1805، و في سنة 1830 عُين آغا بنو عامر على المنطقة و هو بن عودة ولد الحاج[131].

4.ب الإستعمار الفرنسي:

بدخول الإستعمار الفرنسي للجزائر في تاريخ: 05جويلية 1830م و سقوط مدينة الجزائر، بدأ الإستعمار يتوغل في عمق الأراضي، غير أن هذا الاحتلال لم يكن مُرحبا به على الإطلاق، فظهرت المقاومات الشعبية التي تميزت بمحليتها و جاءت كتعبير يرفض هذا الواقع. كانت مقاومة الأمير عبد القادر أكثر تنظيما و أوسع رقعة دامت 17 سنة، كما أُعتبرت دولة الأمير عبد القادر نواة الدولة الوطنية على رأي بعض المؤرخين. وعن موقف أبناء منطقة عين تموشنت من مقاومة الأمير فقد استجابوا لدعوته، و مثل المنطقة في البيعة الأولى كل من قادة بن مختار و بن عودة ولد الحاج و سي أحمد ولد بوعزة.[132]

شارك أبناء المنطقة في أولى العمليات العسكرية التي قام بها الأمير ضد الإحتلال الفرنسي بمنطقة وهران، كما سجل التاريخ حدث توقيع معاهدة تافنة على أراضي المنطقة بتاريخ: 30ماي 1837م.

تأسست أول حامية عسكرية فرنسية رسميا بعين تموشنت سنة 1843م، و يُعتبر قائد هذه الحامية هو مُهندس المدينة الأوربية الحالية[133]. و لم يكن الأمير عبد القادر ليترك أمر احتلال المدينة بالأمر الودي، بل حاول في العديد من المرات تحرير المدينة. فنجح في الهجوم الأول بتاريخ 27 سبتمبر 1845م بعد محاصرة المدينة، و عاد في اليوم الموالي 28سبتمبر 1845م لغزو الحامية العسكرية الكبيرة، و دامت معركته ستة أيام إلى غاية وصول المدد العسكري من قبل الجنرال لاموريسيار بتاريخ 04 أكتوبر

[130] Op.cit. p. 58
[131] Said MOUAS, Op.cit. p.41
[132] Said MOUAS, Op.cit. p. 41-42.
[133] Safi MOUSSA BOUDJEMAA,Op.cit. p.66

1845م[134]، أين أُعيدت السيطرة الفرنسية على المدينة. و بعد هذا تفرقت قبائل بنو عامر في منطقة زيدور، ليستقر أولاد زاير بعين تموشنت و أولاد خالفة بسيدي بن عدة، و أولاد علي بالمالح و شعبة اللحم، أما أولاد سيد الشيخ أتباع الشيخ بوعمامة الذي تم إلقاء القبض عليه بأحد المقاهي العربية بوسط مدينة عين تموشنت حسب الرواية الفرنسية، فقد استقروا بمنطقة تارقة و أولاد الكيحل[135].

أنشأ المعمرون مطاحن القمح كأول المباني عند دخولهم عين تموشنت و بُنيت أولى المطاحن سنة 1846م و تلتها بناء مطاحن أخرى، و هذا ما شجع على استقطاب يد عاملة أوربية للمنطقة و الاستقرار بها[136]. و ظهر بالمقابل، بعض التجار المستقلون من المعمرين الأوربيين الذين شيدوا أولى المباني الاستيطانية. و بتاريخ: 23 جانفي 1850 قرر الحاكم العسكري لمقاطعة وهران إنشاء 300 مسكن بعين تموشنت، و في 26 ديسمبر 1851 وقع لويس نابليون بونابارت، مرسوم تأسيس عين تموشنت مندوبية سيدي بلعباس بمقاطعة وهران، كمركز سكاني يضم 228 مسكن يحمل اسم عين تموشنت[137]. أحصت السلطات الإستعمارية في أواخر سنة 1851م، 694 أوربي استحوذوا على أخصب الأراضي الزراعية، و أرتقت عين تموشنت إلى مصف البلديات بتاريخ: 3 فيفري 1863م[138]، و ضم أول مجلس بلدي أربعة أوربيين و جزائريان و يهودي. و أعُلنت عين تموشنت بلدية مختلطة سنة 1874م تضم 1788 ساكن، منهم 170 جزائري فقط إلا أن عدد الجزائريين يبقى بعيد عن الواقع لأن أغلبهم لم يستجب لعملية الإحصاء.[139]

بُنيت أول مدرسة بالمدينة سنة 1880م خاصة بأبناء المعمرين، و بهذا بدأت معالم التمييز و التهميش ترتسم بين الأوربيين و المسلمين و تتخذ منحنى تصاعديا. فلم يجد أبناء

---

[134] Op.cit. p.67
[135] Op.cit. p.68
[136] Op.cit. p.70
[137] Ibid
[138] ميلود رقيق، نفس المرجع، ص128.
[139] Safi MOUSSA BOUDJEMAA, Op.cit. p :73

المنطقة سوى لغة المقاومة للتعبير عن امتعاضهم لسياسة المستعمر، فقام أبناء المنطقة بحرق عدة مزارع تابعة للمعمرين من نفس السنة.[140]

عرفت المنطقة في هذه الفترة عدة انجازات قاعدية لازالت قائمة إلى اليوم، ومن أبرزها خط السكة الحديدي الذي يربط المدينة بوهران الذي تم تدشينه سنة 1885م. و في سنة 1887م شهدت البلدية المختلطة توسعا ضم 286 منزل، يأوي 2492 أوربي، و 1737 جزائري، و 333 يهودي، و أزيد من 16905 جزائري يعيشون تحت الخيام في ظروف بائسة و صعبة.[141]

تحولت الزراعة الإستراتيجية للمنطقة في سنة 1888م من زراعة الحبوب إلى زراعة الكروم التي أصبحت خاصية زراعية تميز المنطقة، فتضاعفت مساحة زراعة الكروم بعدما كانت 358 هكتار سنة 1888م، إلى 3744 هكتار سنة 1930م و 3996 هكتار سنة 1952م.[142]

أصبحت البلدية إقليما يسمى سوف التل و هي مجموع بلديات: أغلال و عقب الليل، الحساسنة و شنتوف و شعبة اللحم. و تقول بعض الروايات إن أصل تسمية سوف التل، هو سوفات أو « sufative »، و هذا الإقليم هو الأشبه بإقليم زيدور المنسي في أعماق التاريخ.[143]

تغيرت التركيبة السكانية للمنطقة في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، و تفوق العنصر العربي على الأوربي، و هذا ما أظهره إحصاء 1954م الذي سجل 12943 جزائري، مقابل 7388 أوربي.[144]

و في نفس السنة عرفت الجزائر اندلاع الثورة التحريرية التي تبناها الشعب و دعمها بالنفس و النفيس، و عم صداها غرب و شرق و وسط و جنوب الجزائر، و كان هذا بتاريخ الفاتح نوفمبر1954م. و انضم الكثير من أبناء المنطقة إلى صفوف الثورة

[140] Op.cit. p :74
[141] Ibid
[142] Op.cit. p.75
[143] Op.cit. p.76
[144] Op.cit. p. 75

التحريرية على غرار باقي المناطق الجزائرية، و تم حرق بعض مزارع الكولون و القيام ببعض العمليات الفدائية[145]. و احد ابرز القادة الوطنيين المنحدرين من المنطقة هو العقيد عثمان، كما تضم لجنة (22) التاريخية احد أبناء المنطقة هو السيد احمد بن شعيب. و في سنة 1955م ارتقت عين تموشنت، إلى صنف الدائرة.

أهم حدث بارز عرفته المنطقة إبان الثورة التحريرية، هو مجيء الجنرال ديغول إلى المدينة يوم 09 ديسمبر 1960م، أين استقبله سكان المنطقة بهتافات "الجزائر جزائرية"، وكانت هذه الأحداث بمثابة الشرارة الأولى للمظاهرات الشعبية المعروفة بمظاهرات 11ديسمبر 1960م.

5.ب الـدولـة الـوطنيـة:

شهدت مدينة عين تموشنت في ظل الدولة الوطنية حدثا إداريا بارزا، و هو تصنيف المدينة إلى ولاية بموجب القانون 94.09 المؤرخ في 04 فيفري 1984، و اعتمد الرقم 46 كرمز إداري لولاية عين تموشنت وهي تضم (08) دوائر، و (28) بلدية بمساحة 2376.89 كلم^2.[146]

ضرب المنطقة زلزال قوي في 22 ديسمبر 1999، مخلفا وراءه دمارا كبيرا تمثل في سقوط العديد من المباني السكنية و المرافق العامة والاهم من هذا، هو وقوع ضحايا بشرية سجلت (28) قتيل و مئات الجرحى. و لازالت الذاكرة الجماعية للمنطقة تحتفظ بصور الهلع و القلق إلى يومنا هذا، و تستحضر هذه الصور كلما شهدت المنطقة هزة ارتدادية يشعر بها السكان.

تُجمع الذاكرة الجماعية للمنطقة أن هذا الزلزال كان نقطة تحول تاريخية في تطوير العمران بالمدينة و باقي البلديات المتضررة من الزلزال، حيث دفع هذا الحدث بتسريع وتيرة النمو و دفع عجلة التوسع العمراني للأمام، فسُجلت عدة برامج تدخل في إطار تحديث المرفق العام. فتم إنشاء مدينة جديدة في الجهة الشمالية، و بناء مستشفى جديد جُهز بأحدث التكنولوجيات الطبية، و بناء العديد من المؤسسات التربوية لجميع الأطوار

[145]ميلود رقيق، نفس المرجع، ص:143.
[146]نفس المرجع، ص165.

التعليمية، علاوة على تدشين الصرح الجامعي في موسم 2010/2009، و الذي انتظره السكان المحليون مُطولا و استقبلوه بالابتهاج، و المُعول عليه أن يكون منارة علم و إشراقه لغد أفضل. و للأمانة العلمية فقدت شهدت جميع ميادين الحياة الاجتماعية عامة، استفادتها من مرافق عمومية مختصة من شانها أن تساعد على تحسين و ترقية المستوى المعيشي للمواطن في المنطقة.

2- الحالة السوسيو- اقتصادية لولايـة عين تموشنت:

قبل الخضوع في مكونات التركيبة الإقتصادية للولاية، لابد من معرفة التركيبة الإدارية للولاية، و تتشكل ولاية عين تموشنت من 28 بلدية موزعة على 08 دوائر و هي مبينة في الجدول أدناه:

جدول رقم01 التقسيم الإداري لولاية عين تموشنت

الرقم	الدائرة	بلدياتها
01	عين تموشنت	عين تموشنت – سيدي بن عدة
02	بني صاف	بني صاف- الامير عبد القادر- سيدي الصافي
03	حمام بوحجر	حمام بوحجر- واد برقش- الحساسنة- الشنتوف
04	المالح	المالح- تارقة- اولاد الكيحل- شعبة اللحم
05	العامرية	العامرية- حاسي الغلة- اولاد بوجمعة- المساعيد- بوزجار
06	عين الكيحل	عين الكيحل- عين الطلبة- أغلال- عقب اليلل
07	ولهاصة	سوق الاثنين- سيدي ورياش
08	عين الاربعاء	عين الاربعاء- واد الصباح- سيدي بومدين- تمزوغة

المصدر: الباحث التاريخ: 2012

لدراسة الحالة السوسيو-اقتصادية للمنطقة، تجدر الاشارة للبحث عن محرك هذه العملية و هو العنصر البشري الذي يُعتبر الرأسمال الاجتماعي المنتج للثروة. فماهي مكونات و خصائص التركيبة البشرية للمنطقة؟.

بلغ التعداد السكاني للولاية الى غاية 2010/12/31 حسب إحصائيات مديرية التخطيط و تهيئة الإقليم، 384565 نسمة. تحتل فيها مقر الولاية عين تموشنت المرتبة الاولى في التعداد السكاني ب: 75.558 نسمة، ثم تليها بلدية بني صاف ب: 43.802 حسب نفس المصدر. و تقدر نسبة التمدن بالولاية65,51% ، و بنسبة 49, 34 % من سكان الريف.

و تتوزع التركيبة البشرية حسب الجنس كما يلي، 194.337 ذكور أي بنسبة 50,53 % ، مقابل 190.228 إناث أي بنسبة 49,47 %، حسب نفس المصدر. أما توزيع التركيبة البشرية حسب الفئات العمرية، فإن نسبة 34 % أعمارهم أقل من 20

سنة، و نسبة 54 % أعمارهم أقل من 30 سنة. و هذا ما يظهر، الخصوبة البشرية لسكان الولاية و المتمثلة في عنصر الشباب.

أما عن المؤهلات و القدرات الإقتصادية للولاية، فهي تتوزع على ثلاثة نشاطات رئيسية و هي: الزراعة، الصيد البحري، السياحة، و بدرجة أقل المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و الصناعة الصغيرة و المتوسطة.

و تتوزع اليد العاملة في الولاية حسب مختلف ميادين النشاط على الشكل التالي:

جدول رقم 02 توزيع اليد العاملة حسب مختلف ميادين النشاط

الرتبة	ميدان النشاط	اليد العاملة	النسبة
01	الزراعة	30.357	%18
02	الوظيفة العمومية	24.979	%15
03	قطاع البناء	23.308	%14
04	قطاع الخدمات	21.283	%13
05	التجارة	17.263	%10
07	الغابات	8.649	%05
08	النقل	8.450	%05
09	الصناعة	7.000	%04
10	الصيد البحري	6.949	%04

المصدر: مديرية التشغيل التاريخ: 2010/12/31

كقراءة أولية للجدول نلاحظ تنوع ميادين النشاط، و استقطاب القطاع الزراعي لأعلى نسبة من اليد العاملة ب: 18%، ثم القطاع الإداري في المرتبة الثانية. في حين تتوزع اليد العاملة المتبقية بين مختلف فروع النشاط الإقتصادي الإنتاجي كالصناعة و الصيد، و القطاع السياحي الذي تبقى فرص الإستثمار فيه قليلة مقارنة بالإمكانيات السياحية للولاية، كشريط ساحلي بطول 80 كلم، بالإضافة للسياحة الحموية بحمام بوحجر، و الجبلية بمرتفعات هضبة ملاتة الواقعة بين حمام بوحجر و تمزوغة.

2.1 الزراعــة:

تقدر المساحة الزراعية ب: 203.584 هكتار المستعملة ب: 180.184هكتار، و التي تغطي 76 % من المساحة الإجمالية. و تتوزع المساحة المزروعة على الأنواع التالية:

جدول رقم 03 توزيع المنتجات الزراعية حسب المساحة و القدرة الانتاجية

نوع الزراعة	المساحة المزروعة	الانتاج بالقنطار
زراعة الحبوب	97.705	1.254.450
الحبوب الجافة	9276	79.295
الكروم	13.270	491.400
الخضر	10.600	120.220
الفواكه	10.245	202.050

المصدر: مديرية المصالح الفلاحية التاريخ: 2010/12/31

المتعارف على الزراعة الأكثر شيوعا بالمنطقة هي زراعة الكروم، غير أن احصائيات الجدول تظهر عكس ذلك، من حيث المساحة المخصصة لزراغة الكروم. و السبب في هذا يرجع للخلفيات الثقافية لفلاحي المنطقة، و الذين أصبحوا ينظرون للأرباح التي يجنونها من هذه الزراعة *دراهم مَربيين* أي حرام، و هذا ما أكده عدد من الفلاحين الذين استجوبتهم الدراسة عن سبب تخليهم لزراعة الكروم. بالإضافة لسبب موضوعي، و هو تركير المخططات الزراعية للدولة على زراعة الحبوب، باعتيارها زراعة استراتيجية و مساهمة في تحقيق الاكتفاء الذاتي، و تعزيز الاستقلال الوطني للتخلص من تبعية الدول الكبرى.

أما عن الثروة الحيوانية بالولاية فتقدر ب: 134.150 رأس غنم، و 16.600 رأس بقر، و 12.350 رأس ماعز، و بلغ إنتاج اللحوم الحمراء 20.313 قنطار، في حين بلغ إنتاج اللحوم البيضاء 46.717 قنطار.

تعكس القدرة الإنتاجية الزراعية للولاية و الثروة الحيوانية طاقات معتبرة في الميدان الزراعي و هذا ما جعل القطاع الزراعي يحتل المرتبة الأولى ولائيا من حيث استقطاب

اليد العاملة، مع العلم أن الطاقة الإنتاجية الحالية يمكن مضاعفتها إذا ما تم استغلالها بطرق حديثة و علمية.

2.2 الصيد البحري:

يقدر طول الواجهة البحرية للولاية ب: 80 كلم، يتواجد على طوله ميناءين للصيد و هما: ميناء بوزجار بالجهة الشرقية للولاية، و ميناء بني صاف بغرب الولاية. بلغ إنتاج الموارد الصيدية لعام 2010 حسب مديرية الصيد البحري، 10.836 طن، منها 5.463 طن بميناء بوزجار، و 5.373 طن بميناء بني صاف. و تنقسم حسب أنواع السمك التالية:

جدول رقم: 04 توزيع أنواع الأسماك و نسبة صيدها

نوع الأسماك	نسبة الإنتاج
الأسماك البيضاء	% 5,96
الأسماك الزرقاء	% 91,14
القشريات	% 2,26
السمك الكبير	% 0,64

المصدر : مديرية الصيد البحري التاريخ: سنة 2010

نستخلص من معطيات الجدول أن النسبة المرتفعة من إنتاج الموارد الصيدية، سجلت للأسماك الزرقاء بنسبة: 91,14 % و هي أعلى نسبة، و تأتي في المرتبة الثانية الأسماك البيضاء بنسبة: 5,96 %، أي بفارق 84 نقطة مئوية. و يرجع ضعف صيد الأسماك البيضاء إلى نقص التجهيزات المعدة لذلك، و المتمثلة في سفن الصيد في أعالي البحار أين تتواجد هذه الأسماك بكثرة، و التي تدوم على متنها رحلة الصيد عدة أسابيع من دون العودة إلى الميناء، و لأن هذا النوع من السفن باهض الثمن، و عزوف البنوك و وكالات دعم التشغيل عن تمويل مثل هذه السفن. و هذا ما توصلت إليه دراسة شارك فيها الباحث مع الهيئة الألمانية (GTZ)، بعنوان: تحليل قطاع بناء السفن، بتاريخ 08 إلى 16 جويلية 2009 بميناء بني صاف.

2.3 الصناعة:

يعتبر القطاع الصناعي بالولاية، من القطاعات الأقل تطورا مقارنة بالولايات المجاورة، سيدي بلعباس، تلمسان و وهران. و تعتبر النشاطات المنجمية من النشاطات الأكثر ممارسة ب 25 محجرة تنشط بالولاية و تنتج الرمل المعد للبناء، الحصى بمختلف أنواعه، ملح الكربون و الكالسيوم، الحجر المنحوت، الطين، و المواد الأولية المشتقة من الحجر المخصصة لصناعة الإسمنت. و توفر هذه المحاجر 559 منصب عمل، حسب إحصائيات مديرية الصناعة، المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و ترقية الإستثمار، إلى غاية 2010/12/31. و يتواجد بالولاية مصنعين كبيرين و هما: مصنع الاسمنت ببني صاف و يشغل 553 عامل، و مركب *هنكل* لمواد التنظيف بعين تموشنت و يوظف 334 عامل.

بلغ عدد المؤسسات الصغيرة و المتوسطة و المؤسسات المصغرة بالولاية 4.318 مؤسسة، تتوزع على مختلف فروع النشاط الإقتصادي، لاسيما قطاع البناء و الأشغال العمومية، ب 92 مؤسسة صغييرة و متوسطة، و 1111 مؤسسة مصغرة، و تتركز في معظمها في مدينتي عين تموشنت و بني صاف، حسب ذات المصدر.

أما النشاطات الحرفية و الصناعة التقليدية فبلغ عددها 1413 حرفي مسجل في سجل الصناعة التقليدية و الحرف، موزعين على مختلف فروع الصناعة التقليدية، الصناعة التقليدية و الفنية، و الصناعة التقليدية لإنتاج المواد، و الصناعة التقليدية للخدمات.

كقراءة عن مشاركة القطاع الصناعي في الحياة السوسيو-اقتصادية للمنطقة، لازالت مشاركة القطاع ضعيفة نظرا للمؤهلات الصناعية المتوفرة من المواد الأولية كالكلس أو حجر الأردواز و البرونز المتواجد بمنطقة حمام بوحجر البركانية، أو الطين، أو حتى غنى التركيبة البشرية بالعنصر الشاب، و هذا الضعف يُترجم في عدم وجود مستثمرين وطنيين أو أجانب استثمروا بأموال كبيرة في المنطقة.

2.4 التـجـارة:

بلغ عدد التجار المسجلين في القيد التجاري 17.330 تاجر، موزعون على الإختصاصات المبينة في الجدول أدناه:

جدول رقم: 04 توزيع عدد و نوع التجار المسجلين بالولاية

قطاع النشاط	فردي	مؤسسة	المجموع
الإنتاج الصناعي	1.812	246	2.058
الإنتاج الحرفي	67	00	67
تجارة الجملة	318	60	378
الإستيراد و التصدير	24	71	95
تجارة التجزئة	8.166	45	8.211
تجارة الخدمات	6.266	255	6.521
المجموع	**16.653**	**677**	**17.330**

المصدر: مديرية التجارة التاريخ: 2010/12/3

يوضح الجدول، أن نسبة 47 % هم تجار التجزئة، في حين بلغت نسبة تجارة الخدمات ب: 38 % .

لا يعكس العدد المسجل للتجار و البالغ 17.330 تاجر الواقع التجاري بالولاية، نظرا لإنتشار التجارة الموازية و المتمثلة في الأسواق الفوضوية المنتشرة عبر مختلف بلديات الولاية على مدار السنة، فالتجار الناشطون في هذه الأسواق معفيون من أداء الواجب الضريبي، و تبقى بذلك الخزينة العمومية غير مستفيدة من مساهمة هذه الأسواق. و تنعكس هذه الوضعية سلبا على التنمية المحلية، لاسيما في جانب تقوية و تعزيز البنية التحتية للولاية، حيث تسجل هذه المشاريع من مداخيل أموال الضرائب، و هذا ما يعرقل تجسيد مفهوم التنمية المستدامة.

2.5 السيـاحـة:

تتوفر الولاية على قدرات سياحية كبيرة، نظرها لتنوعها. و هي مقسمة ما بين السياحة الشاطئية و التي تتوفر على عشرين شاطئ مسموح للسباحة، حيث استظافت هذه الشواطئ في سنة 2010 أكثر من ستة ملايين مصطاف. حسب مصادر مديرية السياحة. بالإضافة للسياحة الحموية، و المتمثلة في محطة حمام بوحجر.

و تملك الولاية 11 منطقة للتوسع السياحي، و منطقة التوسع السياحي هي المناطق التي يسمح بموجبها القانون بناء هياكل سياحية بها، و توجد عشرة منها بالبلديات الساحلية و هي: بوزجار، ساسل، السبيعات، تارقة، شاطئ الهلال و سيدي جلول، رشقون، مداغ 3، سيدي يعقوب، الوردانية. في حين المنطقة المتبقية فهي على مستوى المحطة المعدنية لحمام بوحجر.

و تسجل الولاية أربعة فنادق مصنفة و هي: فندق الهواء الجميل 1 بأربعة نجوم، و فندق الهواء الجميل 2 بثلاث نجوم و هما متواجدان بعين تموشنت، فندق سيقا مصنف بثلاث نجوم ببني صاف، و مركب المحطة الحموية بنجمة واحدة بحمام بوحجر. أما الفنادق الغير مصنفة فعددها أربع فنادق و هي: تمقاد بعين تموشنت، فندق المنحدرات ببني صاف، فندق ريو بالمالح، فندقي النصر و الحياة الجميلة بحمام بوحجر.

أما عن المركبات السياحية فهي، مركب السياحي بتارقة، و مركب النبيل و سيفاكس برشقون.

رغم تسجيل احدى عشرة منطقة توسع سياحي بالولاية، إلا أن واقعها خال من أي مشروع استثماري تم تجسيده على أرض الواقع، لتبقى مجرد مشاريع مسجلة للمستقبل. فمثل هذه المشاريع الإستثمارية، هي التي يمكن لها المساهمة في التنمية الإجتماعية بالمنطقة.

تُـظهر هذه الاطلالة السريعة على الحالة السوسيو – اقتصادية للولاية، مدى تنوع مصادر خلق الثروة و ما تحمله من قيمة مضافة تنعكس ايجابا على الحياة الاجتماعية للفرد بالولاية، اذا ما تم مضاعفة الجهود المبذولة و التنسيق مع مختلف المصالح من أجل

ضبط استراتيجية تنموية شاملة تسعى لتحقيق أهداف مضبوطة، كمكافحة البطالة، و الفقر و الإنحراف بكل أشكاله، و هذا ما سيسمح بتحقيق تنمية اجتماعية تطالب بها مختلف الفئات الإجتماعية و مختلف هيئات المجتمع المدني.

3- الطُرق الدينية بمنطقة عين تموشنت في العهد الإستعماري:

ظهرت أولى معالم الحياة الدينية مع ظهور الإنسان الحجري بالمنطقة الذي كانت معتقداته الدينية السحر و قوى الطبيعة و الطوطم، و في العصر الروماني ظهرت الديانة الوثنية بوجود إلهين: واحد للرومان و يُدعى ديانا اوغوستا موروريم، و اله للبربر و اسمه ديامورا (كما أشار إليه هذا العرض آنفا). و انتشرت المسيحية في ألبولاي سنة 410م، أما عن انتشار الإسلام في المنطقة فقد كان سنة 704م، و مع هجرة اليهود للمدينة قادمين إليها من منطقة تيتوان المغربية و الأندلس، أصبحت الديانة اليهودية متواجدة هي الأخرى بالمنطقة.

و عن الطرق الإسلامية أو الطرق الصوفية، فقد اعتمد العرض على دراسة ديبون و كوبولاني لكتابهما الطرق الدينية بالجزائر من 1830 إلى 1897.

و للإشارة فان البحث ذكر الزوايا و الطرق المذكورة على أنها متواجدة بإقليم بلدية عين تموشنت باعتباره موضوع الدراسة، و استثنى البحث الزوايا و الطرق التي وردت أنها تابعة لمقاطعة وهران ولم يحدد مكانها بدقة. كما استثنى كذلك، البلدية المختلطة للرمشي التي تضم بلدية ولهاصة و هي حاليا تابعة لإقليم ولاية عين تموشنت، و تحتضن مقر الزاوية الأم للطريقة الجازولية .

و أحصت دراسة ديبون و كوبولاني الطرق و الزوايا المنتشرة عبر إقليم بلدية عين تموشنت، و التي يتم عرضها في الجدول التالي:

جدول رقم (05) الطرق و الزوايا ببلدية عين تموشنت في القرن 19م

البلدية	الطريقة	الزاوية الأم	زاوية الشيخ	المقدم	درويش	خوان و خوانات (فقير)	أحباب
عين تموشنت	القادرية	بغداد، سيدي عبد السلام القادري و سيدي سليمان القادري 1892-1896	سي محمد المرتضى ابن عم الأمير عبد القادر الساكن ببيروت و الشيخ بوتليليس الساكن بشعبة اللحم	-	-	45	
			بن عبد الغاني الساكن بوجده ،سي محمد بن عبد الرزاق و الساكن بوجده ، مولاي رشيد	01	-	29	
	الدرقاوة	زاوية بوبريح، قبيلة بني زيرونال (المغرب) يقودها سيدي عبد الرحمان ولد سيدي الطيب حفيد الشيخ مولاي العربي بن احمد الدرقاوي	الشيخ محمد ألهبري الساكن بدوار أولاد زعيم (المغرب)	-	12	-	
			بوشنتوف بو عبد الله بن عبد القادر بن علي الساكن بمعسكر	-	12	-	
	الزيانية	خناتزة (المغرب)	سيدي محمد بن عبد الله	02	-	61	
	الطيبية	وزان (المغرب)	مولاي العربي بن الحاج عبد السلام	02	-	70	
	الشيخية	زاوية سيد الشيخ وسيد الحاج عبد الحاكم	سي الدين بن حمزة، سي العربي بن قدور بن حمزة،سي حمزة بن بوبكر	-	-	284	
	التيجانية	عين ماضي،تماسين و قمار	سي بشير بن محمد الصغير التجاني،سي محمد بن سي محمد العيد ،و سي محمد ألعروسي بن سي محمد الصغير				05

المصدر Octave Depont, Xavier Coppolani, Les confréries religieuses musulmanes Année 1897

نلاحظ كقراءة للجدول المُبين سابقا، وجود ست طرق صوفية و ثماني زوايا تتمتع بالاستقلالية الذاتية في تسيير أمورها. منتشرة عبر إقليم البلدية التي وردت باسم عين تموشنت في المرجع المبين آنفا، و تشترك هذه الزوايا في صفة واحدة، هي إشراف *لمقدمين* عليها و هذا ما يجعل منها زوايا تابعة لشيخ الطريقة التي تتبعها كل زاوية. و أولى هذه الطرق:

3.1 الطريقة القادرية:

كانت تضم الطريقة القادرية في القرن 19م زاويتان، الزاوية الأولى تابعة للشيخ سي محمد المرتضى ابن عم الأمير عبد القادر، الذي نفته السلطات الاستعمارية إلى بيروت و ولى من بعده نائبا عنه الشيخ بوتليليس الساكن بشعبة اللحم و اتخذ منها مقرا لخلافته، (و شعبة اللحم حاليا بلدية تبعد عن مدينة عين تموشنت بحوالي خمسة كيلومترات شمالا). وردت تسمية شعبة اللحم خطأ في المرجع المذكور أنفا بتسمية (Chabet-Lagham) في الصفحة 312، و الأصح هي تسمية شعبة اللحم و الدليل على هذا وجود زاوية حاليا، تسمى بزاوية الشيخ محمد بوتليليس مقرها شعبة اللحم (انظر خريطة توزيع الطرق و الزوايا الناشطة حاليا بولاية عين تموشنت)، ينخرط تحت لواء هذه الزاوية خمسة و أربعون خوان أو *فقير*، و لا يوجد بها *مقدم*. و معنى كلمة خوان أو لخوان، أي الإخوة في الطريقة الصوفية المتبعة.[147]

أما ثاني زاوية قادرية الطريقة و التي أُحصيت بإقليم بلدية عين تموشنت فهي زاوية بن عبد الغاني و سي محمد بن عبد الرزاق الساكنين بوجده و شيخها مولاي رشيد، تضم هذه الزاوية *مقدم* واحد و تسع و عشرون *خوانا* (*فقيرا*)، و يقال للذكور *خُوان* و *خُوانيات* للإناث، و على اختلاف انتماءاتهما للشيخ و استقلالهما الذاتي و المالي عن بعضهما، إلا أنهما يشتركان في الولاء للزاوية الأم التي مقرها ببغداد، و يشرف عليها سيدي عبد السلام القادري و سيدي سليمان القادري (1892-1896). و "تتشكل القادرية في الجزائر من

[147] Rozet et Carette, *L'Algérie, l'univers ou l'histoire et description de tous les peuples de leurs religions, mœurs, coutumes*, Ed. Firmin Didot frères, Paris 1850. Livre numérisé. spenatto@club-internet.fr www.algerie-ancienne.com , p.262.

ست فرق محلية تنشط بالبلاد، و تضم 33 زاوية، و أكثر من 251 *طالب* يتلقون و يُلقنون تعاليم الطريقة، 4 شيوخ و 301 *مقدم*، 21056 *خوان* و 2695 *خوانيات*"[148].

3.2 الطريقة الدرقاوية:

وفي نفس الحقبة التاريخية كانت تضم هذه الطريقة زاويتين هي الأخرى و لا يشرف عليهما أي *مقدم*، و أولها زاوية تابعة للشيخ محمد ألهبري الساكن بدوار أولاد زعيم بالمغرب، و بها اثنا عشر *درويشا* و تعتمد هذه الطريقة على مصطلح *الدراويش* بدل *الفقرا*. أما الزاوية الثانية فشيخها هو بوشنتوف بو عبد الله بن عبد القادر بن علي الساكن بمعسكر، و بدورها تضم نفس عدد *الدراويش* المنخرطين في الزاوية السابقة أي اثني عشر. و كلاهما يشترك في ولائهما للزاوية الأم زاوية بوبريح قبيلة بني زيرونال بالمغرب، و يقودها سيدي عبد الرحمان ولد سيدي الطيب حفيد الشيخ مولاي العربي بن احمد الدرقاوي.

و "تتجزأ الطريقة الدرقاوية إلى ثماني فرق... و هي محصورة بمقاطعة وهران، ونجد لها 10 زوايا، 134 *طالب*، 19 شيخ، 72 *مقدم*، 8232 *درويش*، 1118 *خوانيات*، 2 *شاوش*، تابع للطريقة"[149].

3.3 الطريقة الزيانية:

كانت تضم في القرن 19م، زاوية واحدة تنشط بإقليم بلدية عين تموشنت، وهي تابعة للشيخ سيدي محمد بن عبد الله، و بها *مقدمان* اثنان و واحد وستون *خوان* (*فقير*)، زاويتها الأم تقع بخناتزة بالمغرب. و "للزيانية 2 زوايا، 76 *مقدم*، 4 *شاوش*، 2673 *خوان*، و زاويتها الأم بالمغرب، و هي متمركزة بمقاطعة وهران"[150].

3.4 الطريقة الطيبية:

نشطت زاوية واحدة طيبية الطريقة على مستوى إقليم بلدية عين تموشنت في القرن 19م، بها *مقدمين* اثنين و سبعون *خوان*، زاويتها الأم بمنطقة وزان بالمغرب وشيخها

[148] Octave DEPONT, Xavier COPPOLANI, Op.cit. p.212
[149] Op.cit. p. 214
[150] ibid

مولاي العربي بن الحاج عبد السلام. و لقد "حافظت الطريقة الطيبية على تنظيمها المركزي، و تضم ثماني زوايا، 21 *وكيل*، 234 *مقدم*، 19110 *خوان*، 2597 *خوانيات*، ينشطون بالأقاليم الثلاثة للبلاد، و يتلقون تعاليمهم من الزاوية الأم بوزان المغرب"[151].

3.5 الطريقة الشيخية:

ضمت هذه الطريقة في القرن 19م، اكبر عدد من *الفقرا* المنتسبين إليها بمجموع مائتان و أربع وثمانون *فقير*، زاويتها الأم هي زاوية سيد الشيخ وسيد الحاج عبد الحاكم، وشيخ هذه الزاوية المتواجدة بإقليم بلدية عين تموشنت هو سي الدين بن حمزة سي العربي بن قدور بن حمزة سي حمزة بن بوبكر. و الأرجح إنهم أحفاد قبيلة أولاد سيد الشيخ الذين هاجروا مع الشيخ بوعمامة إلى المنطقة بعد انقضاء مقاومته، وهم مستقرون حاليا ببلدية أولاد الكيحل و تارقة، و دأب أحفاده من بعده اليوم، على تنظيم وعدة سنوية تسمى بوعدة سيد الشيخ تخليدا للولي الصالح. و هي "تحصي أربع زوايا، 45 *مقدم*، 1020 *خوان*، 140 *خوانيات* و 21 *وكيل*، يتوزعون على مقاطعتي الجزائر و وهران."[152]

3.6 الطريقة التيجانية:

وهي الطريقة التي ينخرط تحت لوائها اقل عدد من *الفقرا* و يقدر بخمسة، زاويتها الأم هي بعين ماضي و شيخها هو سي بشير بن محمد الصغير التجاني سي محمد بن سي محمد العيد، و سي محمد ألعروسي بن سي محمد الصغير. حسب نفس الفترة التاريخية للقرن 19م.

و "الزاويتان الأساسيتان للطريقة هما، بعين ماضي و تماسين، و لكل منهما شيخ و لهم 32 زاوية تنشط بالأقاليم الثلاث للبلاد، و تحصي 165 *مقدم*، 162 *شاوش* مسير، 19821 *أحباب*، 5164 *خوانيات*"[153].

[151] Op.cit. p. 213
[152] Op.cit. p. 214
[153] Op.cit , p.213

كخلاصة لما سبق ذكره نلاحظ كثرة و تعدد الطرق الصوفية في إقليم بحجم عين تموشنت و الذي لا يعتبر مركز عمراني كبير في هذه الفترة، و هذا ما يعكس الدور الاجتماعي الكبير الذي كان تحت وصاية مؤسسة الزاوية. و سمح غياب تنظيم بديل يكون أكثر قوة و هيمنة للحافظ على النسق الكلي و تماسك بنية المجتمع كالدولة، في الاعتماد على الزاوية للعب هذا الدور. بالإضافة إلى ميزة "المنطقة خاصة و الغرب الجزائري عامة في قربهما من المغرب، إذ شجع هذا على كثرة الزوايا بالمنطقة" و هذا ما يؤكده كمال بوشامة[154]. و هناك رأي آخر يُرجح كثرة الزوايا بالغرب إلى كثرة تواجد الرباط على طول الساحل الغربي، لمحاربة الأسبان المحتلين للمدن الغربية، فأصبح كل رباط نواة للسلطة جاءت لتضم أوامر *الخُوان*.[155] إضافة إلى ذهنية الأفراد آنذاك التي كانت تعتقد في بركة و حماية الشيوخ، و يقول احد الإفراد في هذه الحقبة، "كل شخص لا يعتقد في شيخ فان الشيطان هو شيخه"[156].

و للإشارة فقط فان احد أبناء المنطقة هو الشيخ احمد بن علي بوحجر الذي تنقل إلى تونس و أسس الزاوية الرحمانية بالكاف مابين 1784-1785، بعدما خلف الشيخ سي مصطفى الطرابلسي الذي كان احد الأتباع الأساسيين للشيخ عبد الرحمان بوقبرين مؤسس الطريقة الرحمانية. و بقيت عائلة احمد بن علي بوحجر اصيل منطقة عين تموشنت تتوارث الإشراف على الزاوية الرحمانية بالكاف، إلى أن وصلت المشيخة إلى سيدي علي بن عيسى سنة 1881[157] أي قرابة قرن من الزمن. غير أن الطريقة الرحمانية لم يظهر لها اثر بمنطقة عين تموشنت، و الشيخ احمد بن علي بوحجر هو من سلالة سيد احمد بوحجر الولي الصالح الذي له ضريح بحمام بوحجر، و أسس أحفاده اليوم زاوية تحمل اسمه مبينة في الجدول رقم (06).

---

[154] Kamel BOUCHAMA, Op.cit, p. 105.
[155] Kamel FILALI, Op.cit, p.104
[156] Op.cit. P. 109.
[157] لطيفة الأخضر، ***الإسلام الطرقي: دراسة في موقعة من المجتمع ومن القضية الوطنية***،دار سراس للنشر، تونس 1993،ص46.

4- الزوايا الناشطة بمنطقة عين تموشنت بعد الإستقلال:

سيتم عرض الزوايا الناشطة بعد الإستقلال بإقليم ولاية عين تموشنت في الجدول رقم (06)، الذي يضم قائمة للزوايا الناشطة و طرقها المنتشرة حاليا عبر الولاية و به ثماني عشرة زاوية.

جدول رقم (06) الزوايا الناشطة بعد الإستقلال بولاية عين تموشنت

الرقم	اسم الزاوية	الطريقة المتبعة	البلدية
01	زاوية سيد الشيخ عبد القادر	القادرية	بني صاف
02	زاوية سيد الشيخ بوعمامة	الشيخية	ولهاصة
03	زاوية الشيخ سيدي محمد بوتليايس	القادرية	شعبة اللحم
04	زاوية سيدي بن عيسى محمد	العيساوية	بني صاف
05	زاوية سيدي بن يعقوب الشريف	بدون	عين الطلبة
06	زاوية أولاد سيدي بن صافي	-	سيدي الصافي
07	الزاوية الاحمدية الإبراهيمية الحنفية	الاحمدية الإبراهيمية الحنفية	سيدي بن عدة
08	زاوية مولاي عبد القادر	القادرية	عين تموشنت
09	زاوية سيدي احمد بن يوسف	الدرقاوية	عين تموشنت
10	الزاوية الهبرية	الدرقاوية الهبرية	واد الصباح
11	زاوية سيدي بودية	التيجانية	واد الصباح
12	زاوية سيدي بن عمر سيدي بومدين	القادرية	سيدي بومدين
13	زاوية الشيخ عبد القادر مسقمين	-	حمام بوحجر
14	زاوية سيدي احمد بوحجر	بدون	حمام بوحجر
15	زاوية الجازولي	العيساوية الجازولية	ولهاصة
16	زاوية سيدي يعقوب	بدون	ولهاصة
17	الزاوية التيجانية	التيجانية	عين تموشنت
18	زاوية اولاد سيدي بوعزة	القادرية	سيدي بن عدة

المصدر: مديرية الشؤون الدينية و الأوقاف سنة 2009.

تنشط بإقليم بلدية عين تموشنت حاليا ثلاث زوايا، واحدة تتبع الطريقة القادرية وهي موضوع الدراسة و الثانية الطريقة التيجانية و الطريقة الدرقاوية للزاوية الثالثة.

كقراءة مقارنة بين الجدول رقم (05) المبين أعلاه لديبون و كوبولاني، في المسح الإحصائي لما بين سنة (1830-1897)، والجدول الآتي رقم (06) الذي يبين الطرق و الزوايا الناشطة حاليا بولاية عين تموشنت.

نلاحظ وجدود بعض الطرق و الزوايا التي بقيت امتدادا و استمرارا لما جاء في دراسة ديبون و كوبولاني على غرار الطريقة القادرية الممثلة بزاويتين، و أول زاوية امتداد لدراسة ديبون و كوبولاني هي زاوية الشيخ سيدي محمد بوتليايس الشيخ الذي كان يشرف على الزاوية ما بين(1892- 1896) الذي ولاه سي محمد المرتضى ابن عم الأمير عبد القادر نائبا له، و الساكن بشعبة اللحم أين يتواجد مقرها الحالي إلى اليوم، لكنها عرفت تحولا في رمزية اسمها فأصبحت تسمى اليوم بزاوية الشيخ سيدي محمد بوتليايس. اما الزاوية الثانية القادرية الطريقة و المذكورة في دراسة ديبون و كوبولاني الكائنة باقليم بلدية عين تموشنت، فلم تتاكد الدراسة من وجودها حاليا، لأن الزاوية موضوع الدراسة و القادرية الطريقة لا علم *لمقدمها* بالطريقة التي كان يتبعها جده.

بالإضافة إلى الطريقة الشيخية الممثلة بزاوية الشيخ بوعمامة، فهي كذلك امتداد للزاوية التي ذكرت في دراسة كوبولاني الجدول رقم (05) و وردت في الجدول رقم (06) باسم زاوية الشيخ بوعمامة، و عرفت تغييرا في رمزية الإسم و المكان حيث أصبح مقرها في ولهاصة. أما الطريقة التيجانية و الطريقة الدرقاوية ممثلة بزاويتين هما، الزاوية الهبرية و زاوية سيدي احمد بن يوسف. و الجازولية المذكورة في الجدول رقم (06)، فهي كذلك امتداد لما ذكر في الجدول رقم (05) لكوبولاني، و ميزتها أنها حافظت على دلالات رموز أسمائها إلى اليوم. لكن الزاوية الهبرية عرفت تغييرا في مقرها و المتواجد حاليا ببلدية واد الصباح.

أما الطرق و الزوايا المندثرة فهي الطريقة الطيبية و الزيانية بالاضافة لزاوية واحدة قادرية، قد ذكرت في الجدول رقم (05) لديبون و كوبولاني و لم يرد ذكرهم في الجدول رقم (06) الذي يبين الطرق و الزوايا الناشطة حاليا بولاية عين تموشنت.

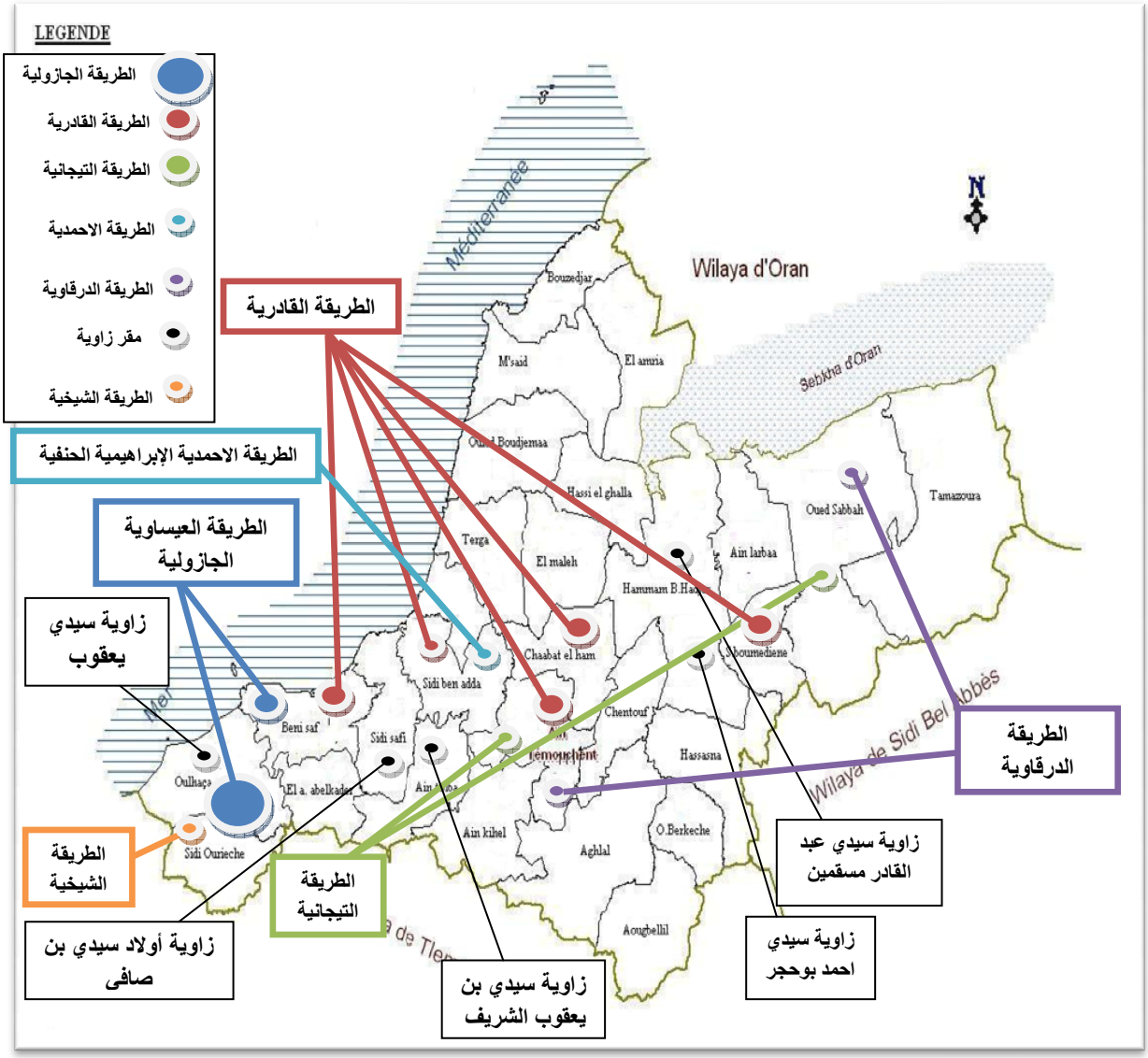

المصدر: الباحث بتاريخ جويلية 2011

أول قراءة نستنتجها من توزيع الطرق و الزوايا بولاية عين تموشنت هو وجود ست طرق، و تعتبر الطريقة القادرية الاكثر تمثيلا بخمس زوايا. و تليها الطريقة الدرقاوية و العيساوية و التيجانية ممثلة بزاويتين لكل منها. ثم تليهما الطريقة الشيخية و الطريقة الاحمدية ممثلة بزاوية واحدة لكل منهما.

يتمركز نشاط الزوايا بالأقاليم الشرقية الساحلية للولاية بالخصوص، مقارنة مع المناطق الشمالية و الجنوبية و الهضاب الداخلية لحمام بوحجر أو هضبة "ملاتة" التي تضم بلديات: عين الأربعاء و سيدي بومدين، واد الصباح و تمزوغة، و يرجع هذا التوزيع للتنافس الرمزي لهذه الزوايا مع الزاوية الجازولية. أما عن درجة الشعبية التي تتمتع بها الطرق، فيظهر جليا أن الطريقة الجازولية هي الأكثر شيوعا لاسيما بمنطقة ولهاصة التي تضم بلديات، سيدي ورياش، سوق الاثنين، الأمير عبد القادر. و يمتد تاثيرها الى منطقة بني صاف و سيدي الصافي، و معظم سكان هذه المنطقة يقصدون مقر خلافتها بسيدي ورياش للزيارة و التبرك. ثم تليها الطريقة القادرية، ممثلة بخمس زوايا في كل من عين تموشنت و هي الزاوية المدروسة، و أخرى بشعبة اللحم و واحدة ببني صاف و اخرى بسيدي بن عدة و سيدي بومدين، و رغم أن عددها أكثر من زوايا العيساوية الجازولية إلا أنها اقل شعبية من الجازولية في تصور المخيال الشعبي للمنطقة، و يظهر هذا في اعداد و اتجاهات الزائرين لزاوية على حساب اخرى، فالزاوية التي تستقطب زائرين لها من مختلف مناطق الوطن او خارجه، ليست كالزاوية التي تستقطب زوارا محليين فقط، فهذه النقطة هي بمثابة تباهي بين الزوايا و ترسيخ للقدسية المكان.

5- نشاط الطريقة القادرية بعين تموشنت:

تمركز الطريقة القادرية بالمنطقة كان حسب الظروف التاريخية لدخول الطريقة للجزائر عامة، و" يرجع فضل دخولها للجزائر للمتصوف، *سيدي أبي مدين شعيب* دفين تلمسان، و الذي تتلمذ على يد شيخ الطريقة، إضافة إلى استقرار إبراهيم بن عبد القادر

الجيلاني بمنطقة الاوراس"[158]، و هي من العوامل المباشرة التي ساهمت في نشر الطريقة بالجزائر.

و يشكل القادريون في الجزائر جماعات تتمتع كل واحدة بالاستقلال الذاتي و المالي، و لا تشترك فيما بينها إلا في المنهج الصوفي و الولاء للزاوية الأم ببغداد، فكل زاوية لها الحرية التامة في تعيين *لمقدمين*، و لكل شيخ نسبه الرمزي الشريف أي الانتماء لنسب الرسول صلى الله عليه وسلم، و لها ختمها الخاص بها.[159]

عرفت القادرية بمقاطعة وهران انتشارا واسعا حين كان أتباع الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر يسعون لنشر الطريقة، و كان الشيخ سي محمد المرتضى ابن عم الأمير يُسير *الفقرا* و *لمقدمين* التابعين له من منفاه في بيروت، و نائبه على منطقة وهران هو الشيخ بوتليليس المقيم في شعبة اللحم المذكورة سابقا. و هذا ما يبرز النفوذ الواسع الذي كانت تتمتع به الطريقة القادرية بمنطقة عين تموشنت، من خلال تمثيل الطريقة بزاويتين و مقر الخلافة القادرية للناحية الغربية في فترة (1892- 1896) بشعبة اللحم.

إضافة إلى وجود أكثر من *مقام* لمولاي عبد القادر بالمنطقة، فمقاطعة وهران كانت تحوي أكثر من مائتي قبة و *مقام* لمولاي عبد القادر[160] حسب الإحصائيات الفرنسية لسنة 1882م، استحوذت الطريقة القادرية على تسع و عشرون زاوية، و مائتين وثمانية و ستون *مقدم*، و أربعة عشر ألف و خمسمائة و أربعة و سبعون *خوان*، منتشرون عبر كامل التراب الجزائري.[161]

---

[158] صلاح مؤيد العقبي، ***الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر ، تاريخها و نشأتها***، دار البراق، بيروت،2002، ص 145-146.

[159] Octave DEPONT, Xavier COPPOLANI, op.cit. p.305

[160] Louis RINN, op.cit p.175.

[161] Op.cit. p.200

- **خلاصة الفصل:**

بعد هذه النظرة التاريخية للمنطقة، نلاحظ تنوع الحضارات المتعاقبة عليها و هذا ما أنتج كوكتالا ثقافيا لازالت شواهده حاضرة إلى اليوم في الحياة الاجتماعية للمجتمع المحلي، خاصة ما تعلق منها بالحضارة الإسلامية التي أنتجت تراثا دسما في مادة الطرق الصوفية. وسينفرد الفصل الموالي بدراسة نموذج مؤسسة تقليدية المنشأ و مسايرتها لحداثة الوقت الراهن، في كيفية بعث كيانها الجديد من خلال البحث في الأسس الأنثروبولوجية. فأنطلاقا من تحليل تصور المشروعيات التي اعتمدها مقدم الزاوية في تأسيسه لزاويته كأول أساس، ثم التطرق إلى ثاني أساس أنثروبولوجي اعتمد عليه مقدم الزاوية هو الخطاب و ما يصاحبه من ممارسة، يكونان دعامتين لتقوية البناء الرمزي للزاوية، و قوة البناء الرمزي هي التي ستسمح، بتوسيع قاعدة علاقات الزاوية من جهة، و تموقعها في الحقل السياسي المحلي من جهة أخرى. و هذا النموذج، هو الزاوية القادرية بمدينة عين تموشنت.

الفصل الثالث

- **تمـهيد:**

تخضع كيفية نشوء الزاوية لاعتبارات فعلية، تجعل منها مؤسسة قوية قائمة بذاتها، فما هي هذه الاعتبارات؟. و هذا ما سيحاول هذا الفصل إظهاره، فبعد التطرق لأصول الطريقة القادرية و عن صاحبها في لمحة تاريخية مختصرة في العنصر الأول. و تطرقت الدراسة في عنصرها الثاني، إلى الإمتدادات التاريخية للزاوية القادرية سيد أحمد دومة بعين تموشنت. و عن الإعتبارات التأسيسية للزاوية، فتم التطرق إليها من خلال متابعة الإجراءات و الآليات الأنثروبولوجية و الإدارية التي اعتمدها *لمقدم* على تأسيس زاويته. و قُسمت هذه الآليات إلى قسمين، قسم يتناول المشروعيات الروحية و ما ترتب عنها من آليات لجأت إليها الزاوية في تأسيسها كمشروعية النسب الشريف و مشروعية البرهان و مشروعية التوارث و مشروعية العلم و البركة بلإضاقة لمشروعية الطرُقية أي الإنضمام تحت لواء طريقة صوفية معينة. و القسم الثاني من الآليات التأسيسية التي اعتمدتها الزاوية ما تم معالجته في جانب المشروعية الإدارية و ما أفرزته من إجراءات إدارية و أشكالها لتأسيس الزاوية، و هذا ما تمثل في تأسيس الجمعية الولائية سيد أحمد دومة و الإنخراط في شبكة وطنية هي الجمعية الوطنية للزوايا، و الشكل الأوسع للإجراء الإداري هو الإنخراط في الشبكة الدولية.

1- أصول الطريقة القادرية:

تعتبر من اكبر و اعرق الطرق الصوفية المنتشرة عبر مختلف المناطق في العالم، ومن بين هذه المناطق الدول المغاربية. و هي ما ورد من أقوال و أفعال من المنهج الديني للشيخ عبد القادر الجيلاني و تعاليمه و مواعظه مثل قوله:" اتبعوا و لا تبتدعوا، و أطيعوا و لا تخالفوا، و اصبروا و لا تجزعوا، و اتحدوا و لا تتمزقوا، و انتظروا و لا تيأسوا، و اجتمعوا على الذكر و لا تتفرقوا، و تطهروا من الذنوب و لا تتناطحوا و عن باب مولاكم فلا تبرحوا"[162]. و يربطها البعض بالقَدَر كما "يستدل ذلك من علاقة الأمير عبد القادر بفرنسا، فلما أصبح السلاح عاجزا عن حسم الأمور معها، رأى الأمير أن تلك مشيئة الله."[163] ترجع الطريقة القادرية لمُؤسسها "المتصوف الذي جمع بين الفكر الروحاني الماورائي، المبني على الوحدة المطلقة لله و بين انفتاح العقل و الذهن على تفهم معطيات الحياة"[164] هو عبد القادر الجيلاني[165]، الولي الصالح سيد محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبو صالح موسى الحسني وُلد سنة 471 هجرية الموافق لسنة (1078-1079م) في جيل أو جيلان، قرب بغداد و توفي في نفس المدينة عن عمر يناهز 90 سنة من ليلة الجمعة إلى السبت 08 ربيع الثاني 561 هجرية، الموافق 11 فيفري 1166م، سليل الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، نشأ في وسط عائلة فقيرة مُشبعا بروح تعاليم التربية الإسلامية و يُروى عنه قصة مشهورة جرت وقائعها في طريقه إلى مكة، إذ تعرض سبيل القافلة التي كان الشيخ يرافقهم فيها قُطاع طرق، فسلبوهم أموالهم الواحد تلو الآخر. و لما جاء الدور على الشيخ تقدم إليه قائد العصابة و أمره أن يبتعد عنه لأن مظهره كان يوحي بفقره، فأجابه الشيخ أنه يملك عشر دراهم، فاندهش قائد العصابة من جوابه و سأله لماذا لم تتكتم عن الأمر و تنصرف؟، فأجابه الشيخ أن أمه أوصته بعدم الكذب أبدا، فأعطاه قائد العصابة خمسين قطعة ذهبية وزعها على فقراء القافلة. و مغزى هذه القصة يُؤكد حُسن خُلق الشيخ منذ نعومة أظافره، كما يتخذ أهل الطريقة منها نموذجا

[162] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 148.
[163] جورج الراسي، المرجع السابق، ص 216.
[164] نفس المرجع ، ص34.
[165] Louis RINN, Op.cit. p. 173

يقتدي به *فقرا* و شيوخ الطريقة. و أُسُس الطريقة القادرية سبع خصال هي، "المجاهدة أي وَأد شهوات النفس و الدنيا بالذكر و العبادات، و التوكل على المعبود في كل الأمور، و حسن الخلق و المظهر، و الشكر الدائم للنعم الله، و الصبر على ما أبتلي به المؤمن، و الرضا بما أعطى الله، و الصدق في الحديث".[166] اشتهر الشيخ بعدة ألقاب كسلطان الأولياء، و يُقال انه استحق هذا اللقب لأنه لم يكذب أبدا في حياته، و بقي واقفا على رجل واحدة لمدة ثلاثين سنة.[167] و لقب قطب الأقطاب و الغوث، بوعلام أي سلطان البر و البحر. و يتناقل أتباع الطريقة الجوانب الخارقة و المعجزات من حياة الشيخ الجيلاني، حتى لا يُطعن في قدسية الشيخ، لأن هذه المعجزات يخصها الله لعباده الصالحين، لتكون برهانا ربانيا على النهج الذي يسلكه الشيخ و أتباعه من بعده. يعتبر عبد القادر الجيلاني من الأولياء الأكثر شعبية و انتشارا في مخيلة المجتمعات الإسلامية، فيذكره الناس كلما أراد احدهم أن يقضي حاجة أو عند التسول أو القيام بأي غرض في الحياة اليومية.[168] كما تنخرط تحت لواء الطريقة العديد من *القباب* و *المقامات* تبركا ببركة الشيخ الصالح، و يوجد بالجزائر حاليا خمس و أربعون فرقة قادرية، من أصل سبع و أربعين فرقة قادرية منتشرة عبر أنحاء المعمورة. غير أن هذا الإحصاء كان قبل اعتماد الزاوية موضوع الدراسة طريقة جديدة، و هي الأولى من نوعها في الجزائر، تتخذ من الزاوية القادرية بالحرمين الشريفين زاويتها الأم. و تحصي بلدية عين تموشنت على سبيل المثال ثلاث *مقامات* للشيخ، واحد يقع بأعالي المدينة و يقع الآخران على الطريق الرابط بين عين تموشنت و بلدية أغلال جنوبا باتجاه سيدي بلعباس.

2- تاريخ الزاوية القادرية سيدي احمد دومة بعين تموشنت:

أشار الجدول رقم (05) في الفصل السابق الذي يبين الطرق و الزوايا المتواجدة في إقليم بلدية عين تموشنت إبان الفترة الاستعمارية من (1830 إلى 1897)، وجود زاويتان

---

[166] أبوبكر القادري، ***الشيخ عبد القادر الجيلاني و دوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين الآسيوي و الإفريقي***، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1999،ص144.

[167] Emile DERMENGHEM, *Le culte des saints dans l'islam maghrébin*, Ed. Gallimard, 1954, Paris 8, p. 27.

[168] Louis RINN, Op.cit. p.176

تتخذ من القادرية طريقة لها. و عن تصنيف الزاوية موضوع الدراسة في الجدول رقم (05)، فقد عجزت الدراسة تحديد طريقتها آنذاك و فترة تأسيسها بدقة نظرا لغياب وثائق تاريخية مادية تبين تاريخ التأسيس و الطريقة المتبعة، و هذا ما أكده *لمقدم* بنفسه للدراسة. و *لمقدم* هو السيد: د،ع من مواليد سنة 1968 بمدينة عين تموشنت متزوج و أب لطفلين، توقف مشواره الدراسي في القسم النهائي من التعليم الثانوي، تلقى تعليمه الإبتدائي و المتوسط و الثانوي بالمؤسسات التربوية للمدينة. اشتغل في منصب حكومي بإحدى مديريات الولاية سنة 1996، و استقال من هذا المنصب سنة 2001 ليتفرغ لشؤون الزاوية. و يتناقل المخيال الشعبي المحلي "*ولاد لَبلاد*" أي أبناء البلاد من العائلات القديمة التي استقرت بالمنطقة، إذ تختزن ذاكرتهم صورة زاوية بالمكان الحالي للزاوية تشرف عليها عائلة *لمقدم* الحالي، و هذا ما توارثوه شفويا عن أجدادهم و نفس هذا الحال مع *لمقدم* الذي توارثت عائلته شفويا الإرث الرمزي للزاوية. تعتبر عائلة *لمقدم* من عائلات أعيان المنطقة، لأنها نالت شرف تأسيس و تدبير زاوية، و لن تحض أي عائلة بهذا الشرف إلا إذا كانت تملك مصادر تمويلية إضافية، تسخرها في خدمة الأمر الرباني الذي يتجلى في إدارة شؤون الزاوية و ما تتطلبه من احتياجات الإطعام و المبيت و تلبية حاجيات السائلين. و لا يتيسر هذا الأمر إلا لمن كان ميسور الحال، أو صاحب أراضي زراعية واسعة و هذا من الجانب الإقتصادي. بالإضافة إلى الإنتماء للنسب الشريف من الناحية الثقافية، و هذا ما تتناقله الذاكرة المحلية عن عائلة*لمقدم*.

تقع الزاوية المراد دراستها في مبنى قصديري يرجع للفترة الاستعمارية الفرنسية كان مخصصا كمركز للنشاطات الحرفية في هذه الفترة، وأصبح غداة الاستقلال متوسطة تربوية تحمل اسم اكمالية فاطمة الرحمانية. وعن موقع هذه المتوسطة فهو إستراتيجي وتكمن إستراتجيته، في توسطه للتوسع العمراني الجديد الذي عرفته المدينة في أوائل الثمانينات. في فترة بداية الثمانينات انتقل مقدم الزاوية مع عائلته إلى إحدى السكنات الوظيفية للمؤسسة التربوية باعتبار أن والده يشتغل بالتعليم، فسكنوا في إحداها مع عائلات أخرى تقطن في نفس السكنات الوظيفية من موظفي التعليم، إلى غاية بداية التسعينات أين

انتقلت عائلته إلى مسكن آخر، و بقي *لمقدم* بمفرده في نفس المسكن يواجه واقع تأسيس الزاوية. و من رحم هذه المؤسسة التربوية ظهرت ملامح مؤسسة تقليدية، تتمتع بالشخصية الدينية و تتخذ من المظهر الديني أصلا و منهجا تتبعه، وهو ما اتفق المخيال الشعبي على تسميته بالزاوية. يشرف على هذه الزاوية *مقدَم* أو خديم، يعتبر نفسه من أصل شريف. انزوى تحت لواء القادرية كطريقة و أذن له بالتقديم شيخ من مشايخ الطريقة القادرية بالمغرب من منطقة وجدة و أعطاه الإجازة شفويا. و إجازة أخرى من شيخ الطريقة بورقلة، غير إن *لمقدم* لم يشئ تزويد البحث بنسخة منها لأنه غير مؤذون له إظهارها لأي احد مهما كانت صفته. و للإشارة، فإن مؤسس الزاوية يعتمد على الإرث الشفوي كمصدر وحيد يثبت شرعية الزاوية دينيا و تاريخيا.

و تظهر الصورة الموالية، موقع اكمالية فاطمة الرحمانية المهدمة و مقر الزاوية موضوع الدراس

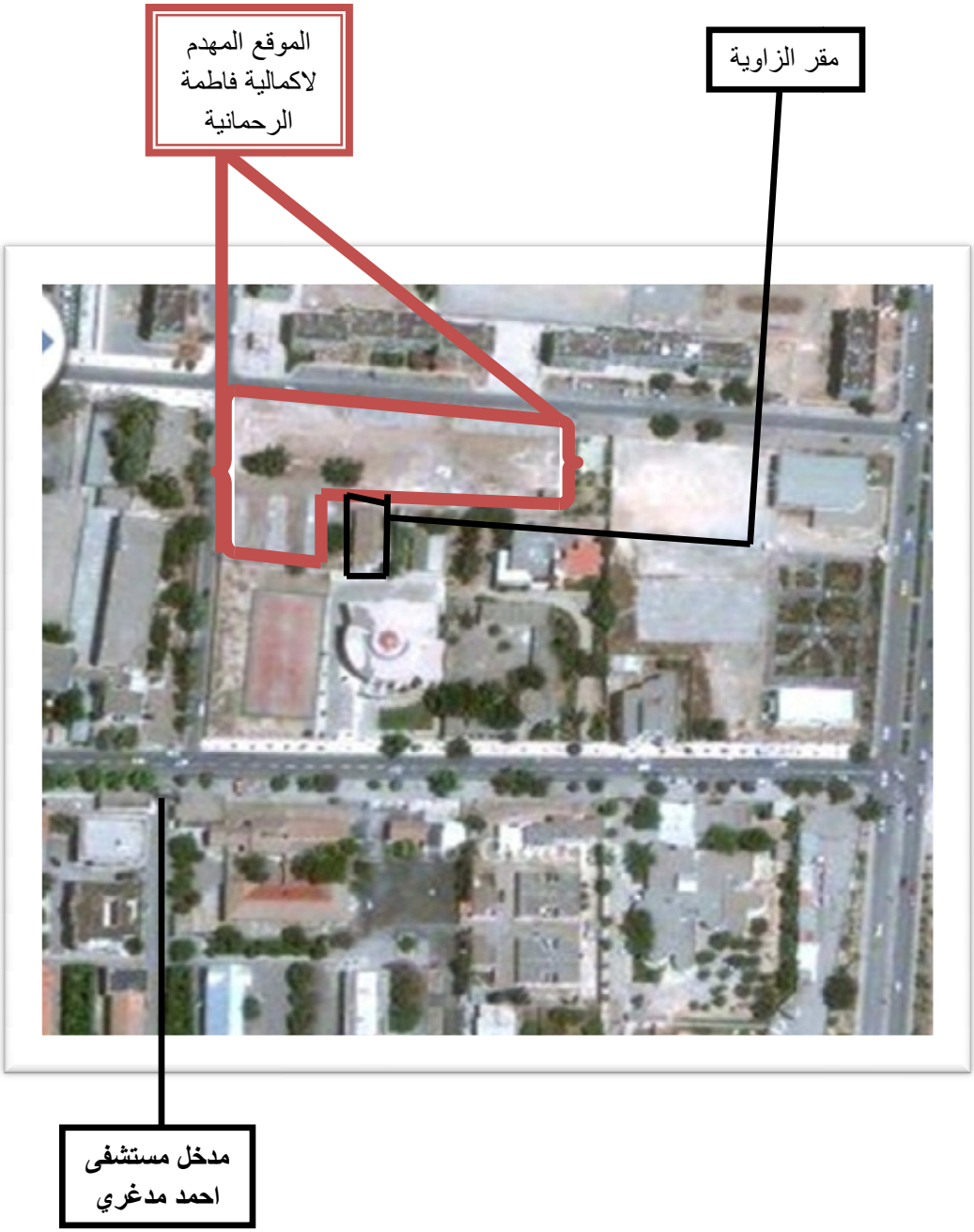

(الصورة 01) تُظهر مقر الزاوية بمدينة عين تموشنت بتاريخ 16-10- 2010.[169]

[169] www.googlemap.fr, consulté le : 16/10/2010.

3- أشكال المشروعيات الروحية التأسيسية:

3.1 تعريف المشروعية:

المشروعية هي "نوعية الحكم في مطابقته لتطلعات المحكومين حسب طبيعته و شكله كي تسمح بانخراط و قبول الحكام، المشروعية هي الوسيلة التي من خلالها يكون الإبداع مقبولا في أعين الرأي العام. يضع فيبر (1922) المبدأ الأساسي لمشروعية السلطة في قلب فهم المجتمع، و يبرهن إن الرابط الموحد للحكام بالمحكومين يوجه انخراط هؤلاء بقبول المؤسسات"[170]. و "ميز فيبر بين ثلاثة مصادر لهيمنة المشروعية، المشروعية العقلانية و التي تتأسس على الهيمنة القانونية، المشروعية التقليدية التي تنبني على قداسة العادات و التقاليد، المشروعية الكارزماتية التي تتمحور حول الفرد الذي يتمتع بقدرات خاصة للحفاظ على النظام الذي أسسه (...) فالمشروعية شرط أساسي لإستقرار الأنظمة السياسية".[171]

تعتمد المؤسسات الدينية التقليدية على مشروعيات تكون بمثابة سند و حصانة لها، لاسيما الجانب الروحي الذي يستلهم مبادئه من الديني الإسلامي. لتكسب إيمان الناس بها و يفوزوا ببركة الولي الصالح الذي يملك من المعجزات و الكرامات، ما يؤهله أن يكون مركز احترام وطاعة. فما هي آليات المشروعية الروحية و الأنثروبولوجية التي تستند إليها مؤسسة مثل الزاوية في وقت عزف الناس فيه عن تصديق الخوارق و المعجزات؟.

3.2 مشروعية النسب الشريف:

ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي، طائفة جديدة من الأولياء و هم الشرفة القادمين من الساقية الحمراء، و هم من نشروا الصوفية في الأوساط الريفية.[172] يقصد بالنسب الشريف الإنتماء لسلالة الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، و يعتبر نجيب مهتدي، "أن

[170] Fançois GRESLE, Michel PANOFF, Michel PERRIN, Pierre TRIPIER, *Dictionnaire des sciences humaines anthropologie/sociologie*, Ed. Nathan université, Paris, 1994. P. 295.
[171] Raymond BOUDON, Philipe BESNARD, Mohamed CHARKAOUI, Bernard-Pierre LECUYER. *Dictionnaire de sociologie*, Ed. Larousse, 2005, Paris, p 133.
[172] Sossie ANDEZIAN, Op.cit. p.21.

للشرفة مكانة اجتماعية مرموقة نظرا للاحترام الذي يحظون به و القداسة التي تتمتع بها عائلاتهم، أهلتهم هذه الوضعية أن يكونوا موضعا للسيطرة التامة و سلطتهم ليست اقتصادية فحسب بل دينية و ثقافية و سياسية."[173] و "أي شخص يكون نسبه للرسول محمد صلى الله عليه و سلم، يملك شرعية اكبر في إنشاء زاوية و له سلطة في طاعة الناس له، عكس الذي لا ينتسب لنسب الرسول فعليه بالبرهان".[174] و يضيف ر.بوبريك بقوله، " قداسة الشرفة لا تتأسس على القدرات الثقافية للشخص المعني لكن في الإرث الرمزي المُقَدم في شرعية الدم مع النبي محمد صلى الله عليه و سلم. "[175]، إذا عكسنا هذا العامل على الزاوية موضوع الدراسة، و رجعنا إلى أصل الزاوية التي أسسها جد *لمقدم* في القرن الثامن عشر، فهي لا تخرج عن هذه القاعدة أي الإنتماء لسلالة النبي. و هذا ما يؤهلها أن تنال رمزية شرف تأسيس زاوية، مقارنة مع من ليس شريف النسب. فهذا العامل من الآليات الفعلية المهمة و الحاسمة، من مجموع الإجراءات الروحية و الأنثروبولوجية المعتمدة على التأسيس، لأنها منزلة دينية و اجتماعية مرموقة[176]، في مجتمعاتنا المغاربية عامة.

3.3 مشروعية البرهان:

تمثلت *للمقدم* تصور مشروعية البرهان في رؤى و منامات منذ بلوغه سن الثالثة عشرة، حيث كان يراوده فيض رباني ليس كبقية المراهقين من أمثاله، إذ كان يحبذ الخلوة و اعتزال الناس. و في السن التاسعة عشرة أي في سنة 1987م، تمثلت *للمقدم* رؤية منام يرى فيها الرسول صلى الله عليه و سلم، في ليلة المولد النبوي الشريف، يأمره بإعادة إحياء الأمر الرباني الذي اندثر بفعل ظروف و عوامل تاريخية ترجع أساسا للحقبة الإستعمارية، التي حاربت كل أشكال التدين بالجزائر، لاسيما الطُرقية التي اتخذت من المقاومة اللغة الوحيدة التي خاطبت بها الإدارة الاستعمارية. و بعد بلوغ *مقدم*

[173] Najib MOUHTADI, Op.cit. p.22.
[174] Op.Cit. p: 137-138
[175] Rahal BOUBRIK, *Saints et société en islam : la confrérie ouest saharienne fadiliyya*, Ed. CNRS, Paris, 1999, p. 69 .
[176] Ibid.

الزاوية سن الثالثة و الثلاثين أي في سنة 2001 م، تجلت له رؤية في منام آخر يرى فيه فاطمة الزهراء رضي الله عنها، تأمره بفتح الزاوية. وفي سنة 2006م أعتمدت الزاوية رسميا من طرف الإدارة المحلية، لتمارس نشاطها بصفة رسمية بعد ما كان نشاطها و لمدة سبع عشرة سنة من(1989م-2006م) تنشط بصفة غير رسمية أي من دون رخصة إدارية.

تعتبر آلية الرُؤى في المنام من الآليات الأنثروبولوجية و الروحية القديمة التي تستند إليها جموع المتصوفة، فهي تكرس السلطة الروحية للشيخ على أتباعه. فثقافتنا الشعبية الإسلامية تنظر إلى بعض الرؤى أنها إما اطلاع للغيب و إما رسالة ربانية، خاصة إذا تزامنت هذه الرؤية مع الثلث الأخير من الليل أي مع موعد صلاة الصبح. فيتصور للشخص الذي يتصادف مع هذه الرؤية أن رؤيته صادقة و لا مجال للتشكيك في مشروعيتها، و هو في درجة إيمانية عالية أي في مرتبة الصالحين. و هذا ما يعطي لهذه الرؤى جانبا قدسيا، لا مجال للتشكيك في صحتها. و هكذا يكون هذا الإجراء ذا قيمة إستراتيجية فعالة، تستخدمها الصوفية خصوصا من أجل تكريس سلطتهم الروحية على أتباعهم.

3.4 مشـروعـيــة الـتـوارث:

ينقسم رأي الدارسين لهذا الموضوع إلى قسمين بين من يرى في الوراثة عاملا حاسما في تثبيت المشروعية، مثل ما يعتبره ابن خلدون " القطب و معناه رأس العارفين (....) لا يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان."[177] و يقول، ا.درمنغهام، "أن الوراثة تلعب دورا مساعدا في تثبيت مشروعية الولي"[178]. و نفس الأمر عند س.اندزيان التي اعتبرت بدورها أن القداسة وراثية[179]، أي إن الجانب القدسي هو عامل يتوارثه أحفاد الولي الصالح. و تأكيد كوبولاني لنفس الطرح، من حيث توارث البركة من جيل لآخر للورثة الروحيين اللاحقين[180].

[177] عبد الرحمن ابن خلدون، المرجع السابق، ص 455.
[178] Emile DERMENGHEM, Op.cit. p.26 .
[179] Sossie ANDEZIAN, Op.cit. p. 21 .
[180] Octave DEPONT, Xavier COPPOLANI, op.cit. p.85-84 .

و يرى القسم الثاني أن القداسة فعل مُكتسب و لا علاقة له بالوارثة و التوريث، و على هذا الرأي تقف حليمة فرحات قائلة،" الأولياء الأولون هم مؤمنون متحمسون، استحوذوا على الفضل الرباني بالعمل و التقوى (....) لم يرثوا الكارزمية و لا تورث"[181].

و الملاحظ في الزاوية موضوع الدراسة حضور عامل الوراثة في عملية التأسيس، و يعتبر *لمقدم* أن أمر إعادة إحياء الزاوية كان معه من دون إخوته الآخرين أو من أبناء العم بصفتهم الأقرب إلى *التقديم*، أكثر من أبناء الخال أو الخالة فهو اختيار من القَدَر.

يردد *لمقدم* من وقت لآخر القول الشعبي " *لْعَرقْ دَسَاسْ*"، أي أننا نحمل صفات ورثناها عن الأجداد. حيث يظهر بأنه الشخص الذي اختارته القدرة الإلهية، و وجب عليه إعادة إحياء زاوية جده في نفس المكان الذي أسسها فيه جده. ليؤكد لعامة الناس أن أمر زاويته سر رباني، لأنها و بعد مرور المئات من السنين بعد اندثارها كليا أعاد الله إحيائها لما تحمله من خير وبركة في طياتها. و يقول *لمقدم* في هذا الصدد: " ما كان لله دام و اتصل، و ما كان لغير الله انفصل وانقطع".

و حسب الموروث الشفوي، الذي يعتمده *لمقدم* كمشروعية تاريخية تمتد من القرن الثامن عشر، حوالي سنة (1725 م) عندما قام جده المرحوم سيد احمد بن دومة بتأسيس الزاوية في المكان المتواجدة فيه قبل هدمها، و لما توفي دُفن في مقر الزاوية الحالي و كان له ضريح يزوره الناس. و عند دخول الإستعمار الفرنسي للمنطقة قام بهدم الضريح و صادر الأرض التي كانت ملكا لجد *لمقدم*، و المقدرة مساحتها ما يقارب عشر هكتارات، و بيعت لأحد المعمرين و إسمه « orcero» . و يُدعم هذا الموقف المشروعية الثورية للزاوية التي كانت لها علاقة عدائية مع المستعمر، و هذا ما يظهر في هدم الإستعمار للمقام الذي أُقيم بعد وفاة جد *لمقدم* و مؤسس الزاوية. و كان هذا مآل العديد

من الزوايا، مثل "زاوية الصباغين بالعاصمة و التي هدمت، و زاوية شختوت التي حولت لثكنة عسكرية"[182] و من أمثالهم الكثير.

[181] Halima FERHAT, *Le soufisme et les zaouyas au Maghreb, mérite individuel et patrimoine sacré*, Ed. Toubkal, Casablanca, 2003, p. 24.

فأمام هذا الطمس و الغصب المادي لهذه المؤسسات، لم يبق لديها سوى رمزية الموروث الشفوي تتناقله من جيل لآخر. و هذا ما تناقلته عائلات أعيان المنطقة، و ما تتناقله عائلة *لمقدم* أيضا، باعتبار جدهم هو صاحب و شيخ زاوية. و هكذا تولدت لدى *لمقدم* قناعة إحياء زاوية جده في المكان المتواجدة فيه قبل هدمها، و سيكون هذا الموقف محل اختبار و تحدي سيساهم بطريقة مباشرة في تفعيل المشروعيات المعتمدة على التأسيس.

بعد الزلزال الذي ضرب مدينة عين تموشنت في 22 ديسمبر 1999م، تقرر ترحيل المؤسسة التربوية لمبنى ملائم للدراسة، باعتبار المبنى الذي كانت تتواجد فيه الاكمالية هو مبنى قصديري و موقع مهدد بالانهيار. وهذا ما جاء في قرار اللجنة الولائية لتعيين المواقع المهددة بالإنهيار التي تشكلت بعد الزلزال، و صنفت هذه اللجنة موقع المؤسسة التربوية ضمن خانة المباني التي تستوجب الهدم بما في ذلك مقر الزاوية. تم ترحيل المؤسسة التربوية إلى مبنى جديد، و ترحيل العائلات المقيمة في السكنات الوظيفية بجوار الزاوية إلى سكنات جديدة، و بعدها تمت عملية هدم المبنى الدراسي كليا في سنة2007م، باستثناء القاعتين اللتين يتواجد فيهما مقر الزاوية حاليا و اللتين سلمتا من الهدم، و تم هم هاتان القاعتان في جوان 2011، أي بعد مرور أكثر من خمس سنوات منذ تاريخ الهدم، فظلت ما بين 2007 غلى غاية جوان 2011 قطعة ارض شاغرة تضم القاعتين اللتين تتواجد فيهما مقر الزاوية بمساحة 200م^2 (انظر موقعها مبين في الصورة 01).

يعكس هذا الطرح المشهد العام للقوة و النفوذ الذي يتمتع به الديني التقليدي، على تحدي و إبطال قرار مشروعية الدولة و لو مؤقتا، و سيتعرض الفصل الأخير لحيثيات الصراع الذي كان بين *لمقدم* و سلطة لجنة تعيين مواقع الهدم حول العقار المُشيد عليه الزاوية.

3.5 مشروعية العلم:

يشكل التكوين الروحي الظاهري إجراء مهم في عملية البناء الرمزي و الروحي للزاوية، و اعتبره ر.بوبريك، "ثاني عامل في تكوين القداسة بعد الشرفة، و يقصد

[182] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق. ص313.

بالتكوين الروحي الظاهري، المعرفة الفقهية للدين أي الإلمام بعلم الفقه"[183]. أما ف.كولونا "فاعتبرت أن العلم النافع، هو شرعية لمن يريد القداسة"[184]. و لما أرادت الدراسة التأكد عن مدى مطابقة هذا العامل على مستوى الزاوية موضوع الدراسة، رأت الإهتمام الكبير *للمقدم* الذي يوليه في ترتيل الورد الأساسي للطريقة، (انظر الملحق 02) بعد أداء كل فريضة صلاة من كل يوم إما فرديا أو جماعة، و ترتيل راتب أذكار القرآن و السنة و يتألف الراتب من سور قرآنية و أذكار المسلم اليومية، (انظر الملحق 03) و هذا حال المتصوفة عموما. و تنتقدهم السلفية في ما جاء على لسان احد الشباب القاطنين بجوار الزاوية، "أنهم غُلاة يُفرطون في الذكر على حساب الصلاة في وقتها في بعض الأحيان". أما مسألة حفظ القرآن الكريم فإن *لمقدم* ليس من الحافظين له، و هو يعتبر أن أهمية الإخلاص في العمل لمساعدة كل من يقصد الزاوية هو الجوهر، لان الأمور بباطنها و ليس بمظهرها كما يقول.

3.6 مشروعية البركة:

يُقصد بالبركة تلك الكرامات التي يخصها الله لعباده الاتقياء، "فالكرامة ترتبط بالمعتقدات الدينية، فتعيد و تثبت ما جرى من معجزات للأنبياء، و ما حصل عند نشوء الإحتفالات و الطقوس و العبادات (...) تظهر تعبيرا رمزيا عن رغبات مكبوثة عند انسان يسعى لتملك مُثل عليا بواسطة تجربة التحقق"[185]. " تتجلى رمزية البركة الربانية في العالم و الوجود، في شكل عطاء يُخص به بعض الأفراد."[186]

يُنظر لمشروعية البركة أنها عامل محدد و مقرر لمشروعية الشيخ، و عرفها ا.درمنغهام "إنها قوة نفسية قابلة للتوارث"[187]، و ربطت ف. كولونا ، "البركة بحضور العلم، و هذا ما يؤهل المرابط أن يكون شخصية كارزماتية"[188]. و يرى ر.بوبريك في

---

[183] Rahal BOUBRIK, Op.cit. P. 72.
[184] Fanny COLONNA, *Les versets de l'invincibilité : permanences et changements religieux dans l'Algérie contemporaine*, Ed. Presse de science po, Paris, 1995, P. 252.
[185] علي زيعور، ***الكرامة الصوفية و الاسطورة و الحلم-القطاع اللاواعي في الذات العربية***- التحليل النفسي و الاناسي للذات العربية، دار الاندلس للطباعة و النشر و التوزيع، ط2 بيروت،1984، ص 19-20.
[186] Zakaria RHANI, « sainteté, rituel et pouvoir au Maroc », l'*Homme* revue française d'anthropologie, Ed. EHESS, n^0 190, avril/ juin 2009, p .29.
[187] Emile DERMENGHEM, Op.cit. p .27
[188] Fanny COLONNA, Op.cit. p.254.

بركة الشيخ "أنها الكرامات و هي أمر خارق للعادة يتمتع بها الشيخ، و عموم الناس يبحثون عن هذا الجانب الخارق، ليتحول إلى قاعدة زبونية واسعة"[189].

لا يدَعي *مقدم* الزاوية انه يملك الخوارق و المعجزات، فبركته تتمثل في امتلاكه لمفاتيح التسريح لكل من يأتيه مؤمنا و مسلما له. و يذكر مثال الشاب الذي جاءه من بلدية مجاورة وكان يعاني من مشاكل في عمله بإحدى الشركات الأجنبية المستقرة بالمنطقة، بسبب فصله عن منصبه. ولما قصد *لمقدم* ليجد له حلا أو يساعده على هذا المشكل اشترط عليه *لمقدم* أن يصبح *فقيرا* بالزاوية، و عند موافقة الشاب الذي كان *فقيرا* بالزاوية التيجانية ببلديته الأصلية، زكاه *لمقدم* في حضرة علنية و أعطاه الوسيلة والطريقة. و ما هو إلا أسبوع بعد ذلك، حتى تم استدعائه من طرف الشركة التي كان يشتغل بها و عاد إلى منصبه، و بعدها بأسبوع قام بخطبة شابة. فلا عجب من هذا الخطاب لدى الصوفية خصوصا، حيث ترى كل زاوية أنها مركز صفاء روحي، لدى يخصها الله بكرامات و بركات تُسخر في خدمة كافة الناس الذين يقصدونها، طلبا لرمزية الخدمة أو مفاتيح التسريح التي تقدمها الزاوية لهم عونا في قضاء حوائجهم.

و قامت الدراسة بزيارة شيخ الزاوية الجازولية من إحدى أيام الجمعة، لملاحظة مدى تأثير عامل البركة على الزاوية و الزائرين إليها.

تعتبر نقطة بركة و كرامات الشيخ نقطة حساسة في المنطقة، خاصة بوجود الزاوية الجازولية بولهاصة التي لها صيت و باع داخل الوطن و خارجه. و يتجلى سر كرامة شيخها في إبطال مفعول لدغات الزواحف السامة كالأفاعي و العقارب، من خلال قراءته و بصقه على حفنة من التراب يقدمها الشيخ لزائريه المتوافدون عليه من مختلف مناطق

الوطن طيلة أيام الأسبوع و بخاصة يوم الجمعة، و يقوم باستقبالهم بعد صلاة الجمعة رفقة *مقدم* و *مقدمة*، يقومان بواجب الضيافة و توزيع كؤوس الشاي على الزوار. فالشعبية الواسعة التي يتمتع بها شيخ الطريقة الجازولية هي تكريس للقيمة الرمزية الروحية للزاوية، من خلال الإعجاز و البركة التي تُعرف بها الزاوية الجازولية، و هذا ما جعلها تتمتع وتحتل مكانة واسعة في المخيال الشعبي للمنطقة.

[189] Rahal BOUBRIK, Op.cit. p.85.

أما عن القاعدة الزبونية للزاوية الجازولية، فهي أوسع من الزاوية القادرية موضوع الدراسة. و يظهر هذا، من خلال الإقبال الكبير للزوار على الزاوية الجازولية، و هذا ما ينعكس مباشرة على الوضعية الإقتصادية للزاوية. فكل شخص يحصل على بركة الشيخ المتمثلة في رمزية حفنة تراب أو رمزية ورقة مكتوبة بالصلصال بيد الشيخ (بسم الله الرحمن الرحيم و بالله و من الله و إلى الله و لا حول و لا قوة إلا بالله العظيم) (انظر الصورة 02)، يدفع مقابلا ماليا و لا يُشترط قدره بل كل حسب استطاعته، و قد لا يدفع الزائر أي مقابل. فهذا التموضع الذي وُجدت فيه الزاوية الجازولية، أنتج تنافسا رمزيا بينها و بين زوايا المنطقة. بالإضافة إلى سبب آخر يدفع لتغذية التنافس الرمزي بين زوايا ولاية عين تموشنت، يتمثل في قرب الشيخ الجازولي من دوائر أخذ القرار و السلطة محليا و وطنيا، عن طريق روابط المصاهرة و النَسَب التي تجمع الشيخ بهم، و هذا ما يجعل من السلطات المحلية اتخاذها من مقر زاويته قبلة للاحتفالات الدينية الرسمية. و هذا ما حدث مثلا، في الإحتفال بالمولد النبوي سنة 2010م أين حضر الوالي الأسبق برفقة رئيس المجلس الشعبي الولائي و مجموعة من المدراء التنفذيين، في اليوم الذي صادف اغتيال المدير الوطني للأمن الأسبق، و هذا ما يبرز حجم و ثقل الزاوية الجازولية بالمنطقة. كما أن السلطات المحلية لولايتي عين تموشنت و تلمسان لا تدعان مناسبة رسمية إلا و وجهتا دعوة رسمية للشيخ الجازولي، للمشاركة في مختلف الفعاليات التي يُنظمانها من خلال اعتباره أحد أهم أعيان و وجهاء المنطقة. فآلية البركة من الآليات الأنثروبولوجية و الروحية التي تتعتمد عليها الزوايا من أجل توسيع قاعدتها الزبونية من جهة، و من أجل إظهار البرهان للمشككين في ربانية الزاوية من جهة أخرى.

(نسخة 02) تُظهر كتابة شيخ الطريقة الجازولية.

(بسم الله الرحمن الرحيم و بالله و من الله و إلى الله و لا حول و لا قوة إلا بالله العظيم)

3.7 مشروعية الطُرُقية (التنظيم الخلقي):

تقصد الدراسة بالتنظيم الخلقي، اعتبار الزاوية كمؤسسة تقليدية تعتمد على المنهج التصوفي الطُرقي، للتقرب إلى الله و تجنيد رأسمالها الاجتماعي خدمة لكل من يأتيها لطلب حاجة دينية أو دنيوية. و انطلاقا من هذا التعريف فأي زاوية ربانية لابد أن تتبع طريقة صوفية، لكي تستكمل البناء الرمزي الروحي لها من خلال اكتساب هوية إسلامية صوفية، فما هي طريقة الزاوية موضوع الدراسة؟

ظلت الدراسة تجهل أية فرقة من الطريقة القادرية تتبعها الزاوية المدروسة قرابة سنة من الزمن، و ظل الأمر مُبهما بخصوص جهة ولائها للزاوية الأم، و استخلصت الدراسة بعدها أن الحالة الطُرقية للزاوية منقسمة إلى قسمين، فترة الانقباض و الهوس الطُرقي، و فترة التحرر الطُرقي.

3.7.1 فترة الهوس الطرقي: (المرحلة الأولى)

تمتد فترة الهوس الطُرقي و الانقباض منذ إعادة تأسيس الزاوية بتاريخ 1989م إلى غاية فترة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف من سنة 2010م أي واحد و عشرون سنة، و فترة الإنقباض هي المدة التي قضتها الزاوية من دون طريقة من أصل الطرق القادرية. و ميزة هذه الفترة هو حالة القبض التي كانت تلازم *لمقدم* من فترة إلى أخرى، و حالة القبض هي حالة نفسية يدخل فيها *لمقدم* في الخلوة و الإعتزال، و التفرغ إلى الذكر ليلا و نهارا و قد تستغرق ساعات أو أياما معدودة و قد تطول إلى سنوات.

تحصل *لمقدم* على أول إجازة مكتوبة من يد الشيخ محمد صوفي شيخ الطريقة القادرية البودشيشية بمنطقة مسيردة، و يفضل *لمقدم* إخفائها لأنه ليس مأذون له إظهارها لأي احد كان.

و تحصل على ثاني إجازة من على يد شيخ الطريقة القادرية بالرويسات بولاية ورقلة، و تعتبر مقر الخلافة العامة للقادرية في الجزائر. غير أن علاقة *لمقدم* بشيخ الطريقة أصبحت فاترة بسبب تهاون ابن الشيخ عن واجباته التصوفية كلما زار الزاوية خاصة في

فصل الصيف. و عدم التزامه بحلقات الذكر مع *لمقدم* و *فقرا* الزاوية، و هذا ما جعل *مقدم* الزاوية يستاء من هذه الوضعية و طلب منه عدم استعمال الزاوية كمنتجع سياحي.

و لما عاد الإبن إلى ورقلة اخبر والده بالأمر، فقرر الشيخ أن يتدخل لتلطيف الأجواء بينهما. و في هذه الفترة رأى شيخ الطريقة بالرويسات رؤية منام، يرى فيها الشيخ الجيلاني يعاقبه على ما بدر من ابنه في حق *مقدم* الزاوية موضوع الدراسة، و أمره بالتنقل إلى عين تموشنت لطلب العفو من *لمقدم*. و هو ما تمثل *للمقدم* أيضا في منام رأى فيه عقاب الشيخ الجيلاني لشيخ طريقة الرويسات، و في اليوم الموالي حدَّث *لمقدم* خدامه المقربين بما رآه في المنام و عقاب الشيخ الجيلاني لشيخ الطريقة بالرويسات. و عند وصول شيخ الطريقة بالرويسات إلى الزاوية بعين تموشنت مكث بها مدة أسبوع و بدأ المرض يتسلل إلى جسده، فأخبر *مقدم* الزاوية أهل الشيخ بالرويسات بأمر مرض والدهم، و لما عاد الشيخ إلى منزله مكث فيه مدة ثلاثة أشهر و توفي بعدها. على حسب رواية *لمقدم*.

و رأى *مقدم* الزاوية في هذا الحادث دلالة قوية لربانية هذه الزاوية، فلولا جانبها الرباني لما وقف الشيخ الجيلاني إلى جانبه. و بعد هذا الحادث فضل *لمقدم* عدم الإنخراط و إعلان البيعة و الولاء لزاوية الرويسات، رغم إلحاح الابن الذي ورث المشيخة عن والده و اعتذاره *للمقدم* على ما بدر منه من سلوك منافي لتعاليم الطريقة، و العودة إلى أحضان الزاوية الأم. ففضل *لمقدم* انتظار الإذن من صاحب الطريقة الشيخ الجيلاني، ليحسم أمر الطريقة التي يتبعها أو يبقى من دون طريقة.

و بعد حدوث هذا الأمر تقرب *لمقدم* من الزاوية البودشيشية الشيخ صوفي الذي ورث ابنه مقاليد المشيخة، بعدما توفي والده الشيخ عبد الحفيظ. و لما قص له ما كان من أمر بينه و بين ابن شيخ زاوية الرويسات، نصحه أن ينتظر حسم الأمر من شيخ الطريقة الشيخ الجيلاني، فهو صاحب الحق في أن يمنحها أو يمنعها عمن يشاء. حسب *لمقدم* دائما. فسلَم *لمقدم* أمره و دخل في مرحلة انقباض دامت عدة شهور، و بدأ في رحلة البحث عن إذن يأتيه من شيخ الطريقة عبد القادر الجيلاني. فكان في كل مرة يسافر

بعدما يتلقى الإذن الرمزي بذلك، و يتمثل الإذن في رؤية ليلية أو في النهار. فيسافر إما إلى المغرب لملاقاة شيوخ الطريقة هناك، علهم يرشدونه أو يوجهونه، غير أنهم كانوا يؤكدون له في كل مرة يزورهم، أن أمر التسريح هو في الزاوية نفسها، لكن وقت التسريح لم يحن بعد. و يسافر في أحيان أخرى يجوب أصقاع الجزائر، في رحلة البحث عن الإذن عله يهتدي إلى الفرج. فيمكن تشبيه هذه المرحلة في النصوص الروائية بالعقدة أين تتأزم الأمور، و يبدو المَخرج إما مستحيلا أو في انتظار معجزة إلهية ينبعث معها الحل.

ميزة مرحلة الهوس الطرقي هو الشغور الإنتمائي، أي عدم إتباعها لأية فرقة من أصول القادرية كما أشار *لمقدم* رغم إتباعها للطريقة القادرية الأم. و يمكن أن يبقى على هذا الحال، أو أن يؤسس لطريقة جديدة. و عن انعكاسات وضعية الهوس الطرقي على الجانب الرمزي الروحي للزاوية، فهو تأثير سلبي على الحياة الدينية التصوفية للزاوية، حيث يقل أو ينعدم ترتيل الأوراد، و تتوقف عملية الترويج للطريقة و عدم جمع المزيد من *الفقرا*، و يبقى بذلك جانبها الروحي في مرحلة ستاتيكية و اقتصار نشاطها على الجانب الإجتماعي.

3.7.2 فترة التحرر الطرقي: (المرحلة الثانية)

تشهد فترة التحرر الطرقي ديناميكية في الترويج للطريقة و جمع المزيد من *الفقرا*، و ترتيل الورد الأساسي بعد كل فريضة صلاة، و كذلك ترتيل راتب أذكار القرآن و السنة من كل يوم جمعة، و جمع الطُلبة لتحفيظهم القرآن. فهي مرحلة يسودها النشاط الصوفي الروحي، إضافة لنشاطها الاجتماعي الذي يبقى الإجراء المشترك بين المرحلتين.

بدأت فترة التحرر الطُرُقي في مرحلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مارس 2010م، و تقيم الزاوية احتفالها بالمولد النبوي في اليوم السابع. إذ ينظم *لمقدم* و مقربوه حضرة يدعون فيها أتباع الطريقة من مختلف مناطق الوطن و خارجه، غير أن المدعوون يأتون في معظمهم من الجهة الغربية للوطن، نظرا لضيق مقر الزاوية الذي لا يسمح

بإستيعاب وفود كبيرة للمبيت و عدم توفر التجهيزات المرافقة، فضعف البنية التحتية للزاوية يعجل في تقصير مدة التجمع و الاحتفال لمدة أطول. تلقت الدراسة دعوة لحضور الاحتفال كما أشار *لمقدم* إمكانية حضور شيخ الطريقة القادرية للحرمين الشريفين إلى فعاليات الاحتفال، فهذا الشيخ هو الذي سيحمل معه مفاتيح *التسريح* لهذه الزاوية، و هو من سيحرر *لمقدم* من حالة القبض الذي لازمه لمدة طويلة. و بإعلان الزاوية موضوع الدراسة الولاء للزاوية الأم بالحجاز، تكون الزاوية الأولى وطنيا التي تحصلت على إجازتها من شيخ الطريقة القادرية بالحرمين الشريفين حسب *لمقدم*. و هنا يبدأ العمل التصوفي الجدي الذي يهدف لتوسيع الخارطة التصوفية للطريقة الجديدة عبر أنحاء الوطن، و هذا ما يسعى *لمقدم* لتحقيقه و هو بصدد التفكير في مشروع فتح زاوية ملحقة ببلدية حمام بوحجر، تكون بمثابة محطة استراحة لضيوف الزاوية الذين يقصدون الحمام المعدني المتواجد بالمدينة.

ساهم التحرر الطُرقي للزاوية في إتمام مختلف الشكليات التي كانت ناقصة كعَلم الزاوية مثلا، حيث قامت إحدى الأخوات *الفقيرات* بالزاوية من بلدية مجاورة، بخياطة علم الزاوية و طوله 01.50 متر و عرضه 50 سنتمتر، بقماش اخضر من نوع القطيفة، فاللون الأخضر هو دلالة على الإيمان فمعظم أضرحة و مقامات الأولياء، مصبوغة باللون الأخضر. و مكتوب في وسطه لا اله إلا الله محمد رسول الله، للدلالة على الانتماء الديني الإسلامي، و في الأسفل الجيلاني سلطان أولياء الله، للدلالة على الإنتماء للخُرقة الطريقة المتبعة. و في وسطه رسم لنسر يريد إما الهبوط على الأرض أو الانقضاء على فريسة، و دلالة النسر هي القوة و التحليق بعيدا في الأجواء الروحانية، و لون الكتابة أصفر ذهبي.

كما ساهمت فترة التحرر الطرقي في التحرر الرمزي، من خلال تواجد صور لم تكن موجودة من قبل على غرار صورة للشيخ الجيلاني، مكتوب عليها الشيخ الجيلاني في سن الأربعين. و في الغرفة الداخلية بجانب قاعة الصلاة وجود صورتين معلقتين على

الجدار لمشايخ الطريقة، و في الحائط المقابل لهما نسختين معلقتين من إجازة الطريقة ممضية باسم شيخ طريقة الحجاز.

و عن مصدر صورة الشيخ الجيلاني، فاجاب *لمقدم* أن سرها من الحضرة الكيلانية بالعراق. لما رأى أحد شيوخ الحضرة و هو في قمة الصفاء النفسي، صورة الشيخ الجيلاني بصفاته التامة في سن الأربعين. و لما انتهت الحضرة أخبر الشيخ مرافقيه بما رأى، و وصف لهم معالم وجهه و تم رسمها و طُبع العديد منها، لتُوزع على أتباع الطريقة عبر أصقاع العالم.

3.8 موقف العائلة من قرار الإبن:

لم يكن قرار الإبن في السن الخامسة عشرة يسكن بمفرده أولا و يقوم بالبدايات الأولى لتأسيس زاوية ثانيا، بالأمر العادي و المقبول في وسط عائلة تتميز بتمسكها بالحق المطلق في تسيير أمور أبنائها، بفرضها قيودا على الأبناء خاصة في سن المراهقة. و في ظل ظروف سوسيو- سياسية و ثقافية خاصة، ميزت فترة بداية التسعينيات.

ظهرت عوامل مقاومة لهذا التغيير الذي طرأ على حياة أفراد الأسرة، و كانت الأم هي أول فاعل يقوم بممارسة مختلف أشكال و أساليب الإكراه على الإبن، ليعود إلى أحضان العائلة. و كان قرار الأم مدعما من نسوة العائلة الكبيرة التي تشمل الخالة و العمة، و بعض أزواج الأعمام و الأخوال، حيث اعتبروا الإبن في حالة مس جني و على الأسرة الإسراع بمعالجته قبل أن تزداد حالته سوءا. و هذا ما حصل مع *لمقدم*، فكان في كل نهاية أسبوع تقريبا مع موعد إما *طالب* أو زيارة ضريح ولي حسب نصائح و توجيهات النسوة. و خلّف هذا الأمر، أثرا نفسيا سلبيا على *لمقدم*. كما تغير تصوره للمرأة عموما فأصبح يرى فيها مصدر الكيد و هو أمر شائع في ثقافاتنا الشعبية، و يستدل المتعاطفون مع هذه الثقافة الشعبية بأشعار عبد الرحمن المجذوب. لكن هذا التصور لا يصح على أمه، التي كانت واقعة تحت تأثير النساء الأخريات للعائلة. و عن موقف الأب فقد كان موقفا حياديا هادءا، أكثر منه موقفا مشاركا إما فاصلا أو مساندا لطرف على آخر، و ربما كان يخفي هذا

الصمت وراءه علامة رضا على ما يقوم به الإبن، نظرا لأنه الحامل لرمزية إرث الأجداد الذي حمله الإبن و كان حملا ثقيلا. غير أن العائلة و مع مرور الأيام ذاب تحفظها من قرار الإبن و الدليل على هذا، استمرار *لمقدم* في عملية تأسيس الزاوية،

بالإضافة إلى استقطاب أخ له أصغر منه إلى جانبه، حيث أصبح هذا الأخ هو أمين مال جمعية زاوية سيدي أحمد دومة.

و بعد استعراضنا لمختلف الآليات الرمزية الروحية في الجانب التأسيسي للزاوية، ما هي الخطوات المقبلة؟.

4- المشروعية الإدارية التأسيسية و أشكالها:

يسعى كل تنظيم أي كان نوعه أن ينتج لنفسه كيانا منسقا متجانسا ليستطيع مجابهة أي تنظيم آخر مهددا له، أو إعطاء صورة نمطية للخارج تُظهره في الثوب المنسجم الأنيق. و لن يتحقق هذا إلا بخلق تماسك بين عناصر هذه البنية، و *لمقدم* هو من يسهر للمحافظة على هذا التناسق. لذا تستلزم عملية البناء على *لمقدم* مسايرة رمزية الإجراءات و الآليات الروحية، و استكمالها بالإجراءات المادية المتمثلة في الجانب القانوني التنظيمي، المسير لمثل هذه المؤسسات و المعمول به. فما هي الآليات الإدارية المادية المعتمدة على تأسيس الزاوية؟

4.1 الجمعية الولائية زاوية الشيخ احمد دومة:

تخضع جمعية الزاوية موضوع الدراسة للقانون 31/90 المؤرخ في 1990/12/4، المحدد و المنظم لسير وعمل الجمعيات، فبناءا على هذا تخضع أي جمعية تنشط في إقليم الدولة الجزائرية إلى نصوص هذا القانون. و لما صنفت الزوايا في خانة الجمعيات ذات الطابع الديني، كان لزاما على *لمقدم* أن يسير وفق قوانين الدولة. فقام بتأسيس الجمعية المحلية، جمعية زاوية الشيخ سيدي احمد دومة و كان مقرها بالقاعتين اللتين تأويان مقر الزاوية قبل هدمهما في جوان 2011. و هي معتمدة إداريا تحت رقم 2006/52 المؤرخ في 2006/07/12. يرأسها *لمقدم* الحالي للزاوية و أمين المال هو الشقيق الأصغر *للمقدم*. و يتم التركيز على هذين المنصبين في أية جمعية نظرا لخصوصية هذين المنصبين، فالرئيس هو مركز القرار و صاحب السلطة، و أمين المال باعتباره المشرف المباشر للمصادر التمويلية للجمعية، و هذا ما يظهر في بنود القانون الأساسي للجمعية في

المادة (27) المتعلقة بمهام الرئيس، و المادة (29) المتعلقة بمهام أمين الخزينة (انظر الملحق 04).

تم عقد الجمعية العامة التأسيسية بتاريخ 2006/04/04، و يتكون أعضاء مكتبها التنفيذي من الرئيس و هو *لمقدم*، و الكاتب العام و هو أحد *فقرا* الزاوية، و أمين المالية أخ *لمقدم* و هو عضو نشيط في الزاوية، و يظهر تفاهم كبير بينهما لاسيما عند إقامة حضرة أو وعدة أو أي مناسبة كبيرة الحجم، و هذا ما لاحظته الدراسة عند الإعداد للاحتفال بالمولد النبوي. و الهدف الرئيسي للجمعية هو تعليم القرآن و مبادئ التصوف، و من أهدافها الثانوية: بناء زاوية، إحياء المناسبات الدينية، و إطعام المساكين و المسافرين، تلقين الأوراد و إحياء و عدة الشيخ احمد دومة، ختان الأطفال و إنشاء مكتبة خاصة بالعلوم الفقهية و الصوفية، و المحافظة على المخطوطات الأثرية. (انظر الملحق 04)

كقراءة أولية لأهداف جمعية الزاوية ظاهريا نجدها أهدافا تندرج في سياق إسلامي تصوفي محض و لصالح المنفعة العامة، فهي أهداف دينية قدسية بعيدة عن أشكال الدنيوي. و هذا لا يعني أنها غير معنية بالحياة السياسية المحلية و الوطنية، و هذا ما يظهر في مواقفها السياسية المُعلنة عند مختلف الأحداث السياسية.

و تعتبر آلية الجمعية المحلية الشيخ احمد دومة أول إجراء إداري مادي، بناه *لمقدم* على المستوى المحلي من اجل إضفاء الطابع الرسمي لنشاطه و هيكلة تنظيمه. فهل سيسعى *لمقدم* للانخراط في آلية اكبر و أوسع من المحلي أي الوطني؟.

4.2 الجمعية الوطنية للزوايا:

وعي *مقدم* الزاوية بحجم التحديات التي تواجهه، يجعل منه عنصرا فاعلا دائم البحث عن أنجع الآليات و أقواها لضمها إلى صفه. و أول تحدي حقيقي يواجه *لمقدم* هو سعيه

لتحقيق أهدافه المعلن عنها في القانون الأساسي للجمعية المحلية، لاسيما منها الهدف الثانوي الأول الذي لمسته الدراسة أنه الهدف الرئيسي للزاوية آلا و هو بناء مقر جديد للزاوية. و يحمل هذا الهدف عدة رموز، فرمزية البناء المادي العصري و الحديث للزاوية يحمل بُعدا رمزيا محليا و وطنيا. تتجلى رمزيته في تغير تصور المخيلة الشعبية للزاوية،

فمظهر البناء القصديري ليس نفسه صورة لزاوية تظهر كمرفق عصري و حديث البناء. و يرسخ الشكل الخارجي الحديث للزاوية تغييرا في تصور المخيال الشعبي المحلي لهذه المؤسسة التقليدية، و يُنظر إليها من بين المؤسسات القوية ذات الأموال و النفوذ الكبير. و إدراك *لمقدم* لصعوبة الأمر بداية من تسوية الوضعية القانونية للعقار المقام عليه مقر الزاوية مع السلطات المحلية، و إيجاد المصادر المالية الضرورية لتمويل مشروع بناء زاوية جديدة، فحجم هذه التحديات يجعل من *لمقدم* اللجوء إلى هيئة وطنية هي الجمعية الوطنية للزوايا.

كما ذكرت الدراسة آنفا، تأسست الجمعية الوطنية للزوايا سنة 1991م، و ينخرط *لمقدم* بلجنة الحكماء الوطنية للجمعية الوطنية للزوايا، كما أنه يترأس المكتب الولائي للجمعية الوطنية للزوايا بولاية عين تموشنت. و من هذا الموقف المشارك في نخبة الجمعية الوطنية للزوايا كطرف فاعل يعتمد *لمقدم* عليه، لتعزيز مشروعيته الإدارية محليا بمشروعية وطنية. و يظهر ختم المكتب الولائي للجمعية الوطنية للزوايا الجزائرية، في الملحق الخاص ببرنامج الاحتفال بالمولد النبوي.(الملحق 05).

4.3 الانخراط في الشبكة الدولية:

يسجل *لمقدم* تقدما عموديا في منحنى تقوية موقفه و تدعيمه بمختلف آليات المشروعية، فبعد الإجراء المحلي و الوطني جاء دور الإجراء الدولي الذي يسمح *للمقدم* بتعزيز مُكتسباته المحلية و الوطنية.

ظهرت أولى بوادر الانتماء الدولي للزاوية من رحلة البحث عن إذن بالطريقة و التي بدأت بالمغرب، لاعتبارات دينية ثقافية تتمثل في قوة الزوايا بالمغرب فاقتدى بها *لمقدم* نموذجا له في مساره التصوفي، و لاعتبار جغرافي بحكم اقتراب منطقة عين تموشنت من المغرب. فهذان العاملان ساعدا *لمقدم* في الصعود عموديا، من أجل تقوية الآليات التأسيسية للزاوية.

غير أن فترة التحرر الطُرقي التي عرفتها الزاوية جاءت من المشرق، مكسرة بذلك القاعدة الجغرافية الإقليمية، و معززة لفرضية دور العولمة التي لا تعترف بالحدود

السياسية لكل دولة. و منبع الانتماء الدولي للزاوية هو بلاد الحجاز مقر الحرمين الشريفين، أين أعلنت الزاوية ولائها للزاوية الأم بالحجاز. و السؤال الموضوعي الذي يطرح هو لماذا الحجاز؟.

يقدم *لمقدم* جوابا صوفيا ذا دلالات رمزية، يتمثل في إذن الشيخ الجيلاني *للمقدم* بالانخراط تحت لواء هذه الفرقة القادرية، لأن الطريقة ملك للشيخ الجيلاني يمنحها و يمنعها عمن يشاء.

و للاجابة على هذا السؤال، لابد من فهم موقف *لمقدم* و قراءة الظروف التي سمحت بالإنضمام لزاوية الحجاز.

أولا: جاء موقف *لمقدم* بعد رفض مختلف الطرق في الجزائر و المغرب الأقصى، التسريح له للإنضمام تحت لواء طُرُقهم.

ثانيا: سمحت الظروف السياسية المشجعة، بإعادة بعث الزوايا المندثرة و إحيائها خاصة في عهدة الرئيس بوتفليقة.

ثالثا: تساعد تركيبة البنية الثقافية و الدينية للمجتمع المحلي، على الممارسة التصوفية بإقامة الزوايا و حلقات الذكر.

رابعا: تلعب العولمة دورا كبيرا في توسيع الشبكة الدولية للزوايا، و تقوية روابطهم على أساس الإنتماء لنفس الطريقة بين مختلف زوايا العالم. و هذا ما لاحظته الدراسة، في التجمع الذي نظمته الزاوية العلوية بمستغانم في الذكرى المئوية لتأسيسها، و شارك فيها

مختلف المنتسبين للطريقة عبر أنحاء العالم، إذ كانت الوفود المشاركة ممثلة بأعلام دولهم مثل: ماليزيا، سوريا، السنغال، افريقيا الجنوبية، المغرب...

و تؤكد هذه العوامل أن الظروف العامة سواء الداخلية أو الخارجية، ساعدت *لمقدم* بإتخاذ موقفه و إعتماد القادرية بالحجاز، الزاوية الأم.

كترجمة للمسكوت عنه، لموقف *لمقدم* غير المسبوق، فيمكن استخلاص ثلاث قراءات تبدو متوافقة مع بعضها إلى حد مطابق و هي:

القراءة الأولى، و التي يمكن اعتبار موقف *لمقدم* كرد فعل، بسبب ما جرى بينه و بين ابن شيخ الرويسات، إضافة إلى عدم قبوله من الطريقة القادرية البودشيشية، و الطرق القادرية بالمغرب لعضويته. و مع وعي *لمقدم* بمدى أهمية الانخراط في طريقة، ألزمت هذه الحالة الانخراط في أية طريقة تكون جديدة و بعيدة، فالبعيد مرغوب على حد تعبير "ف.كولونا".

أما **القراءة الثانية،** فهي الأسبقية و الإنفرادية، عن مجموع زوايا و طرق الجزائر كافة، و لاشك أن هذه الوضعية ستخلق مكانة رمزية صوفية متميزة للزاوية عند الطبقة الصوفية بالجزائر.

و **القراءة الثالثة،** فهي قراءة لرمزية المكان، و هو الحرمين الشريفين الذي يقصدها المسلم، لإتمام مناسك العمرة أو أداء فريضة الحج خامس ركن في الإسلام. و بما أن موضوع الدراسة ديني إسلامي فلاشك أن قلوب جماهير المتصوفة عموما شغوفة بزيارة هذا المكان، من اجل كسب صفة *الحاج* عند العودة إلى الديار. و تؤدي هذه الوضعية إلى خلق علاقات بين *لمقدم* و بعض معارفه من الصوفية الجزائريين بهدف التوسط لهم لدى شيخ الحجاز، لضمان إما المبيت أو الإستقرار بأماكن قريبة من مراكز العبادة.

بعيدا عن مدى صحة هذه القراءات من عدمها، فان الأكيد أن الزاوية خلقت لنفسها وضعية رمزية فريدة محليا و وطنيا.

- **<u>خلاصة الفصل:</u>**

لاشك في أن مرحلة التأسيس و التكوين هي مرحلة حرجة و ينعكس هذا الحرج في الكم المعتبر من المشروعيات التي استند عليها *لمقدم*، سواء كانت مشروعيات رمزية روحية آو مشروعيات مادية إدارية. و إدراك *لمقدم* لمدى أهمية تقوية دعائم بناء مؤسسته لاسيما في مرحلته الأولى، يجعل منه شخصية تتمعن و تتعمق في التفكير و هذا ما يظهر في إتباع *لمقدم* لإستراتجية مخططة و مدروسة، بهدف تثبيت المؤسسة في تصور المشككين في مشروعيتها من المخيال الشعبي المحلي أو السلطات المحلية.

بعد عرض مرحلة الاعتبارات الفعلية التأسيسية للزاوية، و باعتبار أنها مؤسسة إسلامية تصوفية. تقدم خطابا و تقوم بممارسات رمزية صوفية، و أخرى اجتماعية كان لزاما على البحث التعرض للأساس الخطابي و الممارساتي للزاوية، و هذا ما سيتطرق إليه الفصل اللاحق.

الفصل الرابع

- **تمـهيد:**

تخَطي مرحلة البناء الرمزي الروحي و البناء المادي الإداري للزاوية، يجعلها تتقدم إلى المراحل الآتية و هي فترة الإنتاجات. سواء كانت هذه الإنتاجات رمزية متمثلة في الخطاب الذي تنتجه الزاوية لإستقطاب المريدين و توسيع قاعدتها الزبونية، أو الإنتاجات المادية المتمثلة أساسا في ممارسات الزاوية بشقيها الديني و الإجتماعي. فتحليل الخطاب الذي يقدمه *لمقدم* لمريديه يعكس مدى الوعي و ثقافة منتج هذا الخطاب، غير ان الدراسة ليست في موقف الحكم على القيمة العلمية أو الثقافية للخطاب، بل سعت للكشف و معرفة مميزات الخطاب الصوفي للزاوية المدروسة. أما عن الأساس الممارس فهو الإطار الخاص بالنشاطات الدينية للزاوية و المتمثلة في حضرة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف. بالإضافة لعرض عنصر الموارد المالية للزاوية، فأي مؤسسة ذات طابع ديني و اجتماعي إلا و تحتاج مصادر تمويلية لنشاطاتها و هذا ما دفع البحث لعرض هذا العنصر. أما عن عنصر علاقات الزاوية فلاحظت الدراسة ثلاثة مستويات من هذه العلاقة، تمثلت الأولى في علاقة *لمقدم* بمريديه، و المستوى الثاني في علاقة الزاوية بالزاوية الجازولية، و المستوى الثالث تمثل في علاقة الزاوية بمقام مولاي عبد القادر. و آخر عنصر تطرق له هذا الفصل هو، التزكية الطرُقية أي اليوم الذي ألبست فيه الزاوية الخُرقة القادرية للباحث. الحلي جانب من من مجموع الوظائف التي تقوم بها الزاوية. فما هو الأساس الممارس و علاقات للزاوية؟.

1- الخطاب المنتج للزاوية:

يعتبر الأدب الديني من الإختصاصات التي عرفها الأدب بعد ظهور الإسلام، و هو يستلهم إيحاءات من القرآن و السنة. كما يؤكده محمد غريس[190]. تميز المغرب العربي بالأدب الصوفي الذي ظهر في وسط الطبقات الشعبية، التي كانت تحترم و مولعة بحب الزُهاد و العُباد، و لكل الطرُق التي تحمل روح الإسلام عبر أنحاء المغرب الكبير.[191] لكن *لمقدم* لا يبني خطابه على الأدب الصوفي، القائم على قصائد الشعر الملحون أو القصص و لو فعل هذا لما استقطب إليه جموع الناس.

فالملاحظ عن رمزية خطاب *لمقدم* أنه لا يرتكز على مقاييس تحدده، فهو خطاب يتأثر بالظروف و المعطيات العامة للحياة الاجتماعية، أو يتأثر بالحالة النفسية لمنتج الخطاب نفسه وهو *لمقدم*. ففي لحظة ما يكون الخطاب الغالب *للمقدم* دينيا قدسيا بعيدا عن أي شكل من أشكال الدنيوي، ليتحول في لحظة أخرى إلى خطاب دنيوي بعيد عن أي شكل من أشكال الديني و لا يفصل بين حدودهما إلا خيط رفيع. لدى ارتأت الدراسة تقسيم الخطاب أو الخطابات المنتجة من شخصية *لمقدم* إلى قسمين هما: الخطاب الديني المقدس، و الخطاب الدنيوي.

1.1 رمزية الخطاب الديني:

يقول ندير معروف، "طرق القداسة متعددة لكن في كل الحالات، الولية أو الصالحين هم وسطاء بين الله و الناس، حيث يعترف الناس بالبركة التي يوزعها أو يورثها المرابطين."[192]

يتضح على هذا الأساس أن الخطاب رباني، تظهر أولى معالمه في تموضع الزاوية كوسيط بين الديني و الدنيوي بين الله و عباده. و قد يتخذ التوسط شكلا دنيويا محضا، باعتبار أن ثقافة التوسط أو التدخل لدى فرد أو هيئة لقضاء حاجة ما، من الأمور الشائعة و المعقدة في حياة الأفراد، فتَشكل لدى الأفراد تصور عن ماهية و فعالية الجهة التي

[190] Mohamed GHRISS, « De la littérature religieuse maghrébine », le Quotidien d'Oran, Le: 23-08-2010, P. 17.
[191] Ibid.
[192] Nadir MAROUF, Op.cit, p. 103.

تؤمن لهم حوائجهم. فأي شخص يريد قضاء حاجة لدى هيئة ما، إلا و تجده يبحث عن أي طريقة أو أي جماعة تسهل له قضاء حاجته خاصة إذا كانت شخصية دينية. و تصادفت الدراسة بعدة حالات من هذه النوعية عند *مقدم* الزاوية، فوجدت مرة حالة رجل في الأربعينات من العمر قادري الطريقة من مدينة مجاورة، يطلب مساعدة *لمقدم* و التدخل له لدى إحدى المديريات. و مرة أخرى حالة امرأة من ولاية مجاورة عاملة لحسابها الخاص، تطلب من *لمقدم* أن يجد لها مدخلا أو وسيطا لدى مصالح قنصلية بلد أجنبي لتسهيل قضاء حاجتها، و وعدت *لمقدم* بمساعدات مادية تتمثل في توظيف شابين من معارف الزاوية في مؤسسة عمومية لأن شقيقها مسؤول سام بهذه المؤسسة.

و هذان المثالان هما عينة على سبيل الحصر، لما يجري من أمور دنيوية داخل فضاء ديني للتصوف أساسه الإعتزال ونبذ الدنيا. فالفرد القاصد لطلب وساطة *لمقدم* يريد تأمين حاجته، و *لمقدم* لا يتوان في تقديم يد المساعدة و تسخير نفسه لخدمة القاصدين إليه مهما كان طلبه و مهما كان جنسه، لأنه يرى في ذلك أنه مُسخر لخدمة السائلين له.

و ثاني معالم رمزية الخطاب الديني الذي ينتجه *لمقدم*، يتمثل في قدسية المكان و هو الزاوية ذات السر الرباني التي أسسها جد *لمقدم*. ثم اندثرت بفعل عوامل الإستعمار الفرنسي، الذي سعى لطمس خصائص الهوية المتشبعة بتعاليم الدين الإسلامي. و بعد ما يقارب قرن من الزمن أو أكثر من اندثار هذه الزاوية، و مسحها من المخيلة الشعبية للمجتمع المحلي كليةً. برز حفيد المؤسس يحمل في ثناياه أمر إعادة إحياء زاوية جده، و هذا ما حصل مع الحفيد الذي أعاد تأسيس زاوية الجد، و هذا ما يعتبره *لمقدم* في حد ذاته سرا ربانيا لا يزول مادام الدهر باقيا، فلولا بذور الخير التي تحملها الزاوية في طياتها لما كتب الله لها بمعاودة نشاطها.

و ثالث آلية ترتكز على رمزية الخطاب الديني *للمقدم* هو الذي تتجلى معالمه في تصور *لمقدم* للمشروعية الأنثروبولوجية في تأسيس الزاوية، و بالخصوص آلية الرؤى و المنامات التي كانت تراود *لمقدم* قبل أن يحمل على عاتقه أمر التأسيس. و تبرز معالم الخطاب الرمزي أيضا في امتلاك *لمقدم* مفاتيح *التسريح* لكل من لديه مشكل دنيوي و يأتي *لمقدم* بنية حسنة، إلا و تيسر له أمره و هذا ما حدث مع الشاب المفصول من عمله ثم أعيد

إلى منصبه لما طلب بركة الشيخ. و كذا في قصة *لمقدم*، مع ابن شيخ الطريقة القادرية بالرويسات المذكورة آنفا.

يعكس الجانب الرمزي في الخطاب الديني وجها زبونيا (على حسب التعبير الفيبيري)، بين القاصد لطلب حاجة (المريدين)، و بين المسهل لتلبية تلك الحاجة *(لمقدم)*. و هذا ما أكده ر.بوبرك، "أول الزبائن هم المريدون من القاعدة الزبونية"[193]. فمستوى حجم تلبية الحاجات للسائلين، هو القاعدة التسويقية لكرامات الشيخ في الأوساط الباحثة عنها، و هذا ما سينعكس على القيمة الروحية للزاوية بشكل عام، و الحالة الإقتصادية بشكل خاص.

1.2 الخطاب الدنيوي:

الخطاب الدنيوي الذي ينتجه *لمقدم* لمريديه أو مقربيه، هو خطاب يغلب عليه الطابع السياسي. ففي كل مرة نتجاذب فيها أطراف الحديث في موضوع ما، إلا و تجده ينحرف بمسار الحديث إلى الأوضاع السياسية التي تشهدها البلاد. و كمثال تستشهد به الدراسة عن التفسيرات السياسية *للمقدم* هو يوم اغتيال المدير العام للأمن، حيث أرجعها للجماعات الضاغطة و الساعية لتحقيق مصالحها بمختلف الوسائل. و صادف هذا اليوم، يوما دراسيا حول الفكر الصوفي، من تنظيم مديرية الثقافة بمدينة عين تموشنت و بالتنسيق مع الزاوية الجازولية و دام يومين.

حضر فعاليات هذا الملتقى عدة أساتذة جامعيين من جامعات وهران و تلمسان و سيدي بلعباس، و كان ضيف الشرف الشيخ عبد الكريم الجازولي، شيخ الطريقة الجازولية بولهاصة.

و في حدود الواحدة زوالا من اليوم الثاني لفعاليات المؤتمر، أذيع نبأ اغتيال المدير العام للأمن. و عند اختتام فعاليات الملتقى في حدود الساعة السادسة مساءا، زارت الدراسة *لمقدم* الذي وجدته في حالة غضب شديد من المنظمين للملتقى الذين لم يوجهوا له دعوة الحضور إلا في منتصف نهار اليوم الأول من الملتقى. بعدما أشار رئيس المجلس الشعبي البلدي لعين تموشنت، إلى اللجنة المنظمة أسباب غياب مقدم الزاوية القادرية

[193] Rahal BOUBRIK, Op.cit, p.88 .

لتتدارك الأمر في آخر لحظة. و لما استعرض *لمقدم* حادثة اغتيال المدير العام للأمن، أجاب أن البلاد يحكمها "مافيا" تتعرض بالموت لكل من يخالفها و حتى أعلى الهيئات السياسية بالبلاد أصبحت تخشاهم. و كان قد أجرى إتصالا هاتفيا مع أحد معارفه من عناصر الأمن بالعاصمة، و أكد له أن الجاني من المقربين لمدير الأمن و ختم قوله إن البلد على فوهة بركان قد ينفجر في أية لحظة.

و يستند *لمقدم* في استقاء معلوماته السياسية من مطالعاته المنتظمة ليومية الخبر، حيث اعتادت الدراسة ملاحظة جريدة الخبر بين يدي *لمقدم*.

2- <u>الأساس الممارس:</u>

تسعى كل زاوية لإقامة مهرجانات تتخذ أشكال عدة، كالحضرة أو الوعدة السنوية، بالإضافة إلى قيامها بالوظائف الكلاسيكية للزاوية. فالدور الديني يتمثل في تعليم القرآن و توزيع الأذكار و جمع *الفقرا*، و يتخذ الدور السياسي عدة أشكال لكنه في الغالب يتمثل في المواقف السياسية التي تتبناها الزاوية، و الدور الإجتماعي الذي تقوم به الزاوية غايته خدمة الناس. فانطلاقا من الوظائف التي تقوم بها الزاوية و تعددها، هي من ستعزز مكانتها في الوسط المحلي.

و يحدد نجيب مهتدي المهام الإجتماعية للزاوية بقوله، "فهي مأوى للطلبة و المسافرين، و مكان هروب للمعارضين، و مكان لفض النزاعات بين الأفراد و الجماعات"[194]. أما كمال فيلالي، فيحصر وظائف الزاوية بداية من القرن السادس عشر ميلادي إلى ثلاث وظائف و هي: "الوساطة في النزاعات اليومية للأفراد، و تقسيم الأراضي و الماء. التحكيم في النزاعات القبلية. و الترابط بالمصاهرة عن طريق الزواج"[195].

حاولت الدراسة معالجة وظائف الزاوية موضوع الدراسة، انطلاقا من الوظائف النظرية للزاوية، فهل حافظت على إرثها الوظيفي أم أصبحت تساير رهانات و تحديات الوقت الراهن، بإعتبارها جمعية دينية لها أهداف تسعى لتحقيقها؟.

---

[194] Najib MOUHTADI, Op.cit, p.25
[195] Kamel FILALI, Op.cit, Insaniyat n^0 3.

بإعتبار الزاوية موضوع الدراسة معطى جديد على المجتمع المحلي، ستحاول الزاوية التعريف و الترويج لنفسها، عن طريق إقامة نشاطات اجتماعية تستقطب اليها جموع غفيرة بغرض التسويق للزاوية و الطريقة.

2.1 نـشـاطـات الزاوية الاجتماعية:

تستقبل الزاوية كل وافد إليها من الجنسين من داخل الوطن أو خارجه، فالزاوية تستقبل النساء و الرجال من دون تمييز. و لكن الإختلاط هنا ليس بالتصور الحديث للإختلاط، الذي نجده في مختلف مؤسسات المجتمع كأماكن العمل مثلا. فإذا استقبل *لمقدم* امرأة و جاء أثناء الزيارة رجل ما، فإنه ينتظر حتى ينتهي من مقابلته للمرأة. و هذا عكس ما لمسناه خلال زيارة الزاوية الجازولية، التي يستقبل فيها الشيخ النساء و الرجال مع بعض و في قاعة واحدة تجمع بينهم. و يقوم *لمقدم* باستقبال زائريه و السماع لهم، و تقديم يد المساعدة حسب استطاعة الزاوية. فمن خلال هذه الملاحظة يتبين أن مراسيم الإستقبال في الزوايا تختلف من زاوية لأخرى، لكنها لا تخرج عن تقاليد الكرم الذي يميز الطـُرُقيين.

و سر جعل الزاوية فضاء مختلط يستقبل الجنسين، يرجع إلى تصور *لمقدم* الذي لا يخرج عن القاعدة العامة للدين الاسلامي و التي تعتبر الناس سواسية دون تمييز. و لا يجب الحكم على الأفراد حسب مظهرهم لأن أولياء الله لا يُعرفون من مظهرهم، لكن الكرامات التي يخصها الله بهم باطنية و لا يفقهها عامة الناس. فمن مبدأ السلامة و التسليم لأولياء الله غير المعروفين ظاهريا، يحدد *لمقدم* مبدأه في استقبال كافة الناس و معرفة حوائجهم، فقد يكون أحد الزائرين رجلا كان أم امرأة من أولياء الله. و لاحظت الدراسة في فترات مختلفة و متعددة استقبال *لمقدم* لأفراد متعددين، فمنهم الشيوخ و الكهول و الشباب ينحدرون من مناطق مختلفة. فمنهم أهل المدينة و الريف، أصحاب المستويات التعليمية العالية، و ذو المستويات التعليمية المحدودة. من يلبسون ملابس عصرية و يضعون روائح زكية، و يرتاده الأفراد الذين يلبسون الرث من الملابس، و في ملامح وجوههم الزرقة الشديدة التي تميل إلى السواد أو الإحمرار. فالزاوية فضاء يجمع و يلُم في ثناياه، مختلف التناقضات المرئية و غير المرئية. و كمثال على هذا التنوع البشري الذي

يقصد و يزور الزاوية كما لاحظته الدراسة، نجد الأشخاص الأجانب عن المنطقة، فكانوا معظمهم شيوخ زوايا أو *مقدمين* أو مجرد *فقرا* في الطريقة القادرية أو طرق أخرى قادمين من المغرب بالخصوص. و هذه الزيارات تدخل ضمن تقاليد تبادل الزيارات بين الزاوية موضوع الدراسة، و زوايا المغرب خاصة الزوايا المتواجدة في إقليم وجدة.

و من النشاطات الكبيرة ذات الطابع الاجتماعي التضامني هو ما قامت الزاوية بتنظيم ختان جماعي للأطفال أبناء المعوزين في ليلة القدر من سنة 2004م، و عددهم أربعمائة طفل وكل مصاريف هذه العملية كانت على عاتق الزاوية.

و لكي يُقوي *لمقدم* علاقاته بمختلف الشركاء الدينيين و الجهات المساعدة للزوايا، يقوم بعدة جولات عبر مناطق مختلفة، متنقلا فيها بين أرجاء الوطن و المغرب، ضمن الشبكة الوطنية و الدولية التي ينخرط تحت لوائها. غير أن هذه الخرجات ليست منتظمة في موسم معين، لأنها خرجات مأذون و مُسرح لها حسب ما قاله *لمقدم*. و شملت جولته الأخيرة لسنة 2010 التي قام بها مناطق مختلفة من الصحراء ثم العاصمة، و فيها تعرف على مسئولي شركة تركية متخصصة في بناء المدارس القرآنية. حيث قامت ببناء أكثر من ستمائة مدرسة قرآنية عبر العالم، و مكث مع مسئوليها ثلاثة أيام و وعدوه بمساعدته في بناء مقر الزاوية الجديد.

و للإجابة عن السؤال الذي طُرح سابقا، عن ما مدى إلتزام الزاوية الجمعية بتحقيق الأهداف المعلن عنها. يلاحظ سطحيا أن الزاوية مُلتزمة بما صرحت به، غير إن الأمر الخفي الذي يرجع أساسا للمنطق التصوري للزاوية أنها لا تعتبر نفسها جمعية. و إنما الظروف الإدارية هي التي فرضت عليها هذا الإطار. فمن باب الطاعة للسلطة السياسية تم ضبط هذه الأمور لتتماشى و السلطة السياسية، لأن الزاوية ليست مُعطى تنظيمي إداري بل تتعداه بكثير لأنها أمر روحي رباني بالأساس، لها روابط سوسيولوجية مع المجتمع التي نشأت فيه.

2.2 النشاطات الدينية:

ما يميز الزاويا عن باقي مؤسسات المجتمع المدني هو بعدها الديني الصوفي، لذا وجب عليها مراعاة الجانب الديني من نشاطاتها. و عن نشاطاتها الدينية فيتم قراءة الورد الأساسي بعد كل فريضة صلاة إما فرديا أو جماعة، بالإضافة إلى قراءة راتب الطريقة كل يوم جمعة بعد صلاة الجمعة و بالحضور الإجباري لكل *الفقرا*، و هذه القراءة للورد و الراتب هي للزاوية القادرية بالحرمين الشريفين، بعد الإجازة التي تحصل عليها *لمقدم* من شيخ الطريقة بالحرمين الشريفين (انظر الملحق 03 أين يظهر تاريخ ختم شيخ الطريقة القادرية بالحرمين). و هذه الأنشطة الدينية هي من إفرازات مرحلة التحرر الطُرُقي، أما النشاطات الدينية بمرحلة الهوس الطُرُقي، فكانت مقتصرة على اقامة الحضرات و قراءة ذكر الطريقة القادرية الذي أجازته له زاوية الرويسات، غير أن البحث لم يتمكن من الحصول على نسخة منه، لحساسية موقف *مقدم* الزاوية بشيخ زاوية الرويسات من جهة، و لأن ِورد الطريقة القادرية بالرويسات أصبح غير معمولا به في أثناء إعداد الدراسة من جهة اخرى.

يتألف الورد الاساسي للطريقة الجديدة بالحجاز من الأذكار التالية:

	الذكر	التكرارات
الورد الأساسي بعد كل فريضة صلاة	بسم الله الرحمن الرحيم	ما بين 25 إلى 200 مرة
	استغفر الله العظيم	ما بين 25 إلى 200 مرة
	اللهم صل على سيدنا محمد و على آله و سلم	ما بين 25 إلى 200 مرة
	لا إله إلا الله	ما بين 25 إلى 200 مرة
	الله	ما بين 25 إلى 200 مرة

ترتل هذه الأذكار بعد كل فريضة صلاة، إما فردا أو جماعة و هو ذكر الأوقات، أي التراتيل الواجبة على كل أتباع الطريقة، تلاوتها بعد كل فريضة صلاة. و يُرتب هذا الذكر في المستوى الأول من مستويات الذكر، الذكر الشفوي بدون مشاركة القلب، و هو الشائع و المتداول.

أما الراتب فيتألف من مجموعة أذكار و آيات قرآنية، و يُرتب هذا الذكر في النوع الثالث من أنواع الذكر و هو ذكر الحضرة، المؤدى بصيغة جماعية بقيادة شيخ، و هو الأكثر ثوابا إذا كان الأتباع يستلهمون نفس التصور الإلهي، فمشاركتهم تساعدهم على اختصار المسار التصوفي. و يُرتل مرة في الأسبوع من كل يوم جمعة، و بعد آداء صلاة الجمعة، و يكون فيه *لمقدم* هو قائد المجموعة و الموجه للإنتفال من ذكر لآخر.

و يرتدي *لفقرا* عباءات و عرقيات بيضاء، و يرددون الذكر خلف *لمقدم* بصفة موحدة. يمكن تقسيم الراتب إلى خمسة محاور و كل محور يأتي في فقرة منفصلة عن الأخرى.

محاور الورد	الورد و تكراراته
المحور الأول	فبعد الثناء على الله و الصلاة على رسوله صلى الله عليه و سلم ، يبدأ المحور الأول من الراتب و موضوعه الإستغفار. و يُستهل الذكر بما يُلقب بسيد الإستغفار، و هو :" اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوأ لك بنعتك علي، و أبوأ بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". و "استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم و اتوب اليه" و تكرارهما ثلاث مرات، و يُختتم هذا المحور بالصلاة على النبي "اللهم صل و سلم و بارك على سيدنا مولانا محمد النبي الكامل و على آله و اصحابه كما لا نهاية لكمالك و عد كماله" و تكراها سبع مرات.

محاور الورد	الورد و تكراراته
المحور الثاني	يتميز هذا المحور من الراتب، بسلسلة من الآيات المقتبسة من سُور القرآن الكريم. حيث تُستهل بسورة الفاتحة ثم الخمس الآيات الأولى من سورة البقرة، " الم، ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون، و الذين يؤمنون بما أنزل اليك و ما أنزل من قبلك و بالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون"، ثم آية الكرسي و الآيات الثلاث من سورة البقرة، "لله ما في السموات و الأرض و إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء و الله على كل شيء قدير، آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله و قالو سمعنا و أطعنا غفرانك ربنا و إليك المصير، لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما

تابع للمحور الثاني	كسبت و عليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا و لا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا أنت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين". و تحمل سورة البقرة في نفوس المسلمين رمزية قدسية تتمثل في الغنى، فمن حفظها هو غني في معنى حديث الرسول صلى الله عليه و سلم. و من قرأ آية الكرسي و الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، كأنما قرأها كاملة في معنى الحديث أيضا. و مواضيع اللآيات اللاحقة تدور حول مواضيع مختلفة، فمنها ما جاء في ذكر طمأنينة القلوب،"ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب"، من سورة آل عمران الآية (8). و اللإقرار بوحدانية الله، " شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام " (18-19) من سورة آل عمران. و من نفس السورة الآية (26-27) في ذكر قدرة و قوة الله في ملكه، " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل و تخرج الحي من الميت و تخرج الميت من الحي و ترزق من تشاء بغير حساب". و من الآيات التي تمجد الوحدانية المطلقة لله، " الحمد لله الذي خلق السموات و الأرض و جعل الظلمات و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا و أجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون، و هو الله في السموات و في الأرض يعلم سركم و جهركم و يعلم ما تكسبون" من سورة الأنعام الآية (1-3). " و ما تكون في شأن و ما تتلو منه من قرآن و لا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتاب مبين" سورة يونس الآية (60 -61)، " و قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الذل و كبره تكبيرا" الآية (111) من سورة الإسراء. و ذكر الآيات التي تمجد نبينا الكريم صلى الله عليه و سلم في قوله، " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولو فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت و هو رب العرش العظيم" سورة التوبة الآية (128-129). بالإضافة لذكر الآيات التي تبين عظمة الله و القرآن في قوله: " لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للناس

تابع للمحور الثاني	لعلهم يتفكرون، هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهادة هو الرحمان الرحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار التكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم " سورة الحشر الآيات (21-24). ثم ذكر آية " سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين" سورة الصافات الآيات (180-182)، ثم يأتي الجزء المخصص و المتمم، و هو التسبيح: " سبحان الله حين تصبحون و حين تمسون و له الحمد في السماوات و الأرض و عشيا حين تظهرون، يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي و يحي الأرض بعد موتها و كذلك تخرجون"، و تكرارها ثلاث مرات. و بعدها الدعاء بالمغفرة للمشاركين و لعامة المسلمين، " ربنا اغفر لنا و لإخواننا و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنو إنك رؤوف رحيم"، و تكرارها ثلاث مرات. و يُختم المحور الثاني من الراتب بسورة الإخلاص و المعوذتين.

محور الورد	الورد و تكراراته
المحور الثالث تابع للمحور الثالث	أما هذا المحور فهو مخصص للأذكار الصباحية و المسائية، و المنتشرة عبر مختلف كتيبات الأذكار، لاسيما تلك الكتيبات التي توزع مجانا في البقاع المقدسة. و من بين هذه الاذكار ، " اللهم بك أصبحنا و بك أمسينا و بك نموت و إليك النشور". " اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد و لك الشكر"." اللهم إني أعوذ بك أن أضل أز أضل أو أزل أو أُزل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل علي ". " اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزن و أعوذ بك من العجز و الكسل أعوذ بك من الجبن و البخل و أعوذ بك من غلبة الدين و قهر الرجال". " الهم اجعلني من أعظم عبادك عنك حظا و نصيبا في كل خير تقسمه في هذا اليوم و فيما بعده من نور تهدي به أو رحمة تنشرها أو ضر تكشفه أو ذنب تغفره أو رزق تبسطه أو شدة تدفعها أو فتنة تصرفها أو معافاة تمن بها برحمتك إنك على كل شيء قدير، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار." " اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي و رحمتك أرجي عندي من عملي، الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله". " سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك و أتوب إليك عملت سوءا و ظلمت نفسي و اعترفت بذنبي فاغفرلي فانه لا يغفر الذنوب الا انت". و كل هذه الاذكار تكرر ثلاث مرات لكل ذكر. " اللهم إني أصبحت أشهدك و أشهد حملت

	عرشك و ملائكتك و جميع خلقك إنك أنت الله لا إله إلا أنت و حدك لا شريك لك و أن سيدنا محمدا عبدك و رسولك"، و تكرارها اربع مرات. و في الأخير ذكر " سبحانك اللهم و بحمدك" ، و تكراره سبع مرات.

محور الورد	الورد و تكراراته
المحور الرابع	أما المحور الرابع من الراتب، فهو الجزء المخصص لأذكار الرُقية، و تشمل سورة الفاتحة و الإخلاص و المعوذتين، و سورة الكافرون و آية الكرسي. بالإضافة إلى ذكر " سبحان الله و لا إله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم"، و ذكر الصلاة الإبراهيمية، و ذكر الإستغفار " اللهم اغفر لي و لوالدي و للمسلمين و للمسلمات و للمؤمنين و المؤمنات اللأحياء منهم و الأموات". و ذكر، " اللهم افعل بي و بهم عاجلا و آجلا في الدين و الدنيا ما أنت له أهل و لا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم"، و كل هذه الأذكار تكرر سبع مرات لكل واحدة منها.

محور الورد	الورد و تكراراته
المحور الخامس تابع للمحور الخامس	و كل أذكار هذا المحور من الراتب، مخصصة للصلاة على الرسول صلى الله عليه و سلم. و هي تتكرر بين سبع و عشر مرات. ثم التضرع إلى الله، من خلال ذكر كل الأسماء الحسنى التي يتصف بها سبحانه.و قراءة أواخر سورة الحشر من الآية إلى : " لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله و تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون، هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهادة هو الرحمان الرحيم، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار التكبر سبحان الله عما يشركون، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم" (21-24). و يُختم الراتب بتوحيد الله، "لا إله إلا الله" مئة مرة و "لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك و له الحمد يحي و يميت و هو عل كل شيء قدير" عشر مرات، " سبحان الله العظيم و بحمده" مئة مرة، " سبحان الله العظيم و بحمده عدد خلقه و رضا نفسه و زنة عرشه و مداد كلمته" عشر مرات. " لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم"، و "حسبنا الله و نعم الوكيل و عليه توكلنا"، و الصلاة على النبي، و " جل الله تعالى" و " يا حي يا

قيوم"، فكل هذه الأذكار تتلى مئة مرة لكل ذكر.	

و الفرق الجوهري بين راتب هذه الأذكار، و الذكر الذي كان يُتلى في القرن التاسع عشر، هو إختفاء لفظ تعظيم الشيخ الجيلاني، حيث كان يلقب في أذكار القرن التاسع عشر بشيء لأجل الله و يُرتل مئة و واحد و عشرون مرة (121). و هذا ما ورد في كتاب لويس رين[196]. غير أن الملاحظ في أذكار القرن الواحد و العشرين، هو زوال لقب الشيخ الجيلاني من أذكار الطريقة المُنزوية تحت نهجه. و يرجع هذا، للتغير الذي شهده التصور الطُرقي المتأثر بالنهج الإصلاحي للعصر الحديث. كما أن الطريقة التي أتبعتها الزاوية المدروسة مقر خلافتها بالحجاز التي يسيطر عليها الفكر السلفي الوهابي، الذي يعتقد في أتباع شيوخ الطرق الصوفية من المبتدعين في الدين، و لا يجوز تقديس المخلوق على الخالق. فمالت الطريقة القادرية بالحجاز إلى مسايرتها للمُعطى الجديد أي التيار السلفي الوهابي، عن طريق تغيير داخلي و الذي مس ورد الطريقة، و يظهر هذا جليا في عنوان الراتب نفسه، راتب في أذكار القرآن و السنة (انظر الملحق 03)، حتى يبين لعامة الناس خلو الذكر من أي شكل مشبوه أو خارج الحدود الإصلاحية الإسلامية. و هذا ما يُظهر مرة أخرى قدرة الزاوية على التأقلم بمختلف ظروف الحياة العامة، محافظة بذلك على وجودها و بقاء هويتها الدينية و ديمومتها.

و من الناحية التعليمية تخرج من الزاوية اثنين من الطُلبة قدما من الصحراء، و مكثا بالزاوية مدة عامين يتعلمان مبادئ الطريقة على يد *مقدم* الزاوية. كما أقام *لمقدم*، خمس حضرات متتالية في سنة 2006، دعا فيها مختلف مشايخ الزوايا و الطرق جهويا.

و الحضرة هي التجمع الكبير لأعضاء الطريقة و المدعوين، و تُنصب خيمة كبيرة بجانب الزاوية لإستيعاب الضيوف. و يبدأ التهليل و الذكر الجماعي خاصة بعد صلاة العشاء، أين تُقام حلقة دائرية كبيرة يتوسطها الشيخ الأكبر سنا و علما و يقوم بدور قائد و موجه الحلقة. و في هذه الأثناء تزداد فيها درجة الإجتذاب و الخشوع، فتضرب الدفوف و تعلوا زغاريد النساء كلما سقط أحدهم مغشيا عليه، من درجة التأثير العالية التي وصل

[196] Louis RINN, Op.cit. p. 184

إليها. و "هدف هذه الطقوس، هو تجريد الفرد من العالم المحسوس، و نقله إلى عالم ما فوق المحسوس."[197] و هو يصنف في نوع ذكر الحضرة.

و أمام هذه المشاهد الصوفية التي هي حاضرة في ثقافتنا الإسلامية منذ أمد بعيد، لم يتقبل المجتمع المحلي المجاور للزاوية هذا التغيير فأبدى نوعا من المقاومة له، و ظهرت ردود أفعال المجتمع المحلي المتمثل في جيران محيط الزاوية. حيث كان لهم هذا بمثابة الحدث الذي كسر هدوئهم، فغرابة هذا المشهد بالنسبة لهم ولدت اندهاشا من هذه الممارسات الصوفية الأصل. و هذا ما فتح الباب على أصحاب المذهب السلفي، الذي يقول احدهم: "أن *لمقدم* ابتدع في الدين و خرج عن الملة"، و بدءوا بإثارة النعرات المذهبية بتحريمهم للصوفية و ما جاءت به. و أمام جهل الأبناء المعاصرين للوسط المحلي حقيقة الزوايا و ما قدمته هذه الأخيرة من خدمة للحفاظ على الهوية الإسلامية، سقط هؤلاء في فخ الترويج و التحريض السلفي. فاعتبروا *لمقدم* و زاويته دربا من دروب الشعوذة، فقاموا بإرسال شكاوى مجهولة إلى الأمن. يتهمون الزاوية بممارسة الشعوذة و الخرافات، فقام الأمن بالاتصال بـ*المقدم* و الإستفسار عن حقيقة نشاطاته، فلما تأكدت من مطابقة نشاط الزاوية للإطار القانوني المعمول به، سقط مفعول هذه الشكاوى. و بعد هذا الحادث، أصبحت علاقة الزاوية بجيرانها جامدة إلى حد اعتبار انه لا وجود لعلاقة تفاعلية بينهما.

2.3 حضرة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف:

أقيمت الحضرة بمناسبة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف لسنة 2010 في يومه السابع، غير أنها أُجلت هذه المرة إلى اليوم التاسع بسبب أمور تنظيمية. و كان يوم إقامة الحضرة، يوما ماطرا و باردا. و بدأ برنامج الحضرة بالتهليل و التكبير، و قراءة الأوراد و الأذكار الصوفية و جزء من قصيدة البُردة. كان عدد الحاضرين مابين 150 إلى 200 مدعوا، أغلبهم يرتدي عباءات بيضاء، و يضعون على رؤوسهم إما عمامات أو عرقيات. و شملت وجبة الغذاء: الحساء "حريرة" و السلاطة، طاجين زيتون بلحم الخروف، عصير الفواكه، إضافة إلى الخبز و الماء، و غاب الكسكس عن الوجبة و ضمت كل مائدة أربعة أفراد.

[197] Sossie ANDEZIAN, Op.cit, p .22

و نُصبت خيمة بجوار الزاوية لتستقبل الضيوف، و تم استعارة هذه الخيمة من مصالح الحماية المدنية التي كلفت فرقة من أعوانها بنقل و نصب الخيمة، و عند الانتهاء من مراسيم الاحتفال يقوم أعوان الحماية المدنية بنزعها و إرجاعها إلى مكانها. و كان المدعوون يستقبلهم *لمقدم* و أمين ماله و هو أخ *لمقدم* و خدامه المقربين، و كانوا يرتدون عباءات و جلالب و عمائم و أحذية بيضاء. فبعدما يسلم *لمقدم* على ضيوفه، يوجههم إلى الخيمة لأخذ مكان و المشاركة بالإبتهال. و بَدت الوجوه الجالسة بالخيمة في مجملها وجوه غريبة عن المنطقة عموما، و المقصود من هذه الملاحظة هو ملاحظة وجود وجوه سياسية محلية مشاركة بالحضرة. غير أن الدراسة لم تلاحظها داخل الخيمة، لكنهم كانوا متواجدون داخل مقر الزاوية وهم ينتمون لحزب التجمع الوطني الديمقراطي و معهم أشخاص آخرون لم تتعرف الدراسة عليهم. و بهذا الفعل يكون *لمقدم* قد قسَّم الحضور إلى قسمين، قسم ديني و قسم سياسي دنيوي.

فأصحاب القسم الديني و الجالسون بالخيمة، هم من شيوخ و *مقدمين* الطريقة القادرية القادمين من مختلف جهات المناطق الغربية للبلاد كتلمسان و تيارت و سيدي بلعباس و معسكر و وهران، و شيوخ زوايا منطقة حمام بوحجر و بني صاف و عين تموشنت، و هم من فئات عُمرية مختلفة من شيوخ و شباب و أطفال. و كان هؤلاء الأطفال يرددون الذكر مع الشيوخ بطريقة تُظهر أنهم يحفظونه عن ظهر قلب، و هذا ما يُؤَمن الإستمرارية و عملية التواصل من جيل لآخر. و بعزل الضيوف السياسيين أصحاب البدلات و أربطة العنق، عن أصحاب العباءات و العمائم، يكون *لمقدم* قد أعطى صورة نمطية عن الزاوية التي يُشرف عليها و التي يريد ترويجها لضيوفه المتصوفة، أي أنها زاوية تُراعي الجوهر و الأساس الديني التصوفي بعيدة عن السياسي الدنيوي.

كما يبدو من خلال لهجة الحاضرين بالخيمة أن أغلبهم ينحدر من مناطق ريفية، و من مناطق الهضاب العليا الغربية و السهوب و المناطق الساحلية الجبلية لعين تموشنت و تلمسان. و هذا ليس تأكيدا على ريفية ظاهرة الزوايا بل أصبح هذا الطرح مُتجاوزا، بدليل إنتشار العديد من الزوايا و مريديها بالوسط الحضري. لكن التأثير الروحي للزوايا لازال قويا في الأوساط الريفية، بدليل تنقل أعداد معتبرة من المريدين لمئات الكيلومترات و في الأسبوع الواحد، من أجل المشاركة في حضرة ما و في مناطق مختلفة من الوطن.

و شارك في هذه الحضرة لسنة 2010 شيخ الطريقة القادرية بالحرمين الشريفين برفقة شاب قدم معه من ولاية مجاورة، و بعد ما استقبله *لمقدم* أدخله إلى القسم الديني أي بالخيمة، فسَلم عليه الحضور بشكل يوحي أنهم كانوا على علم بقدومه. فهو الشخص الذي يحمل في ثناياه الرمز التصوفي و السر الرباني التحرري، الذي انتظرته الزاوية منذ ثمانينات القرن الماضي.

مع الإشارة إن مَعلم الطُّرق و الزوايا بالولاية، و هو شيخ الطريقة الجازولية كان غائبا عن الحضرة لأنه كان منشغلا بجنازة حفيده.

و يبدو على معظم الحاضرين أنهم يعرفون بعضهم فكانوا كلما يتوقف الذكر لبرهة، إلا و تجدهم يسألون عن أحوال بعضهم و أحوال الغائبين منهم، و هذا ما يدل على معرفة أهل الزوايا و الطرق و انتمائهم لشبكة طُرُقية جهوية. كما حضر إمام مسجد بإحدى قرى بلدية حمام بوحجر الحضرة، و هذا ما يُؤشر لتوسع التأثير الروحي للزوايا على حساب فئة تعلمت مبادئ الدين بتوجهاته الإصلاحية التي رفضت كل شكل من أشكال الطُّرُقية. أما العنصر النسوي فاقتصرت مشاركته على أداء وظيفة الطهي، فكن في المكان المخصص لهن في غرفة داخل الزاوية برفقة أطفالهن، وهن في الغالب ممن حضرن مع *الفقرات* أو النساء الأجيرات المكلفات بإعداد وجبة الغذاء. و هكذا يتأكد حضور العنصر النسوي في فضاء الزاوية، في أماكن مخصصة لهن محافظين بهذا على حُرمَتهن و على الضوابط الدينية التي تنهى عن الإختلاط.

أما عن رمزية الخطاب المتداول بين الحاضرين، فكان يدور في مجمله عن تقديس السلطة الروحية للأولياء و الثناء على بركاتهم و التسليم لهم من دون تمييز. و هنا تدَخَل أحد المشاركين ليقص على الحاضرين قصة شاب مرَ بسيارته على احدى الحضرات، و أثاره تجمهر الناس فتوقف ليستفسر عن الأمر، و لما اخبروه بأنها حضرة لأحد الأولياء الصالحين، تهكمً و سخرً منهم و مما يفعلون. و لما اقلع بسيارته ما هي إلا أمتارا قليلة، و تصدمه شاحنة أردته قتيلا في الحال. و أكد راوي القصة، انه كان حاضرا في هذه الحادثة و بدأ يردد: " *يا خوتي أنا نْسلْمْ لقاعْ لوليا*" ومن دون تمييز، و اتبعه آخرون يرددون التسليم لكل الأولياء من دون تمييز.

و بعيدا عن مدى صدق هذه القصة، تعبر رمزية القصة المتداولة عن التصورات الراسخة في أذهان جموع الطُرُقيين، الذين يُبجلون الأولياء الصالحين و سلطتهم و كراماتهم التي لا تقبل الشك و الطعن. و يستحضرون مآثرهم جماعيا أو فرديا و بشكل دائم و في مختلف المناسبات، فوظيفة هذه التصورات التي يُؤمنون بها، وظيفة الضبط الإجتماعي. و تكفل هذه الوظيفة الإحترام و الطاعة و عدم التشكيك في قداسة و سلطة الولي الصالح، و تحافظ هذه القداسة على بقائها رغم وفاة الولي الصالح منذ مئات السنين. فجميع الطُرُقيين المعاصرين لم يرو أو عاشوا مع احدهم ليثبتوا مدى المعجزات التي جاء بها هذا الولي، غير أن الوظيفة الضبطية التي تقوم بها مثل هذه القصص، هي التي ترسخ ثقافة احترام الولي الصالح و التسليم لسلطته و كراماته. أي أن تأتيه مؤمنا بما أكرمه الله من كرامات تُميزه عن العامة، و تجعله في مرتبة الخاصة و المقربين إلى الله، و الفوز برضا الولي هو من رضا الله. "فبعد وفاة هؤلاء الرجال تنتشر ثقافة المعجزات و الخوارق التي رافقتهم في محياهم"[198]. بالإضافة إلى تنشئتهم الدينية الصوفية، التي تُرسخ لهم حب الشيوخ لأنهم من أولياء الله.

3- <u>الـمصادر الـمالـية للـزاويـة:</u>

تعتمد أي مؤسسة اجتماعية على مصادر تمويلية تضمن لها الإستمرارية من جهة، و تؤمن حاجيات القاصدين إليها من جهة أخرى، خاصة إذا كانت هذه المؤسسة تقوم بوظائف اجتماعية كالزاوية.

كان يمَلَك جد *لمقدم* أرضا زراعيةً تقدر مساحتها بعشرة هكتارات، كانت تساهم بتموين الزاوية، و قد تكون أرضا حبوسا إما كلها أو جزء منها، حسب ما أكده *لمقدم* للدراسة في ظل غياب مصادر مادية تؤكد ذلك. و الأرض الحبوس هي التي وهبها مالكها للمنفعة العامة، فإذا كانت أرضا منتجةً تعود خيراتها لعامة الناس من دون دفع مقابل لمالك الأرض، أو أن يُبنى عليها أو جزءا منها مسجدا أو أي مرفق عام.

سَنت فرنسا الإستعمارية عدة قوانين تهدف لنزع ملكية الأرض عن ملاكها، و يمكن أن تُسجل أرض الزاوية ضمن هذا الإطار. و يشير "هانوتو" إلى هذا بقوله:" وجه احتلالنا

[198] Sossie ANDEZIAN, Op.cit. p.15

ضربة أخيرة إلى الحبوس، فقد اقر مرسوم01 أكتوبر 1844 و قانون 16 جوان 1851 بصحة عمليات البيع، حتى قبل صدور المرسوم و القانون، التي قام بها المستفيدون إلى أوربيين أو يهود، و قد وسع مرسوم 30 اكتوبر1858 الحكم نفسه، ليشمل الأملاك التي تنازل عنها مسلم لمسلم آخر"[199]. و أصدرت بعده فرنسا قانونا آخر سمته، « Sénatus-consulte » الذي يعتبر "ميثاق للعقار، جاء لتحقيق ثلاثة أهداف، أولها: إخضاع القبائل التي كانت تتمتع بالأراضي الواسعة للمستعمر، ثانيا: تقسيم هذه القبائل إلى دواوير بلديات و تصنيف المباني الموجودة إلى ملكية البلدية، و أخيرا تأسيس الملكية الفردية في هذه الفروع المجزءة "[200].

لم تتمكن الدراسة من الوصول إلى نتيجة ملموسة بشأن ملكية الأرض بسبب غياب أي دليل مادي عنها، لذا تم الاعتماد على الجانب الشفوي كمصدر لموضوع الأرض. و الدليل الوحيد الذي بحوزة *لمقدم* هو قيام معمر اسمه « orcero»، ببيع الأرض للبلدية سنة 1959م، و رقم العقد هو 1301. حيث قامت البلدية ببناء مركز للنشاطات الحرفية في مكان الزاوية، و بقي ينشط كمركز حرفي من أواخر الفترة الإستعمارية إلى غاية السبعينات، ثم حُول بعد هذا إلى مؤسسة تربوية تحمل اسم متوسطة فاطمة الرحمانية.

3.1 المصادر المالية الحالية للزاوية:

يستمد الخطاب الصوفي قوته من الخطاب الديني العام، الذي بدوره يستند على مشروعية القرآن و السنة النبوية. لذا يرى *لمقدم* في مصدر المال الذي يُؤَمنه في سد احتياجات الزاوية من عند الله. و هو يستشهد بقوله*" لي خلقْ ما يضيعْ"* و*" ما من رزق إلا من عند الله"* ، بمعنى أن كل متبرع للزاوية بدينار، إلا و هو مُسخر من عند الله بعلم أو عدم علم هذا المتبرع بسلوكه. و مادام *لمقدم* مؤمنا بقدرة الله في تسييره و تدبيره لكل الأمور إلا و عاد هذا بالخير على الزاوية، لان ثواب الله لا يعلمه و يعي معناه إلا شاكرا للنعم التي خصها الله به. يعكس هذا التصور موقف *لمقدم* من حيث عدم مطالبته السلطات المحلية لمساعدات مالية، رغم خضوع الزوايا للقانون المسير للجمعيات رقم 90/31

[199] محند اكلي حديبي، ***اودريس الزاوية العامرة***، ترجمة عبد القادر بوزيدة، منشورات زرياب، الجزائر،2006ص143.
[200] Augustin BERQUE, *écrits sur l'Algérie*, réunis et présentés par Jacques Berque, Postface de jean Claude Vatin, Ed. Edisud, Aix- en-Provence, 1986, p. 28.

المؤرخ في 04 ديسمبر 1990، و هذا ما نص عليه القانون المذكور في الباب الرابع المتعلق بالأحكام المالية في الفصل الأول بعنوان الموارد من المادة (33)، التي تبين مصادر الموارد المالية للجمعية، امكانية استفادتها من إعانات الدولة و الجماعات المحلية. (انظر الملحق 04).

و سبب عدم مطالبة الزاوية السلطات المحلية من إعانات مالية رغم أحقيتها بذلك باعتبارها جمعية، يرجع لتصور *لمقدم* الذي يربط علاقة استقلالية الزاوية في تحديد مواقفها بمصادرها المالية. فكلما كانت المصادر التمويلية بعيدة عن السلطات المحلية، كلما كانت حرية اكبر في تحديد مواقفها و حرية التسيير المالي للزاوية من حيث المداخل و المخارج. و لا يعني هذا الموقف، رفضا قطعيا من *لمقدم* للإعانات المالية التي يمكن أن تستفيد منها الزاوية مستقبلا من السلطات المحلية.

و استخلصت الدراسة في إحدى المقابلات مع *لمقدم*، أن من بين المداخيل الأساسية للزاوية هي التي يجنيها من إقامة الحضرة. فعند اختتام فعاليات الحضرة يقوم احد المريدين المشاركين بأمر من الشيخ، بتمرير طبق يجمع فيه المال كل حسب استطاعته و تُسمى هذه العملية "*الطْبقْ*". و هو شكل من أشكال التضامن و التكافل الإجتماعيين الذي يجمع مختلف الزوايا ممثلة بشيوخها، إلى جانب أنها وظيفة تمويلية من المصادر الأساسية التي تعتمد عليها الزاوية. فعلى سبيل المثال وصل المبلغ المالي لإحدى الحضرات التي أقامتها إحدى الزاويا القادرية بمعسكر، إلى جمع أكثر من ثلاثين مليون سنتيم في الحضرة الواحدة. غير إن الملفت للانتباه أن *لمقدم* لم يقم بأية حضرة منذ مدة طويلة، رغم المداخيل التي سيجنيها عبر ذلك.

و ثاني مورد مالي تعتمد عليه الزاوية هو التبرعات المالية للمحسنين، سواء كان هذا المُحسن من داخل الوطن أو خارجه. و يساهم المغتربون في عملية تمويل الزاوية عن طريق التبرعات، او ما يسمى في الفقه الصوفي بالصدقة. و هذا ما عاينته الدراسة، بخصوص استلام *لمقدم* مبلغا ماليا، بعثته إحدى المهاجرات للزاوية عبر تحويلات المؤسسات المالية باسم احد *فقرا* الزاوية. و يعتبر هذا مؤشرا عن المصادر التمويلية الخارجية للزاوية. و الأكيد هو تنوع المصادر المالية للزاوية و تماشيها مع حجم

الإحتياجات التي تؤمنها الزاوية، فحجم التبرعات لبناء مقر جديد للزاوية مثلا، ليس نفسه حجم التبرعات لتأمين الإطعام.

لقد عجزت الدراسة طوال مدة البحث عن تحديد المصادر المالية للزاوية بدقة، كما إن الموضوع المالي من الطابوهات التي يُفضل عدم الكشف عنها. حيث أصبح يشكل التطرق للموضوع نوعا من الإحراج *للمقدم* و الدراسة، لدى ارتأت الدراسة الكف عن تكرار الأسئلة التي تتعلق بهذا الجانب.

3.2 أشكال الإنفاق للزاوية:

كانت تؤَمن الزاوية وجبات غذائية في كل يوم و أبوابها مفتوحة على مدار السنة، و كان هذا قبل هدمها بتاريخ جوان 2011. و تقدم فطور الصباح و المساء، و وجبتي الغذاء و العشاء، و سينية القهوة لا تنقطع على مجلس *لمقدم* طوال فترات اليوم و طيلة أيام الأسبوع. و غالبا ما تتضمن وجبة الغذاء الكسكسى الذي يعتبر من الأكلات الشعبية بالجزائر عامة، و معروف عنه انه من الأطباق التي تُقدم في المناسبات، و يجمع كل صحن مجموعة من الأفراد تتشارك في أكله. فطابعه الجماعي في تناوله يرمز لذوبان الفوارق الاجتماعية، فالشيخ يُقاسم مريديه نفس الطعام و من نفس الإناء، غير أن هذا لا يعني ذوبان الإحترام بين *لمقدم* و مريديه في هذه اللحظة، بل تجد كل فرد فيهم يُؤثر أخيه على نفسه، من خلال تكرارهم *" كولْ أنا كليتْ"* . كما هو تكريس لسلطة *لمقدم* الروحية على مريديه من خلال أداءه لوظيفة الساهر و الراعي الأول لهم، "فالراعي مسئول عن رعيته" حسب الحديث النبوي الشريف.

و لضمان خدمات الإطعام على مدار السنة يستوجب ميزانية كاملة، هذا دون احتساب كلفة حضرة المولد النبوي الشريف مثلا، و التي كانت وجبة دسمة و حضرها ما لا يقل عن مائتي مدعو. إضافة إلى توظيف *لمقدم* لإمرأة تطهي الطعام بصفة دائمة، و يتم توظيف نساء أخريات إذا تعلق الأمر بوعدة أو وليمة، و هذا ما يُلزم الزاوية أيضا أن يكون لها عدة مصادر مالية معتبرة.

و لذا فان الأكيد أن ابرز المصادر التمويلية هي تبرعات المحسنين، و تبقى بذلك مصادرها المالية سرا لا يعلم جزئياته إلا القائم الأول على الزاوية. و من المظاهر التمويلية الجديدة للزوايا صندوق الزكاة، باعتبار الزاوية هيئة ذات طابع جمعوي.[201] و لم تستلم الزاوية أية إعانة مالية من السلطات المحلية، لأن *لمقدم* يفضل عدم مطالبتهم بذلك لأنه يتطلع من السلطات المحلية، أن تصدر له تسريح بناء مقر جديد للزاوية. و يرمز هذا للإستراتيجية التخطيطية المستقبلية للزاوية، و التي تعتبر نقطة الحصول على تسريح بناء المقر الجديد أكثر أهمية و ذي أولوية، من مطالبة السلطات المحلية بإعانات مالية غالبا ما تكون زهيدة.

4- علاقة *لمقدم* بمريديه:

يُجمع التراث النظري الذي تناول نقطة نوع العلاقة التي تربط عادة شيخ الزاوية بمريديه، أنها علاقة تضبطها السلطة الروحية التي يتمتع بها شيخ الزاوية. و كما يقول عبد الله حمودي:" رجل الزاوية يخضع لإرادة الشيخ الذي يسيطر على حياة مريديه، تبعا لنسق من الأفكار و الممارسات، تُزاوج تلك التي يستعملها رب الأسرة وسط أسرته ونسبه."[202]

و "شكل السلطة في الزاوية له معناه الخاص، فالسلطة مظهر أساسي يميز شخصية الوالي أو الشيخ. و شرعية سلطته ليست قرارية "قرار قانوني" و إنما هي قدسية تجمع علاقة صاحب القداسة برعاياه، مثلا سلطة المرابطين على *الفقرا* ."[203]

الزاوية المدروسة لا تخرج عن هذه القاعدة، بحيث يمتع *لمقدم* بسلطة روحية على مريديه و *لفقرا* و التي تظهر في احترام سلطة *لمقدم* و طاعته في أوامره. و هو احترام النظام بالدرجة الأولى، للمحافظة على التناسق الداخلي لأعضاء الجماعة. حيث إذا أمر *لمقدم* بأمر ما لخدامه، إلا و تسَخَر له خدامه المقربون، في مشهد يتسارعون فيه لمن يفوز بخدمته أولا، مع العلم إن هناك من *لفقرا* من يكبر *لمقدم* بعشرين سنة، و رغم فارق السن الكبير بينهما يبدي هذا الشيخ *للمقدم* الأصغر منه طاعة و يتسخر له من دون أدنى عقدة. و

[201] Belkheir GHALI, Op.cit.
[202] عبد الله حمودي، المرجع السابق، ص 112.
[203] Najib MOUHTADI, Op.cit, p.60

هذا راجع لمنطق الفكر الصوفي الذي يُوقر الشرفة و الأولياء، و اعتبارهم سادة و حكماء يُلزم احترامهم من دون قيد و لا شرط.

و في فترات حاولت الدراسة، إثارة هؤلاء الخُدام بأسئلة تتعلق بالزاوية، فكانت ردود أفعالهم و أجوبتهم متشابهة " *كي يجي الشيخ يقولك*". و هذا ما يؤكد إلتزام الزاوية المدروسة، بالقاعدة العامة التي تسير وفقها علاقة *لمقدم* بمريديه، و التي تقوم على مبدأ الطاعة و الإحترام و تقديس السلطة الروحية *للمقدم*. فمن خلال سلوكياتهم يُلاحظ أنهم يضعون *لمقدم* في مرتبة الشيخ، و حتى مناداتهم له تكون باستعمال كلمة "شيخ" بكل ما تحمله الكلمة من صفات و معنى الشيخ.

5- علاقة الزاوية القادرية سيدي احمد دومة بالزاوية الجازولية:

تعتبر الطريقة الشاذلية الجازولية، أول طريقة تأسست بالمغرب العربي على يد الشيخ ابو عبد الله محمد الجازولي.[204] و يبعد مقر الزاوية الجازولية عن مقر الولاية بحوالي 60 كلم، و تقع ببلدية سيدي ورياش دائرة ولهاصة (مُبينة في خريطة توزيع الطرق و الزوايا الناشطة حاليا بولاية عين تموشنت). و مقر الزاوية هو مرفق حديث و مرمم به مدرسة قرآنية و قاعتان مهيأتان لإستقبال الضيوف، و الطريق المؤدي للزاوية معبد إلى آخره. كما قام رئيس الجمهورية في سنة 2003م لما زار الولاية، بزيارة الشيخ في مقر الزاوية. حيث طلب الرئيس من الشيخ أن يدعو له الله بالتوفيق، فأجابه الشيخ انه يدعو له في كل صلاة و مجلس يكون فيه، و هذا ما أكده مقدم الزاوية الجازولية للدراسة. و شيخ الجازولية من بين أولى شخصيات أعيان منطقة عين تموشنت و تلمسان، و توجه له دعوة حضور المهرجانات الرسمية و الإحتفالات، و تكون كلمته دائما قراءة أواخر سورة البقرة، و الدعاء لرئيس الجمهورية بموفور الصحة و التوفيق، و بعدها يقوم بالدعاء للوالي و الجهاز التنفيذي و أخيرا الدعاء لكافة الحضور. و هذا حسب ما لاحظته الدراسة في كل ملتقى كان يحضره الشيخ الجازولي.

يتجسد في الميدان نوع من التنافس الرمزي الروحي قائم بين الزاوية الجازولية باعتبارها مقر خلافة الطريقة الجازولية و تمتعها بنفوذ رمزي طُرقي على المنطقة، و بين باقي الزوايا و الطرق الأخرى بالمنطقة. و ينعكس هذا التنافس من خلال اعتبار زوايا

[204] Sossie ANDEZIAN, Op.cit, p. 21.

المنطقة انها مهمشة مقارنة بالزاوية الجازولية، وأن الإدارة تتعامل مع الزوايا على أساس التمييز و تفضيل الزاوية الجازولية على سواها من الزوايا. فخلق هذا الوضع تنافسا رمزيا أو صراعا خفيا بين زوايا المنطقة.

و هذا ما دفع الدراسة للبحث في ديناميكية هذا الصراع الخفي لأنه لا يأخذ طابع المواجهة بينهما، إذ لا احد من الطُرق المتواجدة بالولاية يتجرأ إعلان صراعه مع أي طرف كان. سواء الجازولية مع القادرية أو طريقة أخرى أو القادرية مع طريقة أخرى، بل يَظهرون دائما في أية مناسبة تجمعهم بمظهر الإخوة، لأن تعاليم الصوفية تجبرهم على التسليم لبعضهم بإعتبار نسبهم الشريف.

نتج عن هذا الإطار العام، حالة تنافس رمزي يميل إلى الصراع كما سبق الذكر، لذا سيسعى أي طرف يقوم بخطوة غير محسوبة للإستثمار في أخطاء الطرف الآخر، و هذا ما لمسته الدراسة إبان الاحتفال بالمولد النبوي لسنة (2010 م).

و يعتبر *لمقدم* أن السر و حكمة الطريقة العيساوية وهي أصل الطريقة الجازولية، قد انتهت و ذهبت مع شيوخها الأصليين. و انكشف هذا الأمر لعامة الناس و في العَلن إثر حادثة وقعت لحفيد شيخ الطريقة الجازولية، عند الإحتفال بالمولد النبوي الشريف لسنة (2010م). فالمعروف عن الطريقة العيساوية بممارساتها الخارقة، كأن يمشون على الزجاج أو حتى أكله أو تقبيل النار من دون أن يتأذى صاحب هذا الفعل، لكن "أصحاب العلم و المعرفة يدركون إنها مجرد ظواهر، هستيرية سحرية سهلة التفسير".[205]

ففي الحضرة التي أقيمت بمناسبة الإحتفال بالمولد النبوي أمام الناس، و في لحظة هستيرية قام حفيد الشيخ الذي كان يشارك في الإحتفال، بحمل السكين لشق بطنه إلى نصفين كما تجري العادة مع أتباع الطريقة العيساوية، من دون أن يتأذى صاحب هذا الفعل كما جرت العادة مع الأجداد. لكن الذي حدث كان العكس و انشق بطن الشاب إلى نصفين و توفي بعد هذا الحادث، و في اليوم الموالي بلغ صدى هذه الحادثة أوساط الزوايا بالمنطقة و عامة الناس.

و كانت هذه الفرصة سامحة للزوايا التي تتنافس مع الجازولية على النفوذ الرمزي الروحي، لفتح باب الشك على ربانية الطريقة. و هو ما دفع المخيال الشعبي للمنطقة

[205] Louis RINN, Op.cit. p. 303

بتأويل هذه الحادثة، بذهاب السر و الحكمة العيساوية عن الطريقة الجازولية، و هو بمثابة مؤشر قوي عن خروج الطريقة على النهج الرباني التصوفي و انشغالها بالدنيوي، و بالتالي استحقت العقاب الرباني الذي لا يظلم و لا يخطئ. التأويل الذي عرفته هذه الحادثة هو بمثابة إجراء ضمن مجموع الاجراءات، التي يُوظفها كل طرف على حساب الآخر، في إطار الصراع الرمزي الخفي القائم بين زوايا المنطقة و الزاوية الجازولية. و بالتالي ساهمت هذه الحادثة، في تغذية نقصان القيمة الروحية للزاوية الجازولية بالمنطقة بين أوساط عامة الناس. و ثاني إجراء محرك للصراع الرمزي الخفي بين زوايا المنطقة، تظهر مؤشرات الإجراء المالي كعامل يعزز شعور الزوايا بالتهميش. و تعتبر الزاوية الجازولية أوفر حظا من نظيراتها بالمنطقة، حيث استفادت من إعانات مالية لأجل ترميم مقرها غداة زيارة رئيس الجمهورية لها. في حين لم تستفد الزوايا الأخرى من نفس الإمتيازات المالية و بالتالي رأت الزوايا المنافسة لها أن الزاوية الجازولية، هضمت حق الزوايا الأخرى. حين استلمت الإعانة المالية المعتبرة و التي خصصت لبناء و ترميم الزاوية، لأنها من الإعانات المالية الموجهة للفاعلين الدينيين، من زوايا و جمعيات دينية محلية. لكن تصرف السلطات المحلية اتجاه الزاوية الجازولية مفهوم، لأن زيارة رئيس الجمهورية للزاوية ليس بالأمر العادي، و المعروف عن سلطاتنا المحلية إنها تجمع و تستنفذ كل قواها المادية و المعنوية، لكي تمر زيارة الرئيس من دون أخطاء أو ملاحظات تكون لها عواقب عليهم بعد انتهاء الزيارة.

6- علاقة الزاوية القادرية سيدي احمد دومة بمقام مولاي عبد القادر بمدينة عين تموشنت:

يُحسب على الطريقة القادرية بمدينة عين تموشنت مقام مولاي عبد القادر. و هو من بين الأمكنة الذي يبقى تاريخ تأسيسه و مؤسسه مجهولين، حسب ما أكدته إحدى بنات العائلة التي كانت تشرف على المقام، و هي في الستينات من عمرها. و الأكيد انه من أقدم الفضاءات الدينية المقدسة، على مستوى مدينة عين تموشنت و بالمنطقة عموما. و قامت الدراسة بزيارة المقام بمناسبة الإحتفال بالمولد النبوي لسنة (2010).

و كانت الزيارة في يوم جمعة على الساعة الحادية عشرة صباحا، و في الأسبوع الذي صادف اللإحتفال بالمولد النبوي. و استمرت الزيارة إلى غاية الثانية عشرا زوالا.

عند مدخل المقام كانت امرأة في نهاية العقد الخامس من عمرها تقوم بإيقاد نار بالحطب، بجانب الضريحين الرمزيين لوالد و والدة الشيخ الجيلاني. و كانت تتكلم بلهجة غريبة عن المنطقة، تبين فيما بعد أنها تنحدر من منطقة غليزان. ثم نادت على *لَمقدمة* التي هي ابنتها في ربيعها الثلاثين. و دعت *لمقدمة* الدراسة إلى داخل المقام، و عبر فناء مدخل المقام أمرت *لَمقدمة* بصوت عالي النسوة اللائي كن بالداخل بتغطية رؤوسهن. و في الحجرة الأساسية للمقام كانت امرأة مستلقاة على فراش تبدو مريضة، و تبين فيما بعد إنها ابنة *لَمقدمة* التي توفيت، و التي كانت تشرف على المقام قبل *لَمقدمة* الحالية. و تنحدر *لَمقدمة* التي توفيت من مدينة عين تموشنت، من سلالة الولي سيد احمد بوحجر المذكور سابقا و تحمل زاوية اسمه متواجدة بحمام بوحجر (انظر الجدول رقم 06 الذي يبين الزوايا الناشطة حاليا بولاية عين تموشنت). و منذ ثماني سنوات من وفاة هذه *لَمقدمة*، و ابنتها في حالة صرع أو مس تقضي يومها كله بالمقام. و بجانبها ثلاث نساء أخريات و *مقدم* في سن الثلاثين هو أيضا جالس بجانبهم. و كان في الغرفة المجاورة لغرفة الإستقبال *فقير* آخر و يفصل الحجرتين ستار أبيض.

جاءت *لَمقدمة* الحالية و التي تنحدر من منطقة غليزان إلى المقام بعد تعرضها لمس جني، فهو الذي أمرها بالإستقرار في المكان الحالي و الإشراف على المقام، و هي تشرف عليه منذ سبع سنوات. و في كل يوم جمعة، تزور النسوة المقام بأعداد قليلة مقارنة بالسنوات الفارطة و تقدمن *" زْيارة "* أي صدقة من المال *للَمقدمة*.

يعتبر المقام في سنوات الثمانينات فضاءا صاخبا بالنساء اللائي يأتينه من كل أحياء المدينة على مدار الأسبوع. فبعد أداء واجب الزيارة *للَمقدمة*، يجتمعن *الفقيرات* في حلقة ذكر نسائي داخل المقام، و تفضل معظم النسوة البقاء خارج المقام خاصة إذا كان الجو صحوا، و إقامة حلقات نسائية بعيدة عن الذكر تتجاذبن فيه أحوال بعضهن و تسيير أمورهن. فكان مكانا تتصالح فيه النسوة المتخاصمات عبر وساطة *لَمقدمة*، أو تدبير أمور زواج أو ترتيب لقاءات تعارف بين الشابين و بعلم الأمهات اللاتي يشرفن على أمور التعارف كأول طرف في حبل التعارف. تختزن الذاكرة الجماعية للمدينة صور عدة زيجات بدأت أواصلها و روابطها من هذا المقام، كما تختزن الذاكرة الجماعية المحلية أيضا بعض الصور السلبية للمقام المرتبطة بطقوس السحر و الشعوذة.

و في ختام الزيارة قرأت *لَمقدمة* و *لمقدم*، مجموعة من الأذكار القادرية الطريقة و جزء من قصيدة البُردة.

و في بحر الأسبوع الموالي و بمقر الزاوية القادرية، سألت الدراسة *لمقدم* إن كان له سلطة على مقام مولاي عبد القادر. فأجاب أن المقام تشرف عليه *مقدمة* و هي تتدبر أمورها بنفسها، و لا يوجد أي اتصال بين *مقدم* الزاوية القادرية و *مقدمة* مقام مولاي عبد القادر. و أكدت هي الأخرى عدم وجود أية علاقة بينهما لا من قريب و لا من بعيد، إلا العلاقة الطُرُقية أي انتمائهما لنفس النهج التصوفي.

عرف المقام مرحلة فراغ و تحول في فترة التسعينات و بداية الألفية التي شهدت فيها البلاد أوضاعا سوسيو- سياسية و ثقافية خاصة فأصبح وكرا يؤمه المتشردون. و أكد *مقدم* الزاوية انه هو من قام بترميم القبة الموجودة بالمقام، و تركيب باب حديدي لحمايته من المتشردين، و أعطى مفاتيح الباب لإبنة *لَمقدمة* المتوفاة قبل مجيء *لَمقدمة* الحالية.

اختص المقام في الوسط المحلي و منذ وقت طويل، بالزيارات النسوية من دون الرجال. إذ و بمرور الوقت أصبح فضاءا نسائيا بإمتياز في سنوات الثمانينات، حيث كان متنفسا لنساء المنطقة يعبرن فيه عن ذواتهن و وجودهن.

و هذا ما أكدته سوسي اندزيان: " جزائر الثمانينات أصبح النظر فيها إلى الطرقي كدين خارج القانون و اختص بالمناطق الريفية و الوسط النسوي"[206]، بالإضافة إلى انه فضاء يتشابه في جوهره بما يحصل في حضرة زاوية ودريس، "حيث يصير فضاء اللقاءات فيه ممكنة، و يؤدي ذلك إلى علاقات زواج، (...) و ينبع هذا بالإيمان بالبركة التي تصدر عن ضريح الولي، و هي بركة محل إيمان قوي بحيث تجعل المعنيين يأملون الحصول على زوج بفضلها"[207]، لكن الفرق الشكلي بينهما، إن حضرة مولاي عبد القادر بعين تموشنت حضرة نسائية يقل فيها تواجد الذكور، الا اذا كان مأذونا له المجيء و بعلم *لَمقدمة*، مصحوبا مع الوالدة أو أحد القريبات من النساء بهدف ترتيب لقاء تعارف بين شابين.

[206] Sossie ANDEZIAN, Op.cit. p. 17
[207] محند اكلي حديبي، المرجع السابق، ص 194.

7- التـزكيـة الـطُـرُقـية:

و هو اليوم الذي ألبس فيه *لمقدم* الدراسة الخُرقة القادرية و أعطاها الطريقة و الوسيلة، التي بفضلهما أصبح الباحث قادري الطرية و أحد *لفقرا* بالزاوية. و بهذا كانت الدراسة أحد المستفيدين الأوائل من نتائج مرحلة التحرر الطرقي التي كان *لمقدم* يكرره في كل مرة، بقوله: "إني سأعطيك الطريقة و الوسيلة حين يتم تسريح أمر الزاوية". و بهذا يكون قد وفى بوعده اتجاه الدراسة.

بدأت مراسيم التزكية الطرقية من يوم الجمعة، حيث قامت الدراسة بزيارة *لمقدم* في صباح هذا اليوم و وجدته برفقة بعض *الفقرا*. و ذكر للدراسة، أنه سيقيم حلقة ذكر تجمع *فقرا* الزاوية بعد صلاة الجمعة مباشرة. و قد زادت الزاوية من عدد *الفقرا* إذ أصبحت تضم في صفوفها أربعة عشر *فقيرا* من مناطق مختلفة من الولاية، و معظمهم من خارج مدينة عين تموشنت. فبدأ *لمقدم* يتحدث عن الجانب الروحي بمفهومه الصوفي، و عن الطريقة الجديدة التي انخرط تحت لوائها، و استظهر وثائق إجازة التقديم مكتوبة و موقعة من طرف شيخ الطريقة القادرية بالحرمين الشريفين. و صنفت الإجازة *لمقدم* في رتبة *مقدم أول رُكن*، و هي مرتبة تعتمدها الطريقة القادرية بالحرمين الشريفين بمنزلة *مقدم* في زوايا المغرب العربي. ثم سحب نسخة من الورد الأساسي بعد كل فريضة صلاة (انظر الملحق 02)، و راتب الأذكار(انظر الملحق 03)، و بعدها أخرج سبحة سماها سبحة البركة تنبعث منها رائحة البخور، و بها تسع و وتسعون حلقة مصنوعة من الخشب ذو نوعية خاصة، و مُعَد خصيصا لصناعة مثل هذه السبحة (انظر الصورة 03). و زود البحث بنسخة لكل منها. و استكمل قائلا انه في مرحلة جمع *الفقرا* الجدد، و توزيع الأذكار و الورد الجديد عليهم، و جدد أن الزاوية تريد الإرتقاء الروحي بمريديها و *فقرائها* و تبتغي مرضاة الله، لذا أخذ أمر تسريح الطريقة وقتا طويلا. وبهذا تكون هذه الزاوية الأولى وطنيا حسب *لمقدم*، التي أخذت طريقتها على يد شيوخ الحجاز.

بعد الصلاة و في حدود الساعة الثانية و النصف زوالا بدأت حلقة الذكر، و جمعت ستة *فقرا* يرتلون أذكار الطريقة بصوت سماعي صوفي، عكس صوت المرتلين في المساجد. و تغيبت جماعة مكونة من عشرة أفراد عن الحلقة بسبب قلة وسائل النقل، حسب

التبرير الذي قدمه نائب عنهم عندما اتصل به *لمقدم* عبر الهاتف لأنهم يقطنون خارج مدينة عين تموشنت.

و كانوا يرتدون عباءات بيضاء و يضعون على رؤوسهم عراقيات بيضاء، ما عدا الباحث الذي كان رئسه مكشوفا. و كان *لمقدم* يتوسط الحلقة و رأسه مغطى بخمار أبيض يضعه على طريقة شيوخ حلقة العزابة الأباضيين.

جلس الباحث إلى الجانب الأيمن *للمقدم* يردد معهم، و كانت الجماعة ترتل الورد الأساسي بعد كل صلاة، و في حدود الساعة الثالثة بعد الزوال انتهت حلقة الذكر و ختمها *لمقدم* بالدعاء. و بعدها عم صمت دام بضع دقائق. و حينها التفت *لمقدم* للدراسة و قال: "الآن سأعطيك الطريقة و الوسيلة لتكون واحدا منا"، و هنا بدأت مراسيم و طقوس التزكية الطرقية.

التصورالذي ساد الدراسة في الوهلة الأولى، أن *لمقدم* سيزود البحث بمخطوط مكتوب، نظرا للجهل الذي كان يلازم الدراسة عن كيفية تزكية *فقير* جديد بالزاوية، و نظرا لغاية الباحث و هي دراسة الزاوية.

فقام بمصافحة الدراسة و أمرها بترديد ما يلي: "لا اله إلا الله محمد رسول الله و الشيخ الجيلاني سلطان أولياء الله" و تكرارها ثلاث مرات، و بعدها بدأ يتمتم و هو يصافح الباحث. و لم تدر الدراسة ما كان يردد إلى حد كتابة هذه السطور. و حين انتهائه تلقت الدراسة التهاني منه و من باقي *الفقرا* في الطريقة الصوفية التي انتسبت اليها الدراسة، و أصبح الباحث *فقيرا* قادري الطريقة. و يجب عليه الإلتزام بالحضور في كل يوم جمعة للذكر مع الجماعة، و بقراءة راتب الأذكار بعد كل صلاة مغرب و صبح من كل يوم، لأنه يحفظ من كيد الإنس و الجن و هو رقية للجسد، من خلال قراءة الفقرة السادسة من راتب الأذكار (انظر الملحق 03). و السعي لتوزيع الأذكار و استقطاب و جلب *فقرا* جدد للزاوية.

و الأمر الذي أثار الدراسة، هو لما أمر *لمقدم* ترديد وراءه، عبارة "لا اله إلا الله محمد رسول الله و الشيخ الجيلاني سلطان أولياء الله". ففي المرة الأولى ترددت و تفاجأت الدراسة، لأن التنشئة الدينية لم تعلمنا يوما إن للشهادة عنصر ثالث و هو احد أولياء الله (الشيخ الجيلاني). حيث أصاب الباحث تردد و شعور بالقلق و التوتر، فالتزم

الصمت لبرهة و أرادت الدراسة الإنسحاب، و أحس الجميع بالإرتباك الذي أصاب الباحث. فقررت الدراسة استأناف تكرار ما أمر *لمقدم* به، لأن الفلسفة الصوفية للطريقة القادرية تجيز ذلك و تعتبره شرطا أساسيا للدخول في الطريقة و هذا نفس الحال لباقي الطرق.

تبقى مراسيم و طقوس انتماء و تزكية *فقير* جديد يريد الانخراط في الطرق الصوفية نفسها منذ القرون الوسطى، و هنا يقول روزيت و كريت: " يقدم احد *لخوان* العنصر الجديد للشيخ او *مقدم* الطريقة التي اختارها، و يصافح الشيخ او *لمقدم* يده، و يعرفه بواجباته اتجاه الطريقة، و الاذكار الواجب تلاوتها و كيفية قراءة الورد، و بعد هذه الاجراءات يستقبل كأخ للطريقة."[208]

لقد مرت الدراسة بتجربة فريدة غنية في محتواها النظري و الميداني، إذ سمحت للبحث بالانتقال من مرحلة الملاحظة المباشرة لموضوع الدراسة، إلى مرحلة الملاحظة بالمشاركة، و هي خطوة ميدانية تخوض في جزئيات المخفي للموضوع. غير أن هذه المرحلة المنهجية لم تستفد منها الدراسة، باعتبار ان البحث كان في مرحلة نهاية العمل الميداني، و قد يستفيد البحث من هذا الاجراء الميداني في البحوث القادمة.

[208] Rozet et CARETTE, Op.cit. p.264-263

(الصورة 03) تُظهر سبحة البركة .

- **خلاصة الفصل:**

أنتجت الزاوية موضوع الدراسة لنفسها وضعا اجتماعيا مميزا، يميزها عن باقي هيئات المجتمع المدني في المجتمع المحلي، نظرا لاعتمادها على البعد التصوفي كوسيلة وغاية في آن واحد. فالخطاب الذي تنتجه الزاوية لا يخرج عن القاعدة التصوفية العامة، و التي تؤدي وظيفة سوسيو- إسلامية تصوفية تهدف لنشر الطريقة واكتساب المزيد من المنتسبين، من خلال الأنشطة و الممارسات التصوفية الداعية إلى إطعام الطعام و إكرام القاصدين إلى الزاوية، بغض النظر عن ظواهر الأمور لأن السر التصوفي يسعى للنظر و الكشف و تلبية الماورائي الباطني. كما قامت الزاوية بتعزيز وجودها كمؤسسة دينية، من خلال اقامتها لعلاقات دينية مع مختلف الهيئات الدينية المماثلة. و بهذا استطاعت هذه الزاوية أن تجد لنفسها مكانا في المخيال الشعبي المحلي، و بالتالي تموضعها في الحياة اليومية العامة بما في ذلك الحقل السياسي المحلي، بغية الحفاظ على مصالحها و تسيير أمورها. و هذا ما سيحاول الفصل الأخير التطرق إليه.

الفصل الخامس

تمهيد:

لم تكن الزاوية يوما مؤسسة دينية الأصل في مُنعزل عن الحياة الاجتماعية، بل كانت منتجة و مشاركة فيها بما في ذلك الحقل السياسي الذي دخلته الزاوية منذ القرون الأولى لتأسيسها. فالزاوية و السياسة لم ينفصلا عبر مراحل تاريخية متجذرة، لذا ليس غريبا أن يمتزج السياسي بالديني في فضائها، بحيث يصبح لا وجود لحدود بينهما. لكن التناقض الحاصل في علاقة الزاوية بالسياسي، أن الزاوية تدعي دائما إنها مركز إشعاع رباني و هذا ما تنص عليه التعاليم الصوفية الزاهدة في الحياة و المطلقة لشهواتها، عكس السياسي الزاهد عن القيم الروحية و المتمسك بالدنيا و شهواتها. و هذا ما يؤكده ج. الراسي.[209]

" فإنزلاق الزاوية إلى شكل الجمعية الدينية، يسمح بكشف توجهاتها الإيديولوجية و السياسية"[210]. و انطلاقا من هذه الثنائية (زاوية- سياسية)، سيحاول الفصل الأخير من هذه الدراسة، التركيز على العلاقة التي تجمع الزاوية المدروسة، باعتبارها في مرحلة البحث عن الآليات المدعمة و المثبتة لوجودها، بالأحزاب السياسية المترئسة للمجالس المحلية المنتخبة. و إلى أي مدى تتداخل الزاوية مع السياسي، و كيف يسعى السياسي لكسب ود الزاوية لإعتبارات انتخابية؟. من خلال عرض للمواقف السياسية للزاوية، من الإنتخابات المحلية 2007/11/29 ، و انتخابات ممثل الولاية بمجلس الأمة، ثم البحث عن خلفيات مواقف *لمقدم* السياسية. بالإضافة إلى عرض الصراع القائم بين الزوية و السلطة السياسية المحلية، مع إبراز مضمون و أطراف الصراع و موقف الإدارة المحلية من الزاوية. ثم عرض عنصر العلاقة التقليدية و هو الشكل الذي لاحظته الدراسة في بناء أول لبنة في علاقات الزاوية، و آخر عنصر من هذا الفصل هو مكانة الزاوية في الحقل السياسي المحلي الذي اصطلحت عليه الدراسة بالزاوية الإنبعاثية.

---

[209] جورج الراسي، المرجع السابق، ص 234.
[210] Najib MOUHTADI, Op.cit, p.35

1- المواقف السياسية للزاوية المدروسة:

حسب طرح نجيب مهتدي، و باعتبار الزاوية جمعية دينية فإن هذه الوضعية ستسمح بكشف ميولاتها و مواقفها الإيديولوجية. فما هي المواقف السياسية للجمعية الدينية زاوية سيدي احمد دومة القادرية ؟ و على أي أساس تنبني علاقاتها الفعلية؟.

تفاعل الزاوية مع السياسي يسمح لها بلعب عدة أدوار على الصعيد السياسي، من خلال إعلان مواقفها السياسية أو تجنيد رأسمالها الرمزي الروحي في خدمة جهة سياسية على حساب أخرى. " تجمع ظاهرة الزاوية بين الشعبية و البرجوازية، بين الريفي و الحضري فهي ليست مطلبا دينيا و حسب بل بعدا سياسيا."[211] و بالتالي فهي " فضاء للتعبير عن الإحساسات المحلية أو الجهوية"[212]، حتى و إن كانت هذه الأحاسيس سياسية بعيدة عن الأحاسيس و التعابير الدينية، التي يُفترض أن تكون ضمن قالب و فضاء الزاوية. و هذا ما يؤكد لا محالة تداخل الزاوية بالسياسي.

و عن الزاوية المدروسة فسيتم التعرض لمستوى هذا التداخل، من خلال عرض العلاقة التي تربط الزاوية بالأحزاب السياسية المحلية، كإجراء أو آلية لتعزيز مشروعية الزاوية، و كجزء من مجموع الآليات الأنثروبولوجية التي لجأت إليها الزاوية لتقوية مكانتها.

تظهر علنية المواقف السياسية للزاوية إبان أي استحقاق انتخابي سواء كانت انتخابات رئاسية حيث كانت الزاوية مساندة لترشح الرئيس الحالي، أو انتخابات محلية أو تشريعية. و إبان الإنتخابات الرئاسية الأخيرة ساندت الزاوية ترشح الرئيس الحالي و هذا ما كان بارزا، من خلال الملصقات التي تحمل صور و شعارات الرئيس الحالي على الجدران الخارجية للزاوية. رغم إنها جدارية غير مرخصة قانونا لتعليق صور أي مرشح كان، و هذا ما يعكس و يثبت الموقف السياسي العلني للزاوية المساند للرئيس الحالي.

و من خلال موقف الزاوية من هذه المحطة الإنتخابية الرئاسية، الذي يثبت دخول الزاوية في السياسة. ستكون المحطات الإنتخابية المقبلة، موعدا للزاوية لحسم مواقفها السياسية لصالح حزب على أخر و بناءا على حسابات و تحديات الزاوية الإستراتيجية.

---

[211] Najib MOUHTADI, Op.cit. p.60
[212] Op.cit. p.50

1.1 الانتخابات المحلية: 2007/11/29:

يعتبر حدث بحجم الإنتخابات المحلية، فرصة لمختلف الشركاء الإجتماعيين من أجل كسب تحالفات و تضامنات مع السياسي لضمان و تأمين مصالحهم. لاسيما إذا كانت انتخابات محلية و التي يصبح فيها العرش و القبيلة و الزاوية (الديني) و المال، من العوامل التي يستعملها السياسي للظفر بعهدة سلطوية. و تكون هذه العهدة سلاحا بيد السياسي الساعي إليها، يمكن أن يستعملها من أجل الوفاء بوعوده أمام من وقف بجانبه. و بالتالي فإن الزاوية المدروسة، لن تفوت فرصة كهذه لإعلان مواقفها السياسية. و الإنتخابات المحلية هي، التصويت على أعضاء المجلس الشعبي البلدي و أعضاء المجلس الشعبي الولائي.

تضم الساحة السياسية المحلية حزبين فاعلين أكثر من غيرهما، و متنافسين تقليدين على رئاسة سلطة المجالس المحلية المنتخبة منذ العشرية الأخيرة، وهما حزب جبهة التحرير الوطني و التجمع الوطني الديمقراطي. و يستحوذان على جزء هام من رئاسة هذه الساحة، وهذا ما يظهر من خلال رئاسة حزب جبهة التحرير الوطني للمجلس الشعبي البلدي لعين تموشنت الذي تتشكل تركيبته السياسية من خمسة عشر مقعدا موزعة على النحو الآتي: يتشارك حزب حزب جبهة التحرير الوطني و التجمع الوطني الديمقراطي في عدد المقاعد بخمسة لكل منهما، و تتشارك حركة مجتمع السلم و الجبهة الوطنية الجزائرية بمقعدين لكل منهما، و المقعد الاخير هو لحزب العمال.

و تعود رئاسة المجلس الشعبي الولائي للتجمع الوطني الديمقراطي، و تتألف تشكيلته السياسية من تسعة و ثلاثين مقعدا، موزعون كما يلي: الأغلبية لجبهة التحرير الوطني بثلاثة عشر مقعدا، يليها التجمع الوطني الديمقراطي بعشرة مقاعد، و حركة مجتمع السلم بستة مقاعد متساوية مع الجبهة الوطنية الجزائرية، و أخيرا حزب العمال بأربعة مقاعد.

و كلا الحزبين يسعيان لكسب قاعدة شعبية، تكون له سندا في الرهانات و الإستحقاقات الانتخابية المقبلة.

1.2 علاقة الزاوية المدروسة بحزب جبهة التحرير الوطني:

يسيطر حزب جبهة التحرير الوطني، على رئاسة المجلس الشعبي البلدي لعين تموشنت مدة عشرية من الزمن، و ينحدر رئيس المجلس الشعبي البلدي من إحدى عائلات أعيان المدينة. فطول المدة التي قضاها على رأس هذه الهيئة المحلية، و ما تحمله في بُنيتها من تطلعات و آمال إجتماعية لمواطني المدينة، يجعلها أول هيئة حكومية يتعامل معها المواطن بصفة يومية و بإقبال كثيف، سواء تعلق الأمر باستخراج وثائق الحالة المدنية أو طلب سكن أو عمل.

و أمام ضعف تلبية هذه الهيئة لكل حاجيات المواطن لأسباب عدة و لا مجال لذكرها هنا، تشكل تصور سلبي لدى المخيال الشعبي المحلي ضد مسيري هذه الهيئة. يُترجم هذا التصور السلبي في كثرة تداول و تناقل التأويلات الشفوية، التي تصل إلى حد التجريح عن القائمين على أمورهم و إعتبارهم ليسوا في مستوى تطلعاتهم. و غالبا ما يكون شخص الرئيس هو المستهدف، و الوسط المحلي لم يخرج عن هذه القاعدة، و هذا ما يمثل عاملا مباشرا في تنامي الهوة، و اتساع عمق الفجوة بين المواطن و سلطته السياسية المحلية. و عُمق هذه الفجوة يولد الشعور لدى الوسط المحلي بعدم الرضا من السلطة السياسية الحاكمة، و ينتظر أول فرصة سامحة لتغييرها أو الإنتقام منها عن طريق الإنتخابات كفعل حضاري.

في ظل هذه الأجواء المحلية التي تظهر تضامن المخيال الشعبي المحلي بينه ضد سلطة البلدية، لم يخرج موقف *لمقدم* عن هذه القاعدة، و هذا ما حصل معه في الانتخابات المحلية الأخيرة. و أعلن فيها *لمقدم* مساندة مرشح حزب التجمع الوطني الديمقراطي. لكن هل يعتبر هذا سببا كافيا وراء موقف *لمقدم* ؟.

1.3 علاقة الزاوية المدروسة بحزب التجمع الوطني الديمقراطي:

يترأس التجمع الوطني الديمقراطي المجلس الشعبي الولائي، و سلطة هذا المجلس تشمل إقليم ولاية عين تموشنت. و هذا ما يجعل اكبر القوى السياسية محليا تتنافس على رئاسته، و الذي مالت كفة رئاسته للحزب المذكور، و رئيسه الحالي إبن أحد أعيان مدينة

عين تموشنت. و ساندت الزاوية ترشح الرئيس الحالي خلال الإنتخابات المحلية الأخيرة، و أقامت على شرفه حضرة دعت إليها شيوخ زوايا منطقة حمام بوحجر و بني صاف و عين تموشنت و عامة الناس، و تم تزكية الرئيس الحالي و الدعاء له بالتيسير و النجاح و إعلان الزاوية مساندتها له. و هنا نلاحظ تحول دور الحضرة الذي هو روحي و اجتماعي إلى دور سياسي، مسايرة للنسق العام للحياة الإجتماعية و الحياة السياسية بالخصوص. و هذا ما يُؤكد درجة التأقلم التي تتمتع بها الزاوية مع مختلف المتطلبات الإجتماعية.

من حق أي زاوية مساندة أي حزب تختار لأنه اختيار بالدرجة الأولى و لابد من إحترامه، و يأتي هذا الإختيار حسب قناعة و إيديولوجية الزاوية و في رؤيتها لتحقيق مصالحها. لكن السؤال الموضوعي الذي يطرح، هو على أي أساس يتم مساندة طرف على طرف آخر؟، لاسيما في الإنتخابات المحلية التي تعرف خصوصيات و حساسيات تزداد وتيرتها في هذه الإنتخابات بالذات.

حسب *لمقدم* فان سبب مساندة حزب التجمع الوطني الديمقراطي دون سواه من الأحزاب، راجع لشخصية المرشح الذي هو ابن احد أعيان المدينة " *ولد لَبلاد*" أي ابن المدينة. و هو وجه جديد على الساحة السياسية المحلية و هذا دليل على نزاهته، مقارنة بالمتمرسين السياسيين للعهدات السابقة و الذين يُتهمون بمختلف أشكال الفساد. إضافة إلى مستواه التعليمي الجامعي في إحدى تخصصات الطب.

فهذه الصفات هي التي كانت وراء تحديد موقف الزاوية، الباحثة مما يظهر على التجديد.

1.4 انتخاب ممثل الولاية في مجلس الأمة:

من بين الأحداث السياسية التي تصادفت الدراسة بها، هو حدث انتخاب ممثل الولاية بمجلس الأمة. حيث شهدت أجواء انتخابات أعضاء مجلس الأمة حركية غير عادية في الزاوية، نظرا لأن الزاوية قد حددت مواقفها السياسية من قبل هذا الحدث، و المتمثل في مساندة حزب التجمع الوطني الديمقراطي. و عرفت هذه الفترة تردد عدة و جوه محلية من حزب التجمع الوطني الديمقراطي على الزاوية، و عاد التمثيل الولائي لمجلس الأمة

لمناضل من حزب التجمع الوطني الديمقراطي، و كان منتخبا محليا بالمجلس الشعبي الولائي و هو رجل أعمال و مستثمر سياحي بالمنطقة. غير أن هذا الأخير لم يزر الزاوية من قبل، و قد توسطت الوجوه الأرنداوية و المترددة بانتظام على الزاوية، لدى النائب الفائز بمقعد مجلس الأمة بضرورة إعانة الزاوية و الوقوف إلى جانبها لتسوية أمر الترخيص ببناء مقر جديد للزاوية، حيث وعدهم انه سيساعد الزاوية. و يعول *لمقدم* على هذه الشخصية نظرا لأنه أصبح قريبا من دوائر السلطة بالبلاد، و نظرا لأن الزاوية وقفت إلى جانب حزبه في الإنتخابات المحلية الأخيرة.

و أخبر احد مريدي الزاوية من حزب التجمع الوطني الديمقراطي و العاملين بالولاية، إقدام رئيس المجلس الشعبي الولائي على برمجة قضية مقر الزاوية على طاولة النقاش خلال الدورة الخريفية لسنة 2011. و هذا ما اعتبره *لمقدم* مؤشرا لنصر رباني قريب كجزاء للصبر الذي تسلح به *لمقدم*.

و يعود موقف رئيس المجلس الشعبي الولائي، لأن الزاوية الجازولية و زاوية أخرى زكت ترشح شخصية أخرى لم يفز بمنصب الرئاسة. و إذا تحدثنا عن دلالات المواقف السياسية *للمقدم* فهي تحمل دلالة أخلاقية، بمعنى أن *لمقدم* صاحب الصورة الدينية لجأ للعامل المكاني "ولاد لبلاد"، كعامل أساسي يبني عليه مواقفه السياسية، لأن رئيس المجلس الولائي ابن احدى عائلات أعيان مدينة عين تموشنت. و حتى إن هذا الأخير حزب التجمع الوطني الديمقراطي، ملزم أخلاقيا بمساندة *لمقدم* الواقف إلى جانبه بالأمس القريب. و هذا ما يبرز في الخطوات الأمامية التي يقوم بها الحزب، من أجل تسوية ترخيص بناء زاوية جديدة، و يبقى هذا طرحا جزئيا لا يُجزم فيه. و سيعرض البحث في العنصر اللاحق عن المواقف الخفية و المسكوت عنها، لموقف *لمقدم* المساند لحزب التجمع الوطني الديمقراطي (الأرندي).

2- المرجعيات الأنثروبولوجية للموقف السياسي للزاوية المدروسة:

و على هذا المستوى من هذا الطرح يبرز سؤال جوهري و هو، ألا يؤدي انحياز الزاوية لطرف بعينه إلى تأثيرات سلبية؟، و للإجابة على هذا السؤال لابد من التطرق إلى المرجعيات التي اعتمدها *لمقدم* في أخذ موقفه.

أول مرجعية اعتمدها *لمقدم* هو الصبغة المحلية لهذه الانتخابات، و المحلي في ممارساتنا اليومية هو فضاء مكشوف. لاسيما عند أبناء المدينة الواحدة، أين تعرف عائلات أعيان المنطقة بعضها جيدا، إلى درجة سرد الماضي التاريخي لأي عائلة ما بسهولة. و يبقى تحدي المنصب الحساس كمنصب رئيس بلدية و المال و النفوذ، من بين أكبر التحديات و النقاط المتنافس عليها بين أبناء هذه العائلات. و بما أن منصب الرئيس في المجلس البلدي أو الولائي من بين هذه التحديات، فإن كل عائلة تسعى للفوز بشرف لقب الرئيس لإحدى هذين الهيئتين. و بغض النظر، عن مستوى أداء ممثل العائلة لهذا المنصب. و يتموضع المخيال الشعبي المحلي كمراقب لحيثيات هذا التنافس، لكن كلمته تبقى إلى حين يوم الإقتراع. و يسبق يوم الإقتراع مجموع آليات، غالبا ما تكون مبنية على الإشاعة و التجريح و سرد الخصوصيات العائلية و الشخصية لطرف على حساب أخر. و بما أن المخيال المحلي تهجم بصورة كبيرة، على شخص رئيس المجلس البلدي الحالي و إتهامه بسوء التسيير و الفساد. و تقدم هذا الأخير للترشح في نفس المنصب لعهدة جديدة، فضل التجمع الوطني الديمقراطي المراهنة على المجلس الولائي، و إعتماده إسما بديلا من بين احد أبناء أعيان المدينة و في هيئة أوسع صلاحية من البلدية و هي الولاية. و الأهم من هذا، قبول المجتمع المحلي بهذه الشخصية. فإدراك *لمقدم* الذي هو ابن احدى عائلات أعيان المدينة بحيثيات و تفاصيل تصورات المخيال الشعبي المحلي عن رئيس البلدية الحالي، إختار مسايرة الإتجاه العام السائد في المجتمع المحلي و عدم الخروج عن قاعدة المجتمع المحلي، أي دعم وجه جديد يترشح لرئاسة المجلس البلدي.

أما المرجعية الثانية التي بني عليها *لمقدم* موقفه و هو، معارضة رئيس البلدية الحالي منح رخصة بناء مقر جديد للزاوية بنفس المكان المتواجدة عليه قبل أن تهدم في جوان 2011. و هو الأمر الذي اعتبره *لمقدم*، احتقارا له و لعائلته و للماضيهم الديني الروحي. فبات في تصور *لمقدم* أن رئيس البلدية هو الخصم الأول للزاوية على المستوى المحلي.

و ثالث مرجعية اعتمدها *لمقدم* هو، إدراكه مدى الحجم الإجتماعي و السياسي لحزب التجمع الوطني الديمقراطي محليا و وطنيا، و قوة نفوذه السلطوي من خلال ترأسه للمجلس الولائي. فهو الهيئة الأكثر قربا من ديوان الوالي، و هكذا يكون قد ضمن نقل

إنشغاله لموضوع عقار الزاوية إلى أول مسؤول بالولاية، و هذا ما سيسمح بتعجيل حسم المشكلة نهائيا.

تعكس هذه القراءات الثلاث، ذكاء *لمقدم* و قدرته في الإحاطة على جوانب معينة من الحياة الاجتماعية المحلية. و بهذا يكون موقفه، مبني على معطيات الميدان و متطلبات رهانات الزاوية. و رغم إنحيازه لطرف على آخر إلا أن هذا الإنحياز، هو موقف محسوب له من طرف *لمقدم* و ليس موقفا اعتباطيا. بدليل انسياق *لمقدم* و مسايرته لمواقف المجتمع المحلي، الذي رفض إعادة إنتخاب رئيس البلدية الحالي.

3- صراع المشروعيات بين مشروعية الزاوية المدروسة و مشروعية الدولة:

التعرض للصراع الملاحظ بين الزاوية و الإدارة المحلية، يعود بنا إلى استعراض الوقائع التاريخية التي أنتجت هذا الصراع، الذي سيكون المحرك الخفي للموقف السياسي للزاوية في الانتخابات المحلية 2007/11/29.

بعد الزلزال الذي ضرب المدينة في أواخر ديسمبر 1999م، و هدم مبنى المؤسسة التربوية لمبنى ملائم للدراسة. وهذا ما جاء في قرار اللجنة الولائية التي تشكلت بعد الزلزال و مهمتها تعيين المواقع المهددة بالإنهيار، و قرَرت هدم المبنى بما في ذلك مقر الزاوية، الذي إعتبرته اللجنة جزءا من السكنات الوظيفية و ليس مقرا لزاوية و ترحيل العائلات المقيمة بهذه المساكن. وتضم هذه اللجنة رئيس المجلس الشعبي البلدي، و رئيس الدائرة، و رئيس المجلس الشعبي الولائي، و الأمين العام للولاية، كأعضاء فاعلين في هذه اللجنة.

تمت عملية الهدم في فبراير 2007م بإستثناء القاعتين اللتين يتواجد فيهما مقر الزاوية، الذي سلم من الهدم إلى غاية جوان 2011 حيث تم تفعيل قرار الهدم تحت إشراف والية الولاية، و هدم مقرها و ترحيلها مؤقتا في انتظار تسوية موضوع المقر نهائيا. و بعد مرور قرابة خمس سنوات منذ تاريخ الهدم، ظلت قطعة أرض شاغرة تضم القاعتين اللتين يتواجد فيهما مقر الزاوية، كما سلف ذكره أيضا. (صورة 01 التي تبين مقر الزاوية بمدينة عين تموشنت بتاريخ 16-10- 2010).

إذ أمام هذه الوقائع و موقف الزاوية الرافض للإخلاء، الذي كان ينظر لقطعة الأرض المشيدة عليها الزاوية جزء من الهوية الدينية لها.

إذا فكيف سيُسير *لمقدم* صراعه مع سلطة اللجنة المكلفة بتعيين مواقع الهدم؟، و هل كان لأي حزب من الحزبين الفاعلين، جبهة التحرير الوطني و التجمع الوطني الديمقراطي، دورا خفيا أو علنيا وراء الزاوية؟، و أين هو تمركز حزب جبهة التحرير الوطني و التجمع الوطني الديمقراطي؟

حسب الملاحظة الأولية، تبين أن الساحة السياسية المحلية لاسيما المنتخبة أي المجلس الشعبي البلدي و المجلس الشعبي الولائي. منقسمة إلى مجموعتين بشأن الاعتراف بوجود الزاوية المراد دراستها رغم أنـها معتمدة رسميا منذ سنة 2006م.

فالمجموعة الأولى التي يترأسها رئيس المجلس الشعبي البلدي المنتمي لكتلة حزب جبهة التحرير الوطني، تتحفظ على وجود الزاوية مستندةً إلى حجة أنها لم تختزن ولم يأت ذكرها في الذاكرة الجماعية. باعتبار أن عامـة النـاس من السكان الأصليين لا يذكرون وجود زاوية في الماضي موجودة بهذا المكان، و كل ما يحتفظون به في ذاكرتهم أن تأسيسها يرجع لفترة الثمانينات أو التسعينات، أي الفترة التي بدأ فيها *مقدم* الزاوية نشاطاته لإعادة إحياء الزاوية. و موقف هؤلاء راجع للصورة التاريخية التي يحتفظون بها في مخيلتهم، و التي تتذكر وجود مركز للنشاطات الحرفية في هذا المكان يعود تأسيسه إلى الفترة الاستعمارية، و لا يذكرون ما كانت عليه قبل الفترة الاستعمارية، و هذا راجع إما لجهلهم لتاريخ المكان و المدينة عموما، أو لأنهم يتعمدون حصر صورة المكان في الحقبة الاستعمارية.

و يرجع موقف هذه المجموعة الأولى التي يمثلها رئيس المجلس الشعبي البلدي، و هو عضو باللجنة المكلفة بتعيين مواقع الهدم من عدم الإعتراف بالزاوية، هو اعتبار موقف *لمقدم* الرافض للإخلاء كعائق يقف في وجه التنمية المحلية. باعتبار أن الأرض المقامة عليها الزاوية تابعة للبلدية، و ستُبرمج عليها مشاريع سكنية ترقوية للصالح العام.

أما المجموعة الثانية يقودها رئيس المجلس الشعبي الولائي و المنتمي لكتلة التجمع الوطني الديمقراطي، تقر و تعترف بوجود الزاوية. بحجة أنها معتمدة رسميا من طرف إدارة مديرية تنظيم الشؤون العامة، و أنها تنشط في إطارها القانوني المحدد لها، و لم تخرج عن الهدف الأساسي الذي أنشئت بموجبه، و الذي يأخذ بعين الاعتبار تحقيق المنفعة العامة المحلية. لذا لا جدوى من الخوض في أمر وجودها التاريخي من عدمه، بل يجب على الأحزاب الممثلة في المجالس المحلية المنتخبة، أن توفر لها الدعم المعنوي و اللوجستيكي، من أجل تفرغها لخدمة طلبة القرآن والقاصدين إليها من عابري السبيل و المحتاجين لطلب المساعدة، و اعتبارها طرف فاعل في المجتمع المدني.

فأمام هذه الوضعية بين مؤيد و معارض بوجود الزاوية، أدرك *مقدم* الزاوية حجم التحديات و الرهانات و الحسابات السياسية المحلية، بين حزب جبهة التحرير الوطني و التجمع الوطني الديمقراطي. فكيف سيستثمر في هذا التنافس السياسي المحلي من اجل خدمة قضيته الجوهرية لصالحه، و هي عقار يقام المقام عليه مبنى الزاوية؟ .

من خلال إعلان موقف *لمقدم* المساند لحزب التجمع الوطني الديمقراطي في الإنتخابات المحلية من اجل خدمة قضيته الأساسية، و هي الترخيص ببناء مقر يكون ضبط اختياره لصالح حزب على آخر. و الموقف السياسي *للمقدم* لا يخرج عن مجموع الآليات و الإجراءات الأنثروبولوجية، التي يتبعها من اجل تقوية مركزه محليا. و هذا التموضع في مركز القوة المحلية قد يفتح الباب للزاوية، من اجل إعادة النظر في تركيبة الزوايا بالمنطقة. و عدم التحيز لزاوية على حساب أخرى، و هذا ما يمثل تنافسا رمزيا على مراكز القوة و النفوذ بين مختلف الزوايا بالمنطقة. و بالتالي تكون هذه الخطوة، بمثابة نجاح رمزي يتمثل في الفوز و الظفر بوضعية اجتماعية محلية مرموقة أكثر مما هي عليه محليا.

كما نلتمس في موقف *لمقدم* نوعا من التحدي، و يسانده رئيس المجلس الشعبي الولائي و الذي يعتبر نفسه في موضع قوة. باعتبار أنه صاحب حق مهضوم، لأن السلطة الإدارية للجنة الولائية لتعيين المواقع المهددة بالإنهيار، و من ورائها المجلس الشعبي

البلدي تريد تجريد الزاوية من ممتلكاتها المادية المتمثلة في العقار. ويكمن هذا التحدي قي عدم خضوع الزاوية مبدئيا لقرار اللجنة، التي تعتبر قراراتها من الجانب القانوني ملزمة التنفيذ مباشرة بعد صدور القرار، بمدة زمنية محددة في القرار نفسه. لكن الملاحظ انه وبعد مرور ست سنوات من هدم الإكمالية، بقيت القاعتين اللتين تستخدمان كمقر للزاوية، و لم يتم هدمهما الإ في جوان 2011. و هذا التحدي المتمثل في مماطلة قرار اللجنة، هو سبب صراع الزاوية ضد اللجنة وقرارها.

نستخلص من هذا الصراع، تنافس سياسي بين حزب جبهة التحرير الوطني، و التجمع الوطني الديمقراطي. حيث انه لا يتخذ طابع المواجهة المباشرة بينهما، بل كل حزب يقف وراء طرف من طرفي الصراع المباشرين، وهما الزاوية من جهة و اللجنة الولائية لتعيين مواقع الهدم من جهة أخرى. كما أن ميزة هذا الصراع لا يأخذ طابع الصراع بين مؤسسات بل هو صراع أكثر منه ارتجالي، بين شخصي *لمقدم* و رئيس المجلس البلدي. و الدليل على هذا في حديث *لمقدم* عن حيثيات الصراع، لا يسمي المجلس البلدي و إنما يسمي رئيس المجلس دون سواه، هذا من جهة. و من جهة أخرى فإن المجلس البلدي يضم في صفوفه أحزابا تساند الزاوية و هو حزب التجمع الوطني الديمقراطي. كما ذكر سابقا.

فلو كان صراعا بين مؤسسات لوقف حزب التجمع الديمقراطي، و المشارك أيضا في المجلس البلدي إلى جانب رئيس المجلس و لا يقف إلى جانب الزاوية. و هذان المؤشران هما دلالة قوية، في لعب الجانب الشخصي دور حاسم في هذا الصراع.

و يعكس هذا الطرح المشهد العام للقوة و النفوذ الذي يتمتع به الديني التقليدي، حتى على تحدي قرار مشروعية الدولة و لو مؤقتا.

ويمكن تقديم موضوع الصراع و أطرافه، في شكل مخطط تقريبي على النحو التالي:

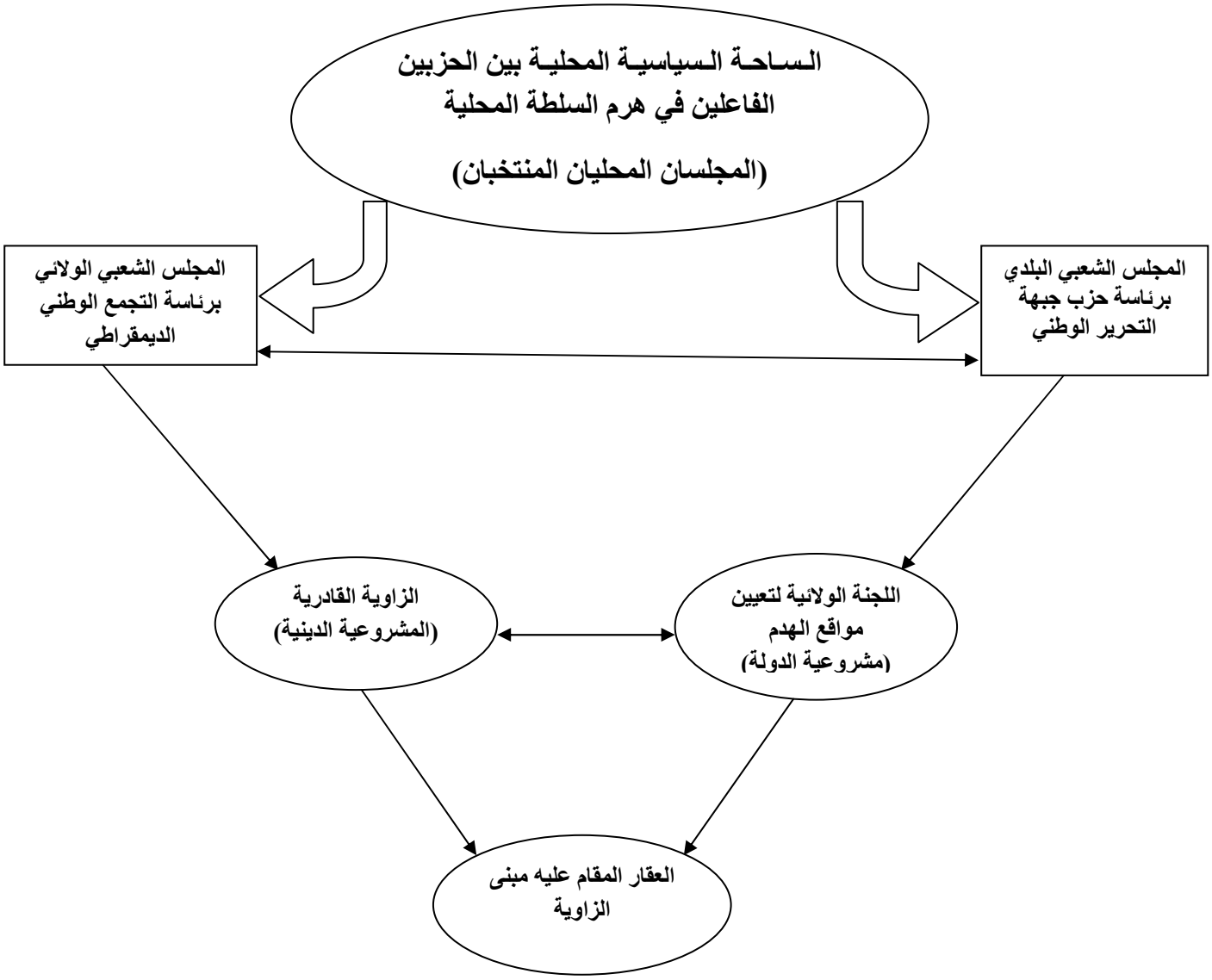

مخطط يظهر صراع مشروعية الزاوية ضد مشروعية الدولة (اللجنة الولائية لتعيين مواقع الهدم)، تحت غطاء الأحزاب السياسية المحلية.

4- موقف الإدارة المحلية من الزاوية المدروسة:

أمام تماطل موقف الزاوية لقرار سلطة اللجنة الولائية لتعيين المواقع المهددة بالانهيار، رفعت هذه الأخيرة تقريرها للوالي باعتباره المسئول الأول عنها، الذي أبدى نوعا من الحكمة و التعقل لمعالجة الأمر. فكان موقف هذا الأخير يميل إلى التفاوض مع الزاوية، و عدم الدخول معها في مواجهة مباشرة. و هو موقف يدل أن شخص الوالي يدرك القوة الرمزية التي تتمتع بها الزاوية من جهة، و إدراكه أكثر للنفوذ الواسع الذي أصبحت تتمتع به مؤسسة الزاوية عموما من جهة أخرى.

جرت المفاوضات عن طريق وسيط يمثل الوالي هو الأمين العام للولاية، و لم يلتق *لمقدم* بالوالي إلى أن تم تحويله لولاية أخرى. فإقترح الأمين العام للولاية على *لمقدم* سكنين من نوع (F4)، لكنه رفض بحجة أنهما تقعان في حي شعبي التصقت سمعته، بمختلف أنواع الإنحراف و الإنحلال الخلقي. ثم اقترح الأمين العام للولاية *للمقدم* قطعة أرض خارج المدينة بحوالي 20 كلم، لبناء الزاوية الجديدة، فوافق *لمقدم* أمام الضغوطات الممارسة عليه من عدة أطراف أرندوية. و ذهب لمعاينة المكان لكن عملية الإستفادة عرفت بُطئا شديدا، نظرا لأن أمر الإستفادة يجمع بين عدة هيئات إدارية، و في هذه الفترة تم تحويل الوالي، و هو يسعى حاليا لتفعيل هذا القرار.

و مع مجيء الوالي الجديد، و الذي بدوره لم يقم بأي خطوة أمامية ترمي لتغيير مكان الزاوية. و بدأت الأمور تعرف انفراجا خلال شهر رمضان 2010م الفارط، حيث قام *لمقدم* بتوسعة مدخل الزاوية، و إضافة ما يقارب 100م^2 و ضمه لمحيط الزاوية، و تم سياجتة بصفائح من الزنك. و هي تعتبر خطوة رمزية مهمة، دلالة على انفراج أزمة العقار بين الزاوية و الإدارة المحلية و بدأ يعرف طريقه للحل النهائي.

و مع قدوم الوالية الجديدة و التي كانت اكثر جرءة من سابقيها، قررت هدم مقر الزاوية تطبيقا لما جاء في قرار اللجنة الولائية لتعيين مواقع الهدم، بعد خمس سنوات من صدور القرار. و بداية إنطلاق أشغال إنجاز، مجمع سكني ترقوي و تجاري في المكان المهدوم.

و يجري *لمقدم* حاليا سلسلة إتصالات مع مختلف الهيئات الدينية النافذة للبلاد من شيوخ زوايا، للضغط على السلطات المحلية و إعطاءه البديل، كتعويضه بقطعة أرض لبناء مقر جديد للزاوية. و وعدت السلطات المحلية بضرورة تسوية أمر الزاوية من خلال منحه قطعة أرض جديدة لبناء مقر جديد للزاوية، و علق *لمقدم* نشاط الزاوية حاليا إلى غاية تسوية قضية العقار الجديد. و قد ستشهد الأيام المقبلة، تطورات حاسمة في مصير مقر الزاوية.

من بين مجموع العلاقات التي تربط الزاوية بمختلف الهيئات الإدارية المحلية، ما جرى *للمقدم* مع قطاع الثقافة الذي نظم ملتقى وطنيا حول الفكر الصوفي ماي 2010. و كان بالتنسيق مع الزاوية الجازولية و دام يومين. و اختتم فعالياته بمقرها بحضور الوالي و رئيس المجلس الشعبي الولائي، و بعض الممثلين عن المدراء التنفيذيون للولاية و المنتخبين المحليين.

كما اندهش *لمقدم* لموقف رئيس المجلس الشعبي البلدي لعين تموشنت و استحسنه، لأنه لطالما اعتبر رئيس البلدية هو المعرقل الأول لمشروع تهيئة و ترقية الزاوية. و هذا ما يؤكد أن العلاقات الإنسانية لا تخضع لمنطق يحددها، فقد تتأثر بمتغير غير مرئي و غير متوقع، و يمكن حصر هذا الموقف في خانة التضامن الحاصل بين "*ولاد لبلاد*". خاصة في حضور الغريب "*لَبرَاني*"، فتتنحى الصراعات جانبا و يتولد مكانها تضامنا ظرفيا، قد يكون بادرة تغيير العلاقات إلى الأحسن في المستقبل. أو قد يكون موقف رئيس المجلس الشعبي البلدي نابعا عن التمثيل الإقليمي للزاوية التي تمثل بلدية عين تموشنت، أو يكون تغير موقفه نتيجة حسابات سياسية، كاستمالة الزاوية في المواعيد الإنتخابية القادمة.

5- العلاقة التقليدية:

القصد من دراسة هذا العنصر هو تسليط الضوء على طبيعة العلاقة التي تربط *لمقدم* بمختلف الشركاء الاجتماعيين، سواء كانوا شركاء دينيين إسلاميين أو شركاء سياسيين أو إداريين.

و مفهوم العلاقات التقليدية سيتم تناوله من جانب الفاعلين لهذه العلاقة أي علاقة المؤسسات، و بمعنى أدق بناء علاقة الزاوية مع أي شريك اجتماعي آخر. أي البحث في العناصر الفعلية التي تساهم في تكوين هذه العلاقات على مستوى القاعدة. و تتأسس هذه العلاقات على القيم، التي تكون المعيار المحدد لبداية تشييد اللبنة الأولى لهذه العلاقة.

من بين أقوى العوامل التي تؤسس للعلاقة، حضور عامل النسب أو العامل المكاني أي " *ولاد لبلاد*". عكس العلاقات التي تنبني بين المؤسسات على أسس عصرية، و التي تستند لمعايير قانونية كالإتفاقيات التي تحدد فيها حقوق و واجبات كل طرف. فالجانب الرمزي أو القيمي (القيمة) لهذه العلاقة كالنسب أو " *ولاد لبلاد*" ، يستمد مصدره من الإرث العُرفي لمجتمعاتنا، و هذا ما جعلها تنفرد بالخاصية التقليدية و تأخذ اسمها. و نقطة تلاقي العلاقة التقليدية بالعلاقة العصرية هي تحقيق المصلحة، فكل طرف من العلاقتين يسعى لتحقيق مصلحته على حساب الطرف الأخر، و لا تتحقق هذه المصلحة إلا بتعاون و تضامن أو حتى صراع الطرفين.

و تأكيدا للدور الكبير الذي يلعبه هذا العامل، " *ولاد لبلاد*"، ما بدر من رئيس المجلس الشعبي البلدي لعين تموشنت، في أثناء فعاليات الفكر الصوفي الذي نظمه قطاع الثقافة للولاية، و الذي أشار على اللجنة المنظمة بضرورة استدعاء *لمقدم*. و كترجمة لموقف رئيس البلدية الذي يَظهر خارجيا، طرفا معارضا لوجود الزاوية، و ينقلب على موقفه كلية مدافعا عليها. فهو موقف يحمل في ثناياه بوادر إعتراف ضمني بالزاوية من الجهة التي أنكرت وجودها. و قد لا يخرج هذا الموقف عن إطار التنافس السياسي المحلي، بين الحزبين الفاعلين أكثر من غيرهما على هرم السلطة المحلية، و هما حزبي التجمع الوطني الديمقراطي و جبهة التحرير الوطني. كما ذكر سابقا.

إضافة إلى الخطر الذي أصبح يشعر به أعيان المدينة " *ولاد لبلاد*"، في الوسط المحلي من الغرباء الذين أصبحوا يستقرون بالمنطقة، سواء كتجار أو رجال أعمال أو إداريين انتهت فترة مهامهم بالولاية، لكنهم فضلوا البقاء بالمدينة مع أسرهم. فولد ت هذه الحالة في نفوس" *ولاد لبلاد*" ، حالة من القلق على مستقبل أبناء " *ولاد لبلاد*" و هذا ما دفعهم للتضامن و إعادة صياغة علاقاتهم من جديد. و ترك صراعات الماضي على الأساس

المكاني " *ولاد لبلاد* "، و على أساس روابط القرابة التي تجمعهم من المصاهرة، و لذا فان موقف رئيس البلدية لا يكاد يخرج عن هذه القاعدة. و دفع هذا الموقف أبناء أعيان عائلات المدينة، إلى تأسيس جمعية تضمهم تسمى " *رجال لبلاد* ". و دأبت هذه الجمعية في لم شمل " *ولاد لبلاد* "، و إعادة إحيائهم لوعدة " *رجال لبلاد* "، و التي أصبحت تقام سنويا في شهر سبتمبر من كل سنة.

فانفراد السلطات المحلية التنفيذية الولائية، بمعاملاتها شبه الدائمة مع الزاوية الجازولية بمنطقة ولهاصة، و جعلها قطبا و مركز قوة و نفوذا روحيا و إداريا رمزيا. و وعي شخصية رئيس البلدية بحجم القوة و النفوذ الذي أصبحت تتمتع به الزاوية الجازولية، يمكن من هذا ما جعل رئيس البلدية يغير موقفه و يعلن مساندة الزاوية و لو بصفة سلوكية، تحمل في دلالاتها رموز الاعتراف الضمني. فضرورة تحويل مركز القوة و النفوذ الديني من ولهاصة إلى مدينة عين تموشنت أصبح مسألة واردة، و أول درجة هذا التغيير الديني يكون بترخيص الزاوية ببناء مقر جديد عصري و ملائم، لإستقبال الشخصيات المهمة سواء المحلية أو الوطنية في مقر يليق بمقامهم. و بالرغم من وجود زوايا أخرى بمدينة عين تموشنت، فإنها تبقى زوايا مناسبات أكثر منها زوايا دائمة الظهور طوال السنة. عكس الزاوية المدروسة، التي استطاعت أن تفرض وجودها كمؤسسة دينية في المجتمع المحلي، عن طريق نشاطاتها الدينية و الإجتماعية و السياسية.

6- الزاوية الإنبعاثية:

صنف "نجيب مهتدي"، في كتابه « Pouvoir et religion au Maroc»، المكانة السياسية للزاوية إلى قسمين: زاوية متحولة و زاوية متوقفة.

"فالزاوية المتوقفة هي بنية لا تعني أنها جامدة، بل شهدت تغييرات داخلية، دون المساس بقالبها الخارجي (...) و هي تكبر و تتطور في حدود مسارها المُخطط له من قبل (...) و من مظاهر التغيير الداخلي، أن تُدخل بعض التغييرات على الورد (...) و هي على هذه الوضعية، إلى غاية بداية تفكير هذه الزاوية، بإعادة تموقعها اتجاه الزوايا الأخرى، و

باتجاه السلطة السياسية و تنتج وعيا جديدا لها"[213]، و مع هذا التحول تصبح الزاوية متحولة.

أما "الزاوية المتحولة فهي لا تعني القطيعة، بل تحافظ على شكلها الأوَلي لكنها تحاول التأقلم مع ظروف و حالات محددة، أو تعتاد على اتجاهات جديدة، و في بعض الأحيان خارجية (...) و لا يخرج نطاق و مجال فعلها عن دائرة اهتمام السلطة السياسية."[214] كما رايناه سابقا.

فأين محل الزاوية المراد دراستها، من هذين التصنيفين؟. أم لها ظروف خاصة بها تصنفها في خانة الزاوية الإنبعاثية؟. و هذا التصنيف الثالث هو الذي صاغته الدراسة، و ستعتمده كمصطلح يميز الزاوية المراد دراستها.

من خلال العرض السابق و الذي حاول أن يظهر الجوانب المرئية و المخفية للزاوية موضوع الدراسة، و التي تحمل في طياتها خصوصية تتمثل في إعادة بعث نشاطها من جديد بعدما اختفت كلية من الساحة الاجتماعية المحلية. و هذا ما يميزها عن باقي الزوايا المتواجدة بالمنطقة. و تصنفها هذه الخصوصية في خانة ما اصطلحت عليه الدراسة بالزاوية الإنبعاثية. فما هو هذا النوع؟ و هذا ما سيتم الإجابة عليه في هذا العنصر.

مفهوم الزاوية الإنبعاثية هي التي أعادت صياغة آليات جديدة لإعادة بعث كيانها من جديد، في ظل مسايرتها لمتطلبات الوقت الراهن أي الظروف السياسية العامة المشجعة. فظهرت للوجود بعد اندثارها كليا بسبب ظروف تاريخية خارجية و أنتجت لنفسها ماضي تصوفي مبني على الشفوية، بسبب الغياب الكلي لمصادر مادية مكتوبة تحدد هويتها التصوفية الداخلية كالطريقة المتبعة أو الورد الخاص بها. و بعد ما ذابت عناصرها في عمق نسيان المخيلة الشعبية المحلية عبر الزمن الغابر، أعادت تركيب عناصرها و انخرط عنصرها الروحي تحت لواء منهاج تصوفي يعطيها المشروعية التصوفية، ليتقبلها المجتمع المحلي في صورة المؤسسة التصوفية الطُرقية و في الزمن الراهن. و بعد مرحلة البناء الرمزي و تقوية هياكلها داخليا، تأتي علاقاتها الخارجية كإجراء يعزز بناءها الروحي لاسيما مع السلطة السياسية، فهي تشترك و تسير وفق مسار الزاوية المتحولة،

[213] Najib MOUHTADI, Op.cit. p.58.
[214] Ibid.

الرابضة تحت لواء طاعة السلطة السياسية. فهي سيرورة لإجراءات معقدة عبر الزمن، و في فضاء محدد.

و جاءت هذه الخلاصة كنتيجة للتجربة الفريدة التي عاشتها الدراسة، أثناء مراحل الإشراف على البحث في الميدان، و هي لا تعكس بصفة دقيقة الحقيقة المعقدة للزاوية موضوع الدراسة.

كما أن هذه الخلاصة جاءت لتحقق في ما مدى تطابق نموذج نجيب مهتدي، الذي صنف المكانة التي تحتلها الزاوية في الحقل السياسي إلى صنفين، زاوية متحولة و أخرى متوقفة، في كتابه: « pouvoir et religion au Maroc » ، على الزاوية موضوع الدراسة. لتتصادف الدراسة بنوع آخر من الزوايا من حيث بُنيتها و تموضعها حسب المكانة التي تحتلها في الحقل السياسي المحلي، و هي لا تعتبر كمحاولة تأطير مفهوم نظري بل هي مجرد ملاحظة أفرزها الميدان الغني بأسراره.

- **<u>خلاصة الفصل:</u>**

لا يُظهر هذا العرض المختصر للجانب السياسي من الزاوية المدروسة، الواقع السياسي المعقد مع مختلف الأطراف السياسية الفاعلة على الساحة المحلية. و لن يتضح هذا الواقع بصورة شاملة إلا إذا تمت دراسته عبر محطات سياسية تاريخية، لذا فإن هذا الجزء المُتطرق إليه في البحث ما هو إلا جانب مختصر من علاقة تشابك الديني الصوفي بالسياسي على المستوى المحلي.

تسجل المواقف و الجوانب السياسية التي أقدمت عليها الزاوية إجراءا ماديا يعزز و يقوي، مكتسبات الإجراءات الرمزية الروحية، و الذي يدخل في إطار عملية البناء الرمزي للزاوية لمواجهة أي خطر يتربص وجودها بالأساس. إن *لمقدم* عازم كل العزم على عدم التخلي عن رمزية الإرث، الذي تركه جده المؤسس للزاوية لعائلته من بعده و بالتالي فان *لمقدم* لن يتكاسل في استخدام أية آلية يجدها عونا له و تعزيزا لقوة الزاوية.

يبدو ظاهريا أن الزاوية المدروسة خسرت التحدي الأكبر لها و المتمثل في بناء مقر جديد للزاوية على العقار الذي كانت عليه قبل أن تُهدم بتاريخ جوان 2011، حيث كانت تصر الزاوية في بداية 2007 على بناء المقر الجديد في ذات العقار، لكن و بعد مرور

الوقت انخفضت حدة لهجتها، لأن *لمقدم* أخذ بالمنطق العام الذي يرى في وجوب وجود مؤسسة زاوية سيد أحمد دومة، سواء في العقار الذي كانت فيه قبل أن تهدم في جوان 2011 أو بنائها في عقار آخر، لأن الأهم هو بقاء وجود زاوية سيد أحمد دومة و عدم اندثارها مرة أخرى. لدى فإن باطن الأمور تُظهر أن الزاوية، قد كسبت رهانها و المتمثل في وضعيتها كزاوية مؤسسة دينية اجتماعية، و هذا ما اصطلحت عليه الدراسة بالزاوية الإنبعاثية.

الخاتمة

➢ خاتمة عامة:

تعرف مسائل و مشكلات التغيير، إقبالا بحثيا علميا واسعا في العشرية الأولى من القرن الواحد و العشرين، فبات أي موضوع يعالج إشكالا ما إلا و تطرق للجوانب التغييرية فيه، فأصبحت مواضيع التغيير من مواضيع الموده العلمية فإكتسحت مسائله كل المجالات العلمية من دون استثناء. فمن العلوم الطبيعية و التي بدأ علمائها في البحث عن أسباب التغيير المناخي و ما يترتب عنه من إنعكاسات مباشرة على الإنسان و الحيوان و النبات، وصولا إلى نتائج هذا التغيير المناخي في تهديد الأمن الاقتصادي و السياسي للمجتمعات، و إلى العلوم الاجتماعية التي حادت حذو نظيرتها الطبيعية فمالت مواضيع العلوم الإجتماعية إلى دراسة و قياس مؤشرات و درجة التغيير، التي مست المجتمعات المدروسة بما فيها الأنثروبولوجيا. و التي تهتم بدراسة النظام الإجتماعي الفسيفسائي أو الدراسة الميكروسكوبية كما يسميه غيرتز في كتابه ملاحظة الإسلام[215]، و تهتم بدراسة مظاهر التغيير على مجتمع صغير، بهدف الوصول لنتائج تكون قاعدة الدراسات السوسيولوجية لتعميم هذه النتائج على نطاق أوسع و أكثر شمولية.

لقد سمحت الدراسة الوصفية و التحليلية لهذا الموضوع، بإبراز التعقيد الانثروبو-سوسيولوجي و التاريخي للواقع التأسيسي لهذه الزاوية، عندما يتعلق الأمر بإدراكه في جوانبه الإجتماعية المختلفة.

وبما أن هذه المحاولة البحثية هي دراسة حالة لزاوية سيدي احمد دومة القادرية فإن نتائج هذا العمل تخص الزاوية المدروسة، و سيكون من الصعب تعميم النتائج المتوصل إليها على زوايا منطقة عين تموشنت.

كما سمحت هذه المحاولة بإبراز مختلف وجوه هذا الواقع، و سمحت بالخصوص تسليط الضوء على الإرتكازات التأسيسية للزاوية القادرية بعين تموشنت، عبر مرحلة تاريخية تمتد من أواخر الثمانينات إلى أواسط سنة 2011م.

---

[215] Clifford GEERTZ, *Observer l'islam*, La Découverte *: changements religieux au Maroc et en Indonésie,* traduit de l'anglais par Jean-Baptiste Grasset, Ed. La Découverte, Paris1992, p.13 .

تسجل المحاولة البحثية لموضوع الدراسة ضمن هذا النسق العام، و التي جاءت لفهم ديناميكية الظاهرة الثقافية (الزاوية)، في إعادة الإنتاج الفعلي للآليات والدوافع المحركة، لإعادة بعث الحياة للزاوية كمؤسسة دينية اجتماعية. أي البحث في ماهية المشروعيات الأنثروبولوجية المتمثلة في الجانب الروحي و المادي، و ما تحمله هذه المشروعيات من رموز و دلالات.

عالجت الدراسة نموذج لمؤسسة تقليدية و هي الزاوية، من خلال تحليل أسسها الأنثروبولوجية. و المتمثلة في الأساس التصوري و الأساس الخطابي، ثم الأساس الممارس. و حددت هذه الأسس كمؤشرات، و أول مؤشر هو تصور المشروعيات التأسيسية الروحية الرمزية، بالإضافة إلى المشروعيات المادية و المتمثلة في الجانب الإداري، التي اعتمدتها الزاوية على بنائها الرمزي.

و من الآليات الروحية الرمزية نجد: مشروعية النسب الشريف، مشروعية البرهان، مشروعية التوارث، مشروعية العلم، مشروعية البركة و مشروعية الطُرُقية أو النهج التصوفي، فمجموع هذه الإجراءات هي التي اعتمدتها الزاوية لصياغة جوهرها التصوفي. و مجموع هذه الآليات هي تكريس للمشروعية الإسلامية التصوفية، و بهذه المشروعية تُحدد و تُصنف الزاوية كمؤسسة دينية الإنتماء. حدد كوبلاني و ديبون مستويات مشروعيات الرجل الصالح أنها تستند إلى ثلاثة مستويات: مشروعية النسب الشريف، و مشروعية العلم بالكتاب و السنة، و مشروعية المعجزات. كما ذكر سابقا. و حال الزاوية المدروسة يُظهر تعدد و تعقد مرجعيات المشروعية التأسيسية، و هذا ما يُؤشر للمستوى التغييري الذي عرفه الجانب التأسيسي في الزاوية الحالية. و خاصية هذه الآليات هو اعتمادها على الشفوية كمصدر تستلهم منه الزاوية ماضيها، فهو في حد ذاته آلية دفاعية لأنه يقوم بإستخراج مرجعية الماضي لإستهلاكها في الحاضر و من دون دليل، و بالتالي هو عملية انتقاء لهذه الذكريات التي تحتمل الصواب و الخطأ عكس الكتابي الجامد، أما المشروعية المادية الإدارية، فهي مجموع الإجراءات التي اتبعتها الزاوية لتثبيت وجودها الرسمي، ضمن قالب القوانين التي تُسير مثل هذه المؤسسات. و

من مجموع هذه الإجراءات الإدارية المتبعة نجد: الجمعية الولائية زاوية شيخ احمد دومة و الجمعية الوطنية للزوايا.

و المؤشر الثاني فهو الأساس الخطابي و يعني الخطاب الذي تنتجه الزاوية و تقدمه لمريديها من خلال البحث و الكشف عن رموزه الصوفية، و يعتمد الأساس الخطابي للزاوية على المبدأ الرباني المتمثل في إستخدام أبجديات الخطاب الإسلامي، لاسيما الخطاب الصوفي المعتمد على آليات البركة و المعجزات التي تتمتع بها هذه المؤسسة. و تتجلى مدى ربانية الزاوية في الكرامات التي يخصها الله بها كثواب من عنده، و تنعكس هذه الكرامات في مدى إقبال المؤمنين بها ذكورا كانوا أم إناثا، و مدى إنتفاعهم بهذه الكرامات يكون حسب درجة ايمان هؤلاء المريدين على الزاوية و لشرفائها بنية خالصة.

أما المؤشر الثالث فهو الأساس الممارس و هو ترجمة للأساس الخطابي الذي تنتجه الزاوية لنفسها، و هذا حتى لا تتناقض أقوالها مع أفعالها و إذا حدث هذا التناقض فسيترتب عنه انعكاسات سلبية وخيمة تهدد المستقبل الوجودي للزاوية بأكمله. و إذا حدث العكس، أي تطابق الأساس الخطابي بالأساس الممارس فهو انعكاس فعلي ايجابي على المستقبل الوجودي للزاوية، من خلال توسع قاعدتها الزبونية التي تعتبر مصدرا لرقي القيمة الرمزية للزاوية، و عاملا اقتصاديا يساهم بطريقة مباشرة في تحسين الوضعية المالية للزاوية حتى تستطيع تلبية حاجاتها و حاجات القاصدين إليها للمبيت و الإطعام.

و كتعزيز للمكتسبات الفعلية الممارسة للزاوية على أرض الواقع جاءت مواقفها السياسية، التي بنتها على أسس فعلية تقليدية تتخذ من العامل المكاني " *ولاد لبلاد*" قيمة محركة لتقوية علاقات الزاوية بمختلف الشركاء الإجتماعيين. فهذه العلاقات جزء مكمل لعملية البناء الرمزي في جانبه المادي الذي تقوم به الزاوية، ففي ظل ظروف سياسية مشجعة و مساعدة، لإسترجاع الدور الفعلي للزوايا التي تم إستئصالها عبر ظروف تاريخية خارجية، و ظروف سياسية داخلية في حضن الدولة الوطنية. إغتنمت الزاوية فرصة الظروف المشجعة لتتموضع في خانة الزاوية الإنبعاثية، التي سايرت هذه الظروف لتعاود إستأناف نشاطها و بعث كيانها الروحي كمؤسسة روحية- دينية و اجتماعية.

عرفت الدولة الوطنية عدة تحديات تمليها ظروف داخلية تارة وخارجية تارة أخرى، فوعي السلطة السياسية الحاكمة لمدى هذه التحديات، يجعل من هذه السلطة السياسية تراهن على استراتيجيات ترى فيها حلا لمعضلة اجتماعية ما. و ظهرت في العشرية الأخيرة، إستراتيجية الزاوية كمؤسسة منتوج خالص لخصوصية مجتمعنا و التي من شأنها أن تلعب دورا فعليا على مستوى القاعدة، و لن يتحقق هذا الدور إلا بتضامن السلطة السياسية معها. و ها ما حصل من خلال تشكيل، الجمعية الوطنية للزوايا و الإتحاد الوطني للزوايا و رابطة المحافظة على الإرث الصوفي.

تعي الزاوية حجم هذه التحديات، و يظهر وعيها في سلوكيات شخصية *لمقدم*، الذي وظّف مختلف الآليات كإستراتيجية تتبعها الزاوية، من اجل إعادة بعث كيانها كمؤسسة دينية تتبع طريق تصوفي محض.

و إعادة بعث الكيان ما هو إلا عملية بناء رمزي، يدخل في تقوية دعائمه مجموع الإجراءات أو الآليات الروحية الرمزية، و المادية الإدارية و المواقف السياسية. فما هي إلا إعتبارات فعلية قاعدية تنسج خيوطها على أرض الواقع لخدمة مصلحة الزاوية. من خلال فرض كيانها كمؤسسة تصوفية، لتفوز بمكانة وجودية في تصور المخيال الشعبي المحلي من جهة، و بثقة السلطة الساسية المحلية من جهة أخرى. و هذا ما يساعد الزاوية بإنتاج وضعية اجتماعية مرموقة لنفسها أحسن مما هي عليه حاليا، و قد يصنفها هذا التصاعد في سلم القيم الإجتماعية و الدينية إلى مرتبة الأعيان الدينيين للمنطقة.

و في حالة الزاوية المدروسة لن تتحقق هذه المكانة إلا إذا دعمت مكتسباتها الرمزية الروحية و المادية بعامل مهم و حاسم و المحدد المباشر لبنائها و وجودها ألا و هو عامل العقار أو قطعة الأرض التي كانت مبنية عليها الزاوية قبل هدمها في 2011، و التي تحمل في طياتها و أبعادها رمزية دينية توارثية، تتمثل في بركة الأجداد التي ورثها الأحفاد. لكنها تراجعت عن نفس العقار لتُعوض بعقار في مكان آخر، و يُظهر هذا قوتها على التأقلم مع مختلف المعطيات لمسايرة مصالحها العامة و هو ضرورة عدم اندثارها من الساحة الدينية للمجتمع المحلي.

فمن مجموع هذه النتائج المتوصل إليها نستخلص، مسايرة الزاوية لرهانها الأساسي ضد السلطة السياسية المحلية و المتمثل في العقار لمدة خمس سنوات، و حتى إن لم تبق في مقرها الذي هُدم في جوان 2011، إلا أنها إستطاعت أن تنتج لنفسها قالبا مؤسساتيا في شكل زاوية كمؤسسة دينية- اجتماعية. فالزاوية لا تملك إرادة الرجوع لنقطة البداية، و التنازل عما حققته منذ ثلاثين سنة خلت. و هذا ما يعكس القوة و النفوذ الذي تتمتع به الزاوية المدروسة رغم حداثة نشأتها، و هذا ما يؤكد انعكاس السياسية العامة للبلاد المتفتحة على الزوايا، و انعكس هذا على زاوية الوسط المحلي أي انعكاس العام على الخاص. و تجلى هذا الإنعكاس في صورة الزاوية الباحثة عن إعادة بعث كيانها، و نشاطها كزاوية إنبعاثية ولدتها الظروف السياسية المواتية. فمساندة السلطة الساسية العليا في البلاد للزوايا، جعل منها مؤسسات قوية محليا.

و يظهر جليا أن عملية تأسيس زاوية، هي سلسلة من الإجراءات التي يتبعها القائم الأول على شؤون الزاوية. فعملية البناء الرمزي للزاوية هي مجموع المشروعيات التي يعتمد عليها مؤسس الزاوية، من اجل تثبيت مؤسسته في الوسط المحلي و على المخيال الشعبي. و لا تستكمل عملية البناء الرمزي، إلا بتظافر و اجتماع عامل البناء الفيزيولوجي للزاوية المتمثل في أرض أو عقار ملك للزاوية أي المقر. و اتمام عملية البناء الرمزي بعامل البناء الروحي، أي إنخراط الزاوية تحت لواء احدى الطرق الصوفية المنتشرة عبر أنحاء العالم الاسلامي. و يسمح هذا الإنخراط باكتساب الزاوية للهوية الروحية التي تميزها عن باقي الزوايا المنتشرة عبر اقليمها، و هذا العامل هو محرك النظام الروحي للزاوية من خلال تلاوة ورد الطريقة و نشرها و جلب منتسبين جدد للزاوية.

فبناءا على الدعائم الروحية للزاوية اي الطريقة المتبعة، و الدعائم المادية المتمثلة في العقار المقام عليه الزاوية، و استوفائها للاجراءات القانونية التنظيمية لعملها، تحدد مواقفها الإجتماعية و السياسية. فنشاطات الزاوية الإجتماعية كإقامة الوعدة أو الحضرة، تتم وفق إجراءات إدارية كالحصول على ترخيص، إذ لا يتم هذا إلا اذا كانت هذه الزاوية معتمدة رسميا.

و نفس الأمر مع مواقفها السياسية التي تبقى مساندة للأحزاب الموالية للسلطة السياسية الحاكمة، فطبيعة علاقة الزاوية المدروسة بالأحزاب المحلية هي علاقة قائمة على تبادل المصالح. إدراكا من الزاوية أن هذه الأحزاب هي الفاعلة في السلطة المحلية، فوقوف الزاوية إلى جانبها يعود عليها بالفائدة المادية أو المالية. و حتى إن لم يكن كذلك في حالة الزاوية المدروسة، فإن هذه الزاوية و من خلال تحديد مواقفها السياسية، استطاعت فرض منطقها الرمزي على السلطات السياسية المحلية، و المتمثل في الدفاع عن مصالحها الإستراتيجية.

يستغرق وقت تأسيس زاوية سيرورة تاريخية تمتد عبر حقبات تاريخية مختلفة، و عمق تواجدها عبر مختلف هذه الحقب يعزز من مكانتها و يقوي اعتراف المخيال الشعبي لها كمؤسسة دينية اجتماعية.

بهذا تأمل هذه المحاولة البحثية أن تكون قد ساهمت في حقل أنثروبولوجيا الزوايا، من خلال تسليط الضوء على داخل هذه البُنية في الجوانب المتعلقة بتوضيح مشروعياتها التأسيسية و ما عرفته من تغييرات من جهة. و دراسة خارجها لفهم التفاعلات العلاقاتية، التي أحدثتها هذه الظاهرة مع الأحزاب السياسية المحلية من جهة أخرى. لمؤسسة ثقافية و حضارية لازال يكتنفها بعض الغموض، و لازالت هذه المؤسسة تلعب دورا كبيرا في الحقل المجتمعي اليومي.

البيبليو غرافيا

بيبليوغرافيا

المراجع باللغة العربية

1. ابن خلدون (ع)، **المقدمة**، تحقيق،درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت،2002.
2. الأخضر (ل)، **الإسلام ألطرقي: دراسة في موقعة من المجتمع ومن القضية الوطنية**.دار سراس للنشر. تونس 1993.
3. الراسي (ج)، **الدين و الدولة في الجزائر،من الأمير عبد القادر... إلى عبد القادر**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.
4. الشمّاس (ع)، **مدخل إلى علم الإنسان (الانثروبولوجيا)** ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2004 ، موقع الكتاب العرب http://www.awu-dam.org
5. العقبي (ص م)، **الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر – تاريخها و نشأتها-**، دار البراق، بيروت،2002.
6. القادري (أ)، **الشيخ عبد القادر الجيلاني و دوره في الدعوة الإسلامية في أنحاء العالمين الآسيوي و الإفريقي**، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء. الطبعة الأولى 1999.
7. **القرآن الكريم**.
8. حديبي (م ا)، **اودريس الزاوية العامرة**، ترجمة عبد القادر بوزيدة، منشورات زرياب، الجزائر،2006.
9. حمودي (ع)، **الشيخ و المريد**. النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة، عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
10. رقيق (م)، **عين تموشنت عبر العصور**، دار الكتاب العربي، الجزائر/ط1، 2010.
11. زبيدة (س)، **انثروبولوجيات الإسلام، مناقشة و نقد لأفكار ارنست غلنر**، سلسلة بحوث اجتماعية، ط1، دار الساقي، بيروت 1997.
12. زيعور (ع)، **الكرامة الصوفية و الأسطورة و الحلم-القطاع اللاواعي في الذات العربية- التحليل النفسي و الاناسي للذات العربية**، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، ط2 بيروت،1984.
13. لونيسي (ر)، **رؤساء الجزائر في ميزان التاريخ، تقييم أكاديمي لنصف قرن من مسيرة الجزائر المستقلة**،دار المعرفة، طبعة مزيدة و منقحة، الجزائر، 2011.

المذكرات

1. لحسن (ر)، **الدور التربوي و الاجتماعي لزاوية سيدي بلكبير**، دراسة سوسيو أنثروبولوجية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا، جامعة تلمسان، 2005/2004.

Ouvrages en Français

1. Andezian(S.), *Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine-Adeptes des saints de la région de Tlemcen*, Edit. CNRS, Paris, 2001.

2. Angers (M.), *Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines*, Edit. Casbah université, Alger, 1997.

3. Baude (S.), Weber (F.), *Guide de l'enquête de terrain*, Edit. La Découverte, nouvelle édition, Paris .2008.

4. Bellil (R.), *Ksour et saints du Gourara; dans la tradition orale, l'hagiographie et les chroniques locales*, mémoire du CNRS, PAH, nouvelle série n^0 3, Edit. ENAL, Reghaia,2003.

5. Berque (A.), *écrits sur l'Algérie*, réunis et présentés par Jacques Berque, Postface de jean Claude vatin, Edit. Edisud, Aix- en-Provence,1986.

6. Boubrik (R.), *Saints et société en islam : la confrérie ouest saharienne fadiliyya*, Edit. CNRS, Paris,1999.

7. Bouchama (K.), *Algérie, terre de foi et de culture*, Edit. El maarifa, Alger, 2000.

8. Boudjemaa (S M.), *Ain Témouchent au fil du temps*, Edit. Imprimé de l'entreprise des travaux d'impression, Sidi bel Abbes, Aout 1997.

9. Boudon (R.), Besnard (P.), Charkaoui (M.), Lecuyer (B.P.), *Dictionnaire de sociologie*, Edit. Larousse, Paris, 2005.

10. Colonna (F.), *Les versets de l'invincibilité : permanences et changements religieux dans l'Algérie contemporaine*, Edit. Presse de science po, Paris, 1995.

11. Copans (G.), *Introduction à l'ethnologie et à l'anthropologie*, 2^e Edit. Armand colin, 2005.

12. Dermenghem (E.), *Le culte des saints dans l'islam maghrébin*, Edit. Gallimard, Paris 8, 1954.

13. Depont (O.), Coppolani (X.), *Les confréries religieuses musulmans*, Typographie et lithographie Adolphe Jourdan 4, Edit. Imprimeur librairie- éditeur, Alger 1897, Livre numérisé en mode texte par : Alain Spenatto, spenatto@club-internet.fr. www.algerie-ancienne.com.

14. Doutté (E.), *Note sur l'islam Maghribin marabouts, extrait de la revue de l'histoire des religions*, Tomes 11 et 12, Edit. Ernest Leroux, Paris, 1900, Livre numérisé en mode texte par: Alain Spenatto. www.algerie-ancienne.com

15. Ferhat (H.), *Le soufisme et les zaouyas au Maghreb –mérite individuel et patrimoine sacré*, 1e Edit. Toubkal, Casablanca, 2003.

16. Filali (K.), *L'Algérie mystique : Des marabouts fondateurs aux khouan insurgés.15e -19e,* Edit. Publisud, Paris, 2002.

17. Gay (T.), *L'indispensable de la sociologie*, Edit. Studyrama, France, 2004.

18. Geertz (C.), *Observer l'islam, changements religieux au Maroc et en Indonésie*, traduit de l'anglais par Jean-Baptiste Grasset, Edit. La Découverte, Paris,1992.

19. Grawitz (M.), *Méthodes des sciences sociales*, Edit. Dalloz, Paris, 1972.

20. Gresle (F.), Michel (P.), Michel (P.), Pierre (T.), *Dictionnaire des sciences humaines anthropologie/sociologie*, Edit. Nathan université, Paris, 1994.

21. Ibn Khaldoun, *La voie et la loi ou le maitre et le juriste*, traduit de l'Arabe, présenté et annoté par René Pérez, Edit. Sindbad, Paris, 1991.

22. Jamine et Sourdel (D.), *Dictionnaire historique de l'islam*, Edit. PUF, 1996.

23. Laplantin (F.), *La description ethnographique*, Edit. Nathan, Paris, 1996.

24. Marouf (N.), *Les fondements anthropologiques de la norme maghrébine*, Edit. l'Harmattan, Paris, 2005.

25. Mouhtadi (N.), *Pouvoir et religion au Maroc, essai d'histoire politique de la zaouïa*, Edit. Eddif, Casablanca, 1999.

26. Mouas(S.), *Ain Témouchent à la rencontre du feu sacré,* la maison d'édition n est pas citée, ouvrage réalisé grâce au soutien financier de la maison de la culture d'Ain *Témouchent*, 2005.

27. Rozet et Carette, *L'Algérie, l'univers ou l'histoire et description de tous les peuples de leurs religions mœurs coutumes*, Edit. Firmin Didot frères, imprimerie de l'institut, Paris 1850, Livre numérisé en mode texte par : Alain Spenatto, www.algerie-ancienne.com

28. Rinn (L.), *Marabouts et khouans, étude sur l'islam en Algérie*, librairie- Edit. Adolphe Jourdan Alger, 1844. Livre numérisé en mode texte par : Alain Spenatto. www.algerie-ancienne.com

29. Schimmel (A.) , *le soufisme ou les dimensions mystiques de l'islam*, traduit par Albert Van Hoa, Edit. CERF, Paris, 1996.

Revues

1. De Sardan (J P O.), « L'enquête de terrain socio-anthropologique », corpus, sources et archives, Institut de recherche sur le Maghreb contemporain,2001.

2. Filali (K.), Sainteté maraboutique et mysticisme, « Contribution a l'étude du mouvement maraboutique en Algérie sous la domination Ottomane », position de recherche, insaniyat n^{0}3, hiver 1997.

3. Ghali (B.), « Le renouveau des zaouïas en Algérie », Directeur de thèse, jean-robert henry, www.iep.univ-cezanne.fr/media/Ghali.pdf.univcezanne.fr/media/Ghali.pdf, Thèse en cours.

4. Montagne (R.), « La fermentation des partis politiques en Algérie », volume 2, numéro, 2 année 1937, www.persee.fr

5. Rhani (Z.), « sainteté, rituel et pouvoir au Maroc », l'homme revue française d'anthropologie, Edit. l'école des hautes études en sciences sociales, n0 190, avril/ juin 2009.

6. Salhi (M B.), « Élément pour une réflexion sur les styles religieux dans l'Algérie d'aujourd'hui », le sacré et le politique, insaniyat, n^0 11(mai-aout 2000).

Journal

-Ghriss (M.), « De la littérature religieuse maghrébine », le Quotidien d'Oran, Le: 23-08-2010.

Sites internet

1. www.algerie-ancienne.com
2. www.awu-dam.org
3. http://forum.univbiskra.net
4. www.googlemap.fr
5. www.iep.univ-cezanne.fr
6. www.interieur.gov.dz
7. www.sawt-alahrar.net
8. www.persee.fr